الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله
كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشّرقية
قسم اللغة العربية وآدابها

التّفكيـــر البلاغـــي عند المغـــاربة

نمـــاذج قرائيـــة معـــاصرة :

حمّادي صمّود – محمد الصّغير بنّاني– محمد العمري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدّكتوراه الطور الثالث في اللغة العربية وآدابها

تخصص : بلاغة عربية ودراسات أسلوبية

إعـــداد الطالـــب:
- عبدالقادر عيدي

إشـــراف:
أ. د . هندة بوسكين

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
شميسة خلوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	رئيـــسا
هندة بوسكين	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	مشرفا ومقررا
أكتوف عبدالرحمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	منـــاقشا
آمال أورابح	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	منـــاقشا
ارفيس بلخير	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	منـــاقشا
فاسي جيلالي	أستاذ محاضر	جامعة بومرداس	منـــاقشا

السنة الجامعية: 2023/2022 // 1444/1443

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا تَوفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيهِ
تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ ﴾

هود الآية 88

شكـــــر وعرفـــــان

قبل أن أتقدّم بالشّكر لأيّ كان، أتقدّم به لمن هو أولى به:

المولى عزّوجلّ ذي الجلال والإكرام.

من ثمّ أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى أستاذتي الفاضلة المشرفة الأستاذة:

هندة بوسكين

والتي جادت بعلمها ووقتها الثّمين طيلة عُمر هذا البحث.

أشكر لها معاملتها الطّيبة، فهنيئا لها شرف العلم والخُلق، وأكرم به من شرف.

وإلى لجنة التّكوين في الدكتوراه، كل باسمه ومقامه، وفي مقدمتهم العلامة الرّاحل، فقيد جامعة الجزائر الأستاذ الدّكتور أحمد فوزي الهيب

وإلى كل أستاذ ترك بصمته العلمية في هذا البحث.

و إلى كل من كان لي عونا في إتمامه.

إهـــــــــداء

إلى من حملتني وَهْنا على وهن، وعلمتني الصّبر في المحن

وأرشدتني إلى سبيل الخير، دعاءً ونصحًا، إلى أمّي الغالية

حفظها الله وأطال في عمرها على خير.

إلى الذي كان حريصا دائما أن يراني متقدما علمًا وخلقًا

إلى الذي علّمني معاني المروءة، إلى والدي الكريم

حفظه الله وأطال في عمره على خير.

إلى التي رافقتني في حياتي العلمية والعملية بدعائها الصّادق

إلى زوجتي الغالية وأولادي، إلى كل إخوتي وأخواتي حفظهم الله.

إلى روح شيخي وأستاذي أحمد فوزي الهيب، الذي غرس

فينا معاني الإخلاص في طلب العلم والصبر له

وأوصانا باللغة العربية لسانا، وبالعلم رحما ..

مقدمـــــة

الحمد لله خير ما بُدئ به الكلام وخُتم، وصلّى الله على خير خلق الله سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وسلّم تسليما إلى يوم يبعثون، أمّا بعد:

فما تزال قراءة التّراث البلاغيّ بعمقه وشموله تشكّل تحديا للدّارسين والباحثين وتشغل أسئلتُه بال المفكرين مشرقا ومغربا، كونه يمثّل وجها من أوجه الانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية.

لهذا الاعتبار ولغيره، تطلّب درسنا البلاغي وما يزال، على مرّ العصور ومختلف الأمكنة قارئا حذقا همّه الإجابة عن أسئلة البلاغة العربية "تأريخا، تنظيرا، وقراءة" في ضوء ما تمليه مكتسبات البحث العلمي في كل مرحلة.

وإن كان للمشرق السّبق في الدّرس، فإنّ للمغرب الأثر الواضح في توجيه سؤال البلاغة وتعميق طرحه، وهذا ما ذكره الباحث المغربي "**محمد بنشريفة**" عند تحقيقه كتاب "**التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات لابن عميرة**"، حينما استنتج أنّ "...ابن عميرة والقرطاجني والسّجلماسي وابن البنّاء يمثلون اتجاها جديدا في التأليف البلاغي ويقدمون اجتهادا خاصا في التناول، وهم يجمعون بين المأثور البلاغي العربي والتّراث اليوناني الأرسطي " الأمر نفسه يؤكّده "**محمد مفتاح**" في كتابه "**التلقي والتأويل**" في قوله: "إنّ بعض البيانيين المغاربة حاول ضبط معالم البيان المشرقي واستصلاح أرضه وإزالة الأعشاب والطفيليات بآليات المنطق والرياضيات وبمفاهيمها لتحقيق نوع من التراضي على قوانين الكتابة والتأويل".

يبدو أنّ هناك مواضيع في الموروث البلاغي يظهر فيها أثر المدرسة المغاربية التي تخرّج فيها علماء أفذاذ بعد دراسة أكثر استيعابا وأكثر شمولا لمأثور بلاغة المشرق العربي ولكتابات أرسطو في التراث اليوناني؛ وخير مثال ما ذكره "**محمد عبدالمطلب**"

في مؤلفه: "**البلاغة والأسلوبية**"، عند قراءة حازم القرطاجني لأفكار عبد القاهر الجرجاني في نظريته في النظم وما انجرّ عنها من ترشيد لماهية البلاغة وأبعادها الكلية في العملية الإبداعية من بدايتها إلى منتهاها.

وهو بذلك يكســـر الحـــرج الفكـــري الذي وقـــع فيـــه عبد القاهر الجرجاني وهو يشق طريقه في نظريته للنظم من خلال " القرآن" و"الشعر" معا.

وتستمر قراءة التراث البلاغي مع المحدثين، وتستوقفنا قراءة المفكر المشرقي القدير "**شوقي ضيف**" للتراث البلاغي القراءة التأريخية التي أسهمت بحق في حفظ التراث البلاغي وتقديم مخزونه للقارئ تقديما سرديا، ليتواصل الدرس من خلال قراءات معاصرة، وإن قلّ عددها، فإنّ اللافت للانتباه أنّها قراءات مغاربية جاءت في شكـــل أعمـــال ضخمة تعود لكل من: "**حمادي صمود**" التونسي و" محمد الصغير بناني" **الجزائـــــري** و" محمد العمري" **المغربي**؛ ويقع اختيارنا عليها لاعتبارات علمية يأتي ذكرها لاحقا، ونعتبر قراءتهم محاولةً جديرة لفهم البلاغة العربية في ضوء التأريخ الشامل لها الذي يستوعب كلّ تصوراتها، إيمانا منهم أنّ القراءة التأريخية السردية باتت غير قادرة على متطلبات المرحلة الراهنة وتوقعاتها المنتظرة ولعل لبعثة الطهطاوي نحو الغرب من النتائج الطيبة ما أهّل ثلّة من الباحثين المعاصرين، بعد تمكّنهم الواعي من طروحات الغرب وتنظيراته، إلى إعادة قراءة موروثنا البلاغي قراءة موصوفة بالعمق والشمول.

وعليه جاء عنوان بحثنا موسوما بـــــ:

التفكير البلاغي عند المغاربة

نمـــــاذج قرائيـــــــة معاصـــــــرة

حمادي صمود – محمد الصغير بناني – محمد العمري

هذه النماذج القرائية المعاصرة تمثّل برؤيتها ومنهجها وأدوات اشتغالها قراءة أخرى للبلاغة العربية تختلف عن قراءة السرد والتأريخ التي جاد بها شوقي ضيف على درسنا البلاغي الحديث.

ممّا سبق، فإنّ موضوع دراستنا يسعى إلى استكشاف قراءة المغاربة المحدثين للدرس البلاغي والتأمل في تفكيرهم صوب البلاغة العربية من خلال أشهـــر مؤلفاتهـــم ومبادراتهم في كتابة تاريخ شامل للبلاغة العربية يعتني ببناء تصور عام لها يغتني به حاضرنا بقدر ما اغتنى ماضينا بمبادرات المغاربة القدماء و ليس من الأمانة العلمية أن نبخس دور المشارقة في التأسيس والبناء.

يدفعنا هذا التصور إلى معالجة الإشكالية المطروحة في ضوء التساؤلات التالية:

هل جنح البلاغيون المغاربة إلى مفاهيم قرائية موحدة لبلوغ عمق هذا التراث والإحاطة بتشعباته، وهل اشتغلوا علـــى الآليات نفسها عند مساءلته وإعادة إنتاج محتواه المعرفي والمنهجي، وهل أثرى هؤلاء المفكرون حاضر درسنا البلاغي بما ينبئ عن قيمة مشاريعهم العلمية التي ترقى إلى مصافّ مشاريع السّلف من المغاربة ممن نافس الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني وغيرهما من المشارقة منافسة تثري البلاغة وتستكمل بناءها؟

وأمّا عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، فمنها ما يعود إلى ترسّبات تاريخية تغذّت من دراسات تداولها المشرق والمغرب على حدّ سواء كعدّ المغاربة عبر التاريخ عالة على المشارقة –وإن أحدث حازم القرطاجني الفارق– فهذا الاعتقاد يدفعنا إلى تقديم جهود المدرسة المغاربية الحديثة واستكشاف بذلها المعرفي والمنهجي في قراءة التراث البلاغي بما يؤصل لمدرسة مغاربية معاصرة تسعى بقراءة ثانية إلى بناء تصور عام للبلاغة العربية يختلف في عدّته

وعتاده عن تلكم القراءة التأريخية السردية التي اضطلع بها شوقي ضيف المفكر البلاغي المشرقي ومن سار على نهجه.

يضاف إلى ذلك إبراز منجز المفكر البلاغي الجزائري المعاصر "محمد الصغير بناني" الذي لم ينل حظّه من الدّرس، ولم يُعن بفكره العلمي في الدراسات الحديثة سواء داخل الوطن أو خارجه وهو المفكر الذي كان له فضل السّبق في استكشاف عقل البلاغي العربي قديما وكذا حديثا.

وأمّا عن المعايير العلمية لاختيار المدوّنة، فإنّ من أولويات القراءة والكتابة في موضوعات البلاغة في الوقت الراهن مراعاة معياريّ "الشّمول" و" العمق " وهذا جليّ في المدونة المختارة؛ وأمّا عن ترتيبها وعرضها في عنوان البحث المطروق، فكان استنادنا إلى تاريخ صدورها.

والمتمعن في أهداف هذا البحث، يجد أنّها تتمثّل في محاولة استكشاف طبيعة قراءة الدّارسين المغاربة حديثا وما حققته من جدوى إمكانية قراءة البلاغة العربية في ضوء المكتسبات العلمية الحديثة، وذلك باستقراء المبذول من جهود نماذجنا المختارة مقارنة ومقاربة، والتركيز على خصوصية كل قراءة باعتبارها لبنة مكمّلة للّبنتين الأخريتين.

كما تصبو هذه المحاولة إلى تبيّن كيف تلقّى البلاغيون المغاربة تراثهم بما يتوافق ومتطلبات البحث العلمي الحديث.

وتأتي هذه الدراسة في ضوء توحيد تصور مغاربي يرقى إلى أن يدرج ضمن المطارحات الإنسانية في الوقت الراهن اقتداء بفعل السلف في مثل هذه الدراسات.

ويعمل طرحنا على استدعاء منهجي المقارنة والمقاربة بما يتلاءم وطبيعة الموضوع وإن عمدنا في الدرس والتحليل إلى الفصل بين النّماذج المختارة فذلك بنيّة تضمين كلّ فصل بتصوّر يستكمل بناءه العام عند إضافة التصورين الآخرين.

وباختيارنا للنّماذج الثّلاثة نلحظ أنّ توجه الدراسات الحديثة صوب هذه الأعمال يتباين مقدار اهتمامها حسب حضور هذه النماذج في السّاحة العلمية، فأعمال محمد العمـــــري وقراءتـــــه للتراث البلاغي عرفت اهتماما واسعا في البحث الأكاديمي أطروحات دكتوراه ومذكرات ماجستير وماستر، فعلى سبيل الذكر لا الحصر: رسالة دكتوراه بعنوان: " **نقد البلاغة قراءة في المشروع البلاغي لمحمد العمري**" للطالبة الباحثة زينب ميثم علي، إشراف **فائز هاتو الشرع** والتي نوقشت بتاريخ **18** أكتوبر **2020** بالجامعة المستنصرية بالعراق، ركزت فيها على مرجعيات العمري العربية والأجنبية القديمة والمعاصرة وأبعادهـــــا على البلاغـــة العربيـــة، وأطروحـــة أخـــــرى بعنـــــــــوان " **التجديد البلاغي في مشروع محمد العمري** " للطالب الباحث بوزيد شتوح من جامعة الأغواط بالجزائر، إشراف **مسعود صحراوي**، نوقشت سنة **2020**، تطلّع فيها الباحث إلى قراءة محمد العمري للمشاريـــع البلاغية التراثية مستخلصا منها مشروعه البلاغي للبلاغـــة العامـــة، وكذا من المنجـــزات الأخـــرى مذكـــرة ماجستيـــر بعنـــوان: **المشروع البلاغي عند محمد العمري**" للطالب عبدالباسط ضيف من جامعة الجلفة بالجزائر، إشراف **أحمـــــــد بوصبيعات** نوقشت سنة **2016**، وأخرى بعنوان: "**البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة من خلال مشروع محمد العمري**" للطالب الباحث محمد عبدالرزاق بوعافية جامعة سطيف بالجزائـــر إشراف **عبدالغنـــي بارة** تمت مناقشتهـــا سنة **2015**.

وتحضرنا مجموعة من المقالات الأكاديمية، منها مقال وسم بـــ: "**المنجز البلاغي العربي في ضوء تصور جديد لمحمد العمري من البلاغة المهيمنة إلى البلاغة الكلية**" للباحثة هندة بوسكين، يراجع تصورات العرب قديما للبلاغة العربية وما أفرزته من مسارات للبلاغة العربية، وقد نشر المقال في مجلة دراسات وأبحاث لجامعة الجلفة بتاريخ جانفي**2020**. ومجموعة مقالات في مؤلف واحد بعنوان: "**البلاغة العامة حوار المركز والمحيط دراسات في أعمال محمد العمري**" قدمت في ندوة وطنية بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالمغرب شهر فيفري من سنة **2017** لمجموعة من الباحثين المغاربة، كما نجد مقالا آخر بعنوان: "**تحديث الدرس البلاغـــي عند الناقديـــن محمد عبد المطلب ومحمد العمري رؤية نقدية**" لمحمد سالم سعد الله، نشـــر في مجلة التربيـــة والتعليم المجلد **20** العدد**1** سنة **2013**، ومقال بعنوان: "**تلقي النص البلاغي عند محمد العمري**" للباحثة ابتسام بن خراف نشرته بمجلة قراءات بجامعة بسكرة شهر أكتوبر **2013** ضمن المجلد الخامس العدد الأول، ومن مذكرات الماستر مذكرة بعنوان "**البلاغة العامة في الموروث العربي القديم، من منظور محمد العمري**" للطالبة: سامية بن عميروش من جامعة الجزائر وإشراف **هندة بوسكين** نوقشت خلال سنة **2016**.

إلا أنّ دراسات قليلة –في حدود اطلاعنا– توجهت نحو جهود كل من "حمادي صمود" و"محمد الصغير بناني"، فعن حمادي صمود تصادفنا مشاريع مسجلة لأطروحات دكتوراه من ذلك: "**القراءة الجديدة للتراث البلاغي العربي، حمّادي صمود نموذجا** "للباحثـــة شعبانـــة جوهرة من جامعة الحـــاج لخضر باتنـــة**1** بالجزائـــــر إشـــراف جاب الله أحمد، مشعر بتاريخ خمسة عشر نوفمبر سنة **2021** ولمّا تناقش يُظهر ملخصُ تصورها مسعى الباحثة إلى تقديم مقاربة مشروع **حمّادي صمّود** "البلاغي" بالمفاهيم الغربية والتراثية، وهناك مشروع آخر

بعنوان: "**التّراث النّقدي البلاغي من منظور حمّادي صمّود ومحمد عبدالمطلب مقاربة نقدية لنماذج** "صودق عليه بتاريخ أربعة عشر جانفي سنة **2022** للباحثة بلخيري هاجر من جامعة الجزائر**2**، إشراف الباحث الحواس بري، تسعى فيه الباحثة إلى دراسة التراث البلاغي العربي من منظور البلاغيين **حمّادي صمّود ومحمد عبدالمطلب،** ومن الدّراسات مقال بعنوان: "**قراءة التراث البلاغي عند العرب: حمّادي صمّود أنموذجا**" لرضوان كعبة من المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بآسفي المغرب، نشرته مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية في عامها التّاسع وعددها الخامس والسبعين شهر أفريل **2022**، يستكشف المقال المنطلقات التراثية وموضوعية قراءة البلاغي **حمّادي صمود،** ومقال آخر مشترك بين الباحثين "كحلي رابح" من جامعة تمنغست بالجزائر، ودردار بشير من جامعة تيسمسيلت بالجزائر بعنوان: "**مركزية جهد الجاحظ في النظرية البلاغية العربية/قراءة في أطروحة حمادي صمود من خلال كتابه التفكير البلاغي عند العرب**" حاول فيه الباحثان إبراز مركزية الجاحظ في النظرية البلاغية عند **حمّادي صمّود،** الذي قدّم قراءة جديدة للبلاغة العربية بتقسيمه البلاغة إلى ثلاث مراحل (قبل الجاحظ/ الحدث الجاحظي/ بعد الجاحظ) وتوصلا إلى أنّ عمل **صمّود** كان تركيبيا يعتمد النظرة الشمولية في قراءة التّراث.

وعن الدراسات التي تناولت جهود البلاغي **محمد الصّغير بنّاني** فهي قليلة جدا مقارنة مع ما كتب عن البلاغيين" **حمّادي صمود و محمد العمري**"، وصلنا من الأعمال الموجهة نحوه: أطروحة دكتوراه لمّا تناقش عنوانها" **إشكالية قراءة التراث البلاغي عند محمد الصغير بناني**" للطالبة خديجة صافي من جامعة الجزائر، إشراف الباحثة سهيلة عبــريق وكــذا للباحثــة

نفسهـــا مذكـــرة ماستـــر موسومـــة: "**مشروع بلاغـــة السّكاكـــي في كتـــاب "مفتاح العلوم" من المعاتبة إلى الإنصاف في قراءة لمحمد الصغير بناني**"، إشراف الباحثة هندة بوسكين.

ومن ثمّة وإن تعرض دراستنا جهود هؤلاء البلاغيين المغاربة الثلاثة وكيفية تلقّيهم للتراث البلاغي، فإنّ جديد الدراسة هو استجلاء تفكير المغاربة المعاصرين وجدوى التفكير العلمي في حاضر البلاغة ومستقبلها انطلاقا من ماضيها.

أعددنا لهذا البحث خطة تتضمن مدخلا وثلاثة فصول، يمكن تلخيصها كما يلي:

حتمت الدّراسة إطلالة تمهيدية شكلت **مدخلا** عنوانه: "**مدخل نظري في التأريخ للبلاغة العربية**" ليجيب كإشارة أولى عن التّساؤل التالي: هل نعني بـــ"المشرقية" المحل الجغرافي مقابل "المغربية" أم قُصد بالمصطلح المنهج الفكري الذي يميز المشارقة عن المغاربة؟.

هذه الثنائية أخذت أكثر من لون وتناولتها كثير من الدراسات واستخدمها الأولون بخلاف استخدام المتأخرين وخاصة المغاربة، ثم كانت الإشارة الأخرى تصب في "**تأريخ المشارقة للبلاغة العربية**" كون أنّ لهم السّبق في هذا المجال، وقد غلب على مؤلفاتهم آنذاك القراءة التاريخية للتراث البلاغي، فمثلنا لهم بأهمّ مؤلّفي هذه المرحلة، ثم انتقلنا إلى "**تأريخ المغاربة للبلاغة العربية**" بمختلف تنوعاتها من بنيوية أسلوبية وتداولية فنظرية القراءة، والتي أفردنا لهم جزء كبيرا من البحث، ولا يفوتنا في هذا المقام الإشارة إلى المغاربة وكيف تنبهوا لمسألة التأريخ للبلاغة لا للتأليف البلاغي.

وأمّا الفصل الأول فجاء بعنوان: "**كتاب التفكير البلاغي تأريخ للبلاغة لا تأريخ للتأليف البلاغي**"، تمحور مضمونه حول قراءة **حمادي صمود** للتراث البلاغي من خلال أشهر مؤلفاته البلاغية: "التفكير البلاغي عند العرب مشروع قراءة "، وتوزع الفصل إلى ثلاثة مباحث تناولنا

في المبحث الأول **هندسة الكتاب وغاياته**، فبعد تقديم الكتاب كان التركيز على رؤية **صمّود** للشّعر الجاهلي، فقد عدّه النواة الأولى للبلاغة العربية ثم عدّه فرعا بنزول القرآن، ثم وقفنا على مركزية الجاحظ في عمل **صمّود** ومفهوم البيان عنده فنظرية المقامات، لنصل إلى مشاغل التفكير البلاغي عند **صمّود** حتى القرن السّادس الهجري والتي لخصها في المفهوم والمنهج والإجراء.

لننتقل إلى المبحث الثاني والذي عنوناه بـــ: "**قراءة حمادي صمود الإمكانية والجدوى**" فمن أهم العناصر التي أثارها **صمّود** وهو يختار قراءته القائمة على جدلية التراث والحداثة، دلالته لمفهوم الاستلاب. وتستوقفنا أهم مصادره التراثية التي اعتمدها في مقاربته لهذا التراث العظيم، وأمّا المبحث الثالث المعنون بـــ: "**المناهج والنظريات المعاصرة المتوسل بها**"، فهو المبحث الملّم بمهام حمادي وتوظيفاته لمكتسبات الدّرس اللساني الحديث، وأدوات بنوية، تداولية فنظرية القراءة.

وأمّا الفصل الثاني: فخصص للمفكر الجزائري **محمد الصغير بناني** وكيف عرض قراءته للتراث البلاغي، من خلال أطروحته للدكتوراه والموسومة بـــ: "**البلاغة العربية وأصولها النظرية دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري**"، اخترنا عنوان الفصل وفق تداعيات بحثه الحاضرة في مؤلفه فجاء كالتالي: "**فعالية البلاغة وقدرتها في تبليغ الفكر والذوق المعاصرين**" وتوزع مضمونه إلى مبحثين، أمّا الأول بعنوان: "**بنية الأطروحة وغاياتها**"، فقدمنا من خلاله قراءة ملخصة للأطروحة وأقسامها ورؤية **بناني** لأصول البلاغة العربية في الفترة التي اختارها للدراسة وهي منذ نشأة البلاغة إلى بداية القرن السّابع الهجري" والمبحث الموالي: "**الوعي المنهجي والنقدي**

في قراءة محمد الصغير بناني" عرضنا موقفه من إشكالية جدلية التّراث والحداثة، وما قد تخلفه من أثر في البلاغة العربية إن لم نع توظيف مكتسباتها.

الفصل الثالث: البلاغة العربية، بلاغة عامة، مثّله **محمد العمري** بأشهر مؤلفاته في التأريخ للبلاغة العربية: "**البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**"، قسّم الفصل إلى ثلاثة مباحث أمّا الأول فعرضنا فيه هندسة الكتاب وغاياته، وأمّا الثاني فجاء في شكل "**قراءة التراث البلاغي في ضوء مكتسبات البحث العلمي الحديث**"، تجاوز فيه **العمري** جدلية التّراث والحداثة وأضحى من الضرورة قراءة التراث البلاغي في ضوء المعطيات الجديدة بتوظيف مناهج الدرس الحديث كالبنيوية، التداولية ونظرية جمالية التلقي.

وصولا إلى المبحث الثالث والأخير القائم على "**مشروع العمري البلاغي وأفق الانتظار**" وما مهمة التأويل باعتبار الماضي – دائما وأبدا– نصًا مفتوحًا للقراءة فما ملامح التّجديد في مشروعه مقارنة بسابقيه؟.

ينتهي بحثنا بعرض لأهمّ **النتائج** المتوصل إليها مع تقديم توصيات تفتح أفق البحث مستقبلا.

لقد اعتمدنا في موضوعنا مصادر ومراجع، لعلّ من أهمّها مؤلفات النماذج المختارة في الدراسة، وفي مقدمتها، أشهر مؤلفاتهم وأوفرها مادة استوفى بها أصحابها بناء مشاريعهم نذكرها على النحو التالي "**التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السّادس الهجري (مشروع قراءة)** لحمادي صمود، وأطروحة الدكتوراه لمحمد الصغير بناني الموسومة بـــ: "**البلاغة العربية وأصولها النظرية دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري**" وكتاب محمد العمري:

"**البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**".

ألزمتنا هذه المؤلفات الإحاطة بمصادر التراث مـــن ذلك "البيان والتبيين" للجاحـــــظ "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني "منهاج البلغـــاء وسراج الأدباء" لحازم القرطاجي و "سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي، وغيرها من المصادر لا يتسع المقام لذكرها.

وهناك مؤلفات استدعتها قراءتنا للمشروع من ذلك ما يعين على فهم أهم نظريات القراءة وتشعبات الدرس اللساني الحديث، لدينا كتاب" التراث والحداثة دراسات ومناقشات" لمحمد عابد الجابري، صدر سنة **1991** و"استقبال النص عند العرب" لمحمد المبارك صدر سنة **1999**، و"منـــاهـــج قراءة التراث في الفكـــر النهضوي العربـــي" لانميـــرات عبدالعزيز سنة **2003**، و"استقبال الآخر الغرب في النقد العربي الحديث" لسعد البازعي **2004**، و"منـــاهج التفكيـــر البلاغـــي عند العرب" لمحمد محمود البختياوي سنة **2013** و"أسئلة البلاغة في النظرية والتاريـــخ والقـــراءة" لمحمد العمري، سنة **2013** و"القراءة المعاصرة للتراث النقدي والبلاغي" لإيهاب مجيد جراد سنـــة **2014** و"البلاغة والخطاب" لمحمد مشبال، سنة **2016**، و"البلاغة العربية والبلاغات الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة" لعبدالرزاق بوعافية، سنة **2018** إضافة إلى كتب التراجم والمعاجم اللغوية.

وختاما أتقدم بشكري وعرفاني الخالصين لأستاذتي المشرفة على هذه الأطروحة الدكتورة هندة بوسكين، لمرافقتها البحث ووضع خطته وتتبع فصوله بالقراءة والتمحيص فكانت ملاحظاتها وإرشاداتها عظيمة الأثر في هذا البحث، فجزاها الله عني خيـــــرا شكر آخر أقدمه لأساتذتي الكرام أعضاء لجنة القراءة لما يبذلونه من جهد في القراءة التي تزيد البحث ارتقاء بتوجيهاتهم وملاحظاتهم وتصويباتهم، والشكر موصول للخبراء ممن شاركوا في إخراج البحث

على صورته النهائية.

و لست أدّعي الكمال لأنّ الكمال لله وحده، والعمل البشري كتبت له النسبية فآمل أن يكون هذا البحث قد وضع علامات أو إشارات للبحوث اللاحقة التي تجعل من التراث البلاغي مادتها.

مدخـــــل

مدخل نظري في التأريخ للبلاغة العربيـــة

لقد تميّز المغاربة[1] –وإن تأخرّوا– زمنيا عن المشارقة بإسهامات قرائية في موروثنا العربيّ الإسلاميّ، إلاّ أنّ تميّزهم العلمي أثبت جدوى قراءاتهم، كقراءة حازم القرطاجني التي قدّمت صورة للنّقد البلاغي قلّ نظيرها، وإلى جانبه إسهامات ابن البنّاء المراكشي **(ت721هـ)** والسّجلماسي **(ت704هـ)**، والسّؤال الذي يطرح نفسه، هل سيحظى خلفهم من المغاربة الدّرجة نفسها في قراءة الموروث البلاغي وإعادة إنتاجه بما يوافق المرحلة الراهنة، وفي ظل النّظرة القائلة بأنّ المغاربة عالة على المشارقة؟.

وان كنا نتحدّث عن ثنائية "المشرق" و"المغرب" فإنّنا لا نقصد "المغربية" كجهة جغرافية تقابل المشرقية، بل المقصود التفكير والمنهج الفكري الذي تختصّ به المدرسة المغربية وهو ما أثبتته عديد الدراسات كدراسة **مصطفى بورشاشن** بعنوان "البلاغة العربية بين المشارقة والمغاربة أصالة وامتداد" والتي أقرّ فيها بوجود مدرسة مغربية فلسفية تخالف المشرقية فكرا ومن أعلامها **أحمد بن عميرة (ت656 هـ)** الذي تفرّد بتعريفٍ بديعٍ للبلاغة، لم يُنسَج على منواله من قبل، يقول فيــه: <<إنّها صناعــة تفيد قوة الإفهام على ما يريده الإنسان أو يراد منه، بتمكن من إيقاع التصديق به، وإذعــان النفس له>> ونلاحظ أنّ هذا التعريف يتضمن مصطلحات جديدة، تفرق عن المنظور المشرقي للبلاغة منها صناعة قوة الإفهام، الإرادة التمكن، التصديق، الإذعان"[2]، وتبين هذه المصطلحات شبكة من المفاهيم تؤسس للبلاغة

[1] – نقصد بالمغاربة أعلام المغرب العربي والأندلس معا، ينظر : بوعافية محمد عبدالرزاق، أصول البلاغة العربية في المشرق والمغرب بحث في نظرية البلاغة واتجاهاتها من العصر الجاهلي إلى أواخر القرن 10 هـ، منشورات رأس الجبل للنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر 2020، ص 08.

[2] – مصطفى بورشاشن، البلاغة العربية بين المشارقة والمغاربة أصالة وامتداد ، مركز ضياء للمؤتمرات والأبحاث https://www.diae.events/postid=124932 ، الساعة : 19:37.

باعتبارها صناعة نظرية، تخصص أصحابها المغاربة في البديعيـــات وتفوقوا به على المشارقة وحملهم على ذلك ولوعهم بتنميق اللفظ وزخرفته[1].

إنّ عملية قراءة التّراث البلاغي[2] قراءة شاملة ما تزال همّا يؤرق معظم الباحثين الذين انطلقوا من حالة من الامتلاء الناتجة عن دراسة المتن البلاغي القديم واستقصاء تفاصيله، وفي الوقت ذاته وعوا أنّ هذا التراكم المعرفي ما يزال بحاجة إلى قراءة تمحيصية تستخرج أسئلته المركزية، وتطرح مدى راهنية أجوبته، أمام الأسئلة الحديثة التي يشهدها الدرس البلاغي في الوقت الحاضر[3]، فمن الدّراسين العرب من اعتبر إعادة قراءة الموروث أمر واجب على الدّارسين والباحثين الغيورين من أبناء العربية في كل زمان ومكان، لتبقى هذه الأعمال منبعا ثرياً، وتأصيلا للدراسات العربية المعاصرة وإحياء لهذه الدراسات ولأصحابها الذين نهضوا بها على مدار الزمان[4] والبلاغة من الدّراسات التي أولاها القدماء اهتماما كبيرا مشرقا ومغربا فلا يمكن بحال أن يتوقف الاهتمام بتراكمها المعرفي الناتج عن محاولات تباينت بفعل عوامل داخلية وأخرى خارجية ساعدت على تعميق سؤال البلاغة.

---

[1] – ينظر، ابن خلدون، عبدالرحمان، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط1/ 2004، ج2، ص 375.

[2] – أُرّخ للاهتمام بقراءة التراث من بداية عصر النهضة الأدبية أي من حملة نابليون على مصر سنة 1798 م "لأنّ التراث ضرورة بكل المقاييس لا من أجل تحقيق شرط التواصل بين الأزمنة، ولا من أجل تحقيق بحث إمكانات التقدم ولكن من أجل تحقيق الهوية والحفاظ على وجود الأمّة بموازاة مع واقع رفع التحدي الحضاري الذي تعيشه "ينظر إنميرات عبدالعزيز، مناهج قراءة التراث في الفكر النهضوي العربي، مركز التأصيل والدراسات والبحوث السعودية ط 1، 2003، ص40.

[3] – ينظر، جماعة من الباحثين، البلاغة العامة حوار المركز والمحيط دراسات في أعمال الدكتور محمد العمري سلسلة الترجمة والمعرفة العدد 5، عالم اكتب الحديث، ط2017/1، ص 189.

[4] – ينظر، البهنساوي حسام، التراث اللغوي العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1994، ص 28.

لذا فإنّ تراثنا يستدعي قراءة واعية ومنصفة، نتجنب بها التكرار والاجترار عملا بمنهج السّلف الذين لم يعتبروا الحفظ علما، وإنّما المعوّل عليه هو الوعي المستنير بحقائق المعرفــة حتى يأخذ الدارس ما يأخذ ويدع ما يدع [1].

هذا الوعي النّقدي بحقائق المعرفة يلزم قارئا يتواصل ــ أوّلا ــ مع شركاء الموروث من أهل الجوار، ليستقيم الانفتاح مع شركاء الموروث الإنساني من أهل الغرب، لابد أن نعي أنّ تراثنا يمدّنا بالخامة الولود التي يمكن أن نتخذ منها محورا لموقف عربي أصيل إزاء القضايا الإنسانية الكبرى المطروحة على الألسنة والأقلام مع الحذر من أن نكون أحد رجلين: إمّا ناقل لفكر غربي وإمّا ناشر لفكر عربي قديم. فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصراً، لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر العربي وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر المعاصرة[2].

هذه الثنائية القائمة بين التراث والفكر فرضتها المادة البلاغية الغنية التي لها أصول متشعبة تترجم قوة تفكير العرب القدماء مشرقا ومغربا، فما مقدار جدوى قراءة علمائنا المغاربة في المرحلة الراهنة في ضوء مكتسبات البحث العلمي الحديث، لاسيما المكتسبات اللسانية؟.

يجزم **محمد الصغير بناني**[3] أنّ إعادة القراءة أضحت من الضرورة لأنّ البلاغة مدعوة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى مسايرة التطور الفكري والفني الذي يجري في العالم من

[1] – ينظر، محمد محمد أبو موسى، علماؤنا وتراث الأمم، مجلة الوعي الإسلامي الكويت، العدد 36 /2015، ص 81.

[2] – ينظر، زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق مكتبة الأسرة، مؤسسة هنداوي القاهرة، ط1/2017، ص 254.

[3] – راجع نبذة عن سيرة العلم ومسيرته في بحثنا، الفصل الثاني ص 92.

جهة، وإلى إثبات أصالتها كنظرة إنسانية صائبة فيما فرضته للكون والحياة في الماضي وفيما تفرضه لهما في المستقبل من جهة أخرى[1].

وأكيد أنّ دعوة القراءة اليوم مرهونة باعتبارات عدّة، فاختلاف ثقافة المتلقي للتراث واختلاف المناهج المستعان بها، والاتجاه الفكري، "ومكان القراءة واللحظة الحضارية التي تمت فيها، إنها المعطيات التي تحدد فعل القراءة ودوافعها وغاياتها والكيفية التي تتم بها إنّها المعطيات التي تتحكم في القراءة فتحمل القارئ على قراءة أمور معينة وإعطاء الأهمية لجانب من جوانب المقروء، والتقليل من أهمية الجوانب الأخرى على إبراز شيء وإهمال شيء آخر"[2].

ويمكن حصر الخصوصية التي تميز بها التفكير المغاربي، والتي بلورت تفكيرهم البلاغي ومهدت لكتابة تاريخ شامل للبلاغة العربية في الوقت الراهن في العناصر التالية والتي سنفصل القول عنها ضمن محتويات الفصول:

- تميز التفكير البلاغي المغاربي بالشّمولية، وهو ما يؤكده حجم المدونة المدروسة.
- مزاوجة البلاغيين المغاربة بين التّراث العربي والمناهج الغربية الحديثة.
- مساهمة التّرجمة في تزويد قراءة البلاغيين المغاربة المعاصرين للتراث البلاغي في مجال المصطلحات والمفاهيم البلاغية.
- كان للأثر اليوناني حضور في قراءة البلاغيين المعاصرين بين مقدّر له وبين متردد في الفصل في حضوره وبين داع للتعامل معه بحذر.

[1] – ينظر، محمد الصغير بناني، البلاغة العربية وأصولها النظرية، أطروحة دكتوراه، جوان 1993، مخطوط جامعة الجزائر، تحت رقم 419 /ص01.

[2] – محمد عابد الجابري، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط1982/1، ص 62.

و يظهر أنّ القراءة في البلاغة العربية حديثا، انقسمت إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: القراءة فيها "...عنيت بالسّرد التّاريخي وتلخيص محتويات الكتب البلاغيــة ولعلّ من يمثل هذه القراءة مؤلف **شوقي ضيف** "**البلاغة تطور وتاريخ**" ومن انتهج منهجه في القراءة والتأليف.

المرحلة الثانية: وهي قراءة من منظور حداثي لساني، افتتحها **حمادي صمود**[1] بمشروع قراءته وقراءة **العمري**[2] التي كانت امتدادا لقراءة **صمود**"[3].

نخلص إلى قراءتين اثنتين، أمّا الأولى فهي قراءة سردية نبغ فيها المشارقة في مرحلة ما وأمّا القراءة الثانية فرضتها معطيات المرحلة هي من نصيب المغاربة حظوا بها، والمدونة كفيلة بإبراز عدتها وعتادها رؤية، منهجا وإجراءات، فكيف تبلور مفهومها للبلاغة وتحديدها لوظائفها في ضوء تفكير مغاربي محض.

وقبل أن نخوض في صلب بحثهم وجب الإشارة إلى منهج تفكير المشارقة آنذاك .

1. تأريخ المشارقة للبلاغة العربية:

اتجه بعض المهتمين بالتّراث البلاغي في العصر الحديث إلى كتابة تاريخ للبلاغة العربية واقتصرت رؤيتهم على" إحياء التّراث البلاغي والتّعريف به وتقريبه من القارئ"[4] وذلك بتتبع مراحله بدءا من العصر الجاهلي وإلى نهاية مرحلة الانحطاط.

---

[1] – راجع نبذة عن سيرة العلم ومسيرته في بحثنا، الفصل الأول، ص 38.

[2] – راجع نبذة عن سيرة العلم ومسيرته في بحثنا، الفصل الثالث، ص 148.

[3] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار أفريقيا الشرق، المغرب1999، ط1، ص 8.

[4] – ينظر، المرجع نفسه ص 08.

ومن المفكرين الذين حافظوا على الرؤية التراثية، يحضرنا في مقدمة المجموعة التّالية وذلك على سبيل التّمثيل لا الحصر:

شوقي ضيف(1910 م /2005 م) بكتابه "**البلاغة تطور وتاريخ**"، ألّفه سنة **1965** وهو عبارة عن محاضرات ألقاها على طلاب جامعة بيروت في تاريخ البلاغة وتطورها ليتوسع فيها توسعا يعد بحقّ من أهم المؤلفات التي تناولت التراث البلاغي من منظور تاريخي ليفتح المجال أمام الدارسين للنهوض بهذا التراث حتى اعتبر محمد العمري عمله "مدرسة قائمة بذاتها أطلق عليها مدرسة التمهيد"[1] وعدّه أحسن من مثّل هذه المرحلة إن لم يكن ممثّلها الوحيد.

وعن خصائص تفكيره وانعكاساته على الدّرس البلاغي، يبدو أنّ دافع التّأليف للتّاريخ للبلاغة العربية عنده إنّما هو دافع تعليمي أكاديمي، لذا تميّز سعيه بتلخيص محتويات الكتب وشرحها، ثمّ تقديمها للطّلاب.

والقارئ المتمعن في منهج تأليف الكتاب ليجد أنّ مؤلّفه لم يكن عمله الذي قدّمه سرداً تاريخياً فحسب، بل حاول بوعي منه أن يبحث عن حلقة وصل بين مرحلة تاريخية وأخــرى وأن يربط بين الجانب البلاغي والجانب الأدبي، إذ يقول: "ولم تكن غايتي أن أصوّر هذا التّاريخ لبلاغتنا فحسب، بل أيضا أن أصوّر الترابط الوثيق بينها وبين أدبنا في تطورهما حتى انتهيا إلى الجمود والتعقيد والجفاف والتكرار الممل، وأن أرسم في تضاعيف هذا التطور الوشائج الواصلة بين كل بلاغي وسابقه ولاحقه، بحيث تتضح معالم هذا التطور اتضاحا تاما"[2].

[1] – المرجع السابق ، ص 08.

[2] – شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف ،القاهرة، ط 14 /2013، ص 06.

إنّ مثل هذه القراءة التاريخية لا يمكنها أن تجيب عن أسئلة البلاغة اليوم، كونها سردا تاريخيا للتأليف البلاغي وذكرا لمؤلفات بلاغية لم يحن الوقت لاستكشاف أسئلتها.

وتعزى أقدم محاولة لمرحلة الكتابة التأريخية الجزئية للبلاغة إلى **أحمد مصطفى المراغي(1881ــ1945)** بكتابه " تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها"، إذ ألفه سنة **1950** وقدّم فيه المراغي شرحا للأطوار التي مرّت بها البلاغة العربية منذ بدء التأليف، ولعل طبيعة الفترة الزمنية التي عاشها المراغي هي التي فرضت عليه طبيعة قراءة التراث البلاغي قراءة تاريخية، وهو كتاب يحمل كل ملامح البداية ويقع دون عمل المؤلف نفسه في علوم البلاغة.

ومن الدّراسات الرائدة في تلقّي التّراث البلاغي من منظور تاريخي ولكن من جوانب تجزيئية كتاب **بدوي طبانة (1914 م/1999 م)**: "البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية"، وقد ألفه سنة **1956** م، وطبع عدة طبعات في كل طبعة جديدة كان يضيف زيادات رأى أنّها ضرورية لاستكمال حلقات البحث في بناء صرح البيان العربي.

يوجه **طبانة** إلى فئتين من الناس: "الفريق الذين ينشدون أمجاد أمتّهم ليقيموا على أساسها أمجادا جديدة، ويصلوا حاضرهم المتطلع بماضيهم الراسخ، ...ثم إلى أولئك الذين يجحدون فضل العرب في هذه الناحية"[1].

كما يذكر سبب تأليفه الكتاب بقوله: "وبعد فإنّي أقدم اليوم البيان العربي في هذه الطبعة الجديدة بعد أن هذبته وأضفت إليه زيادات تصل حلقات هذه الدراسة التي خصصتها لتتبع البحث البلاغي عند العرب، ورصد خطوات مسيرته عبر الزمن"[2].

[1] – بدوي طبانة، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط7/ 1988، ص 08.

[2] – المرجع نفسه ، ص 10.

فمن الخصائص النظرة التجزيئية للبلاغة وإن أفادت المفكرين فإنها تبقى نظرة قاصرة هدفها إحياء التراث والتعريف به وتقريبه من القارئ.

و يضم كتاب "تاريخ البلاغة العربية **لعبدالعزيز عتيق (1906 م /1976 م)** بين دفتيه محاضرات في تاريخ البلاغة العربية ألقاها المؤلف على طلبة السنة النهائية في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بيروت سنة **1970**، وهذه المحاضرات تتعرض لجزئيات من تاريخ البلاغة في أطوار نشأتها ونموها وازدهارها وجمودها، مع بيان العوامل التي أدت إلى ذلك في كل دور من أدوارها، كما "تعرض المحاضرات أهمّ رجال البلاغة والمشتغلين بها في كل عصر من عصورها"[1]، فتترجم لهم بإيجاز، وتشير إلى مؤلفاتهم ولا سيّما المتصل منها بالبلاغة، كما تعرض إلى مناهجهم المختلفة في البحث، والمساهمة التي أسهم بها كل واحد منهم في إثراء البلاغة العربية وتطورهـــا ومدى تأثره بمن تقدمه وبمن جاء بعده ربما، ويمكن أن نعد كتابه من المؤلفات التي اهتمت بالتأريخ للتأليف البلاغي لا للبلاغة العربية.

وكذلك ألّف **عبدالقادر حسين (1934 م/ 2011 م)** كتابه "المختصر في تاريخ البلاغة" سنة **2001**، وهو كتاب يوجز تاريخ البلاغة منذ أن نشأت وشقت طريقها نحو النّمو والازدهار إلى أن أصبحت "علما له قواعده، وضوابطه، وأحكامه وقوانينه"[2]، فهو بذلك كتاب تعليمي، جنح فيه صاحبه إلى الاختصار من أجل تقديم مادة البلاغة لطلبة العلم تقديما سرديا استهله بالإشارة إلى قضية الإعجاز القرآني وما أثارته من دراسات بلاغية لينتقل إلى ذكر جهود طوائف متعددة أسهمت في صنع تاريخ البلاغة، هذه الطوائف تبلورت في مدرستين كبيرتين هما: المدرسة الكلامية والمدرسة الأدبية، ليبقى هذا التقسيم نسبيا وغير ملائم مع كثير من الأعلام ولا يمكن

[1] – عبدالعزيز عتيق، تاريخ البلاغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2/ 2007، ص 06.

[2] – عبدالقادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة 2001، ص 08.

الجزم في اعتماده، لأنّ بلاغتنا تقوم على الشمول والعمق لتشعب المنطلقات والمصادر والخلفيات والمؤثرات. ودراسة أخرى لتاريخ البلاغة العربية من منظور تاريخي قدّمها **عبدالعزيز عبد المعطي عرفة** سنة **1978**، بيّن فيها سبب تأليفه للكتاب إذ يقول: " ...وتقربا إلى الله جل وعلا ، ثم خدمة للغتنا العربية لغة القرآن الكريم كتبت تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية توخيت فيها السهولة والوضوح ووقفت مستأنيا أمام سرّ نشأة هذه العلـــــوم ووضحت المناخ التي نشأت فيه وسرت مع أطوارها نشأة ونموا وازدهارا وجمودا ثم نهوضا وانتعاشا"[1]، فلم يحد عن مسار سابقيه ونهجهم في التأليف وغاياته فجاء كتابه بيانا لأطوار نشأة البلاغة، لعل إشاراته للنهوض والانتعاش من جديد تعد حلقة من حلقات ربط ماضينا البلاغي بروح العصر.

كما يقرّ **علي عشري الزايد (1937 م – 2003 م)** في كتابه: "البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها" بصعوبة المهمة في رصد المسار العام لتطور التأليف البلاغي، ويرد هذه الصعوبة إلى أمرين مهمين:

1 – تتبع الخطوط الجزئية المتشابكة وهذا من شأنه أن يُضل بالمسار العام الكلي لهذا التطور.

2 – التزام المسار الكلي، فتفلت منه الملامح التفصيلية الدقيقة لهذا المسار[2].

ولهذا عمد في كتابه إلى تلخيص الكتب، فدراسة تاريخ البلاغة العربية منذ القرن الثاني الهجري إلى أيامه وفترته وهذا ما لم نلحظه في دراسة شوقي ضيف.

ولهـــذا نظر علي عشري الزايد إلى دراسته على أنّها رائدة وقد قدّمها في كتابـــه "البلاغة العربية. تاريخها. مصادرها. مناهجها " الذي نشره سنة **1978**.

---

[1] – عبدالعزيز عبدالمعطي، تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها، دار الطباعة المحمدية الأزهر القاهرة ط1978/1، المقدمة.

[2] – ينظر الزايد علي عشري، البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها، مكتبة الآداب، القاهرة ط2009/7، ص 05.

تناول **الزايد** التأليف البلاغي في مستويين: أحدهما تاريخي يقوم على تتبع هذا التطور في مراحله الأساسية منذ بدأت البلاغة العربية أفكاراً وملاحظات عامة متناثرة على هامش العلوم الأخرى، وثانيهما فنّي يقوم على رصد الجانب الفني في مسار التأليف البلاغي من خلال استخلاص معالم مناهج البحث وطرق التناول العلمي التي عرفها حقل التأليف في البلاغة العربية.

وقد أرّخ **الزايد** للبلاغة العربية انطلاقا من القسم الأول في كتابه بمراحل ثلاث[1] المرحلة الأولى مرحلة النشأة تناول فيها العلوم التي أثرت في نشأة البلاغة من علوم قرآنية وأدبية ولغوية، ثم أشار إلى أنّ هذه المرحلة لم تتسم بالتأليف العلمي للبلاغة، لتأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة التكامل المشترك بين مختلف العلوم وهي الأخرى لم يتسم فيها التأليف البلاغي بالعلمية ثم مرحلة الاستقرار ويؤرخ لها بكتاب البديع لابن المعتز وهي المرحلة الثالثة والتي يعتبرها مرحلة التأليف بالمنهج العلمي.

لينتقــل في القسم الثــاني من كتابه إلى تناول التأليف البلاغي من منظور منهجي ويقدم أربعة مناهج يعتبرها أجملت كل ما ألف في البلاغة وهي (المنهج التجميعي/المنهج الانطباعي/المنهج التحليلي/المنهج التقنيني المنطقي)، ويمثل لكل منهج بأعلام ومؤلفاتهم.

ويعدّ كتاب **مازن المبارك** (**1930** م/ يومنا هذا): "الموجز في تاريخ البلاغة "من التآليف المهمّة في الدراسات التي تناولت البلاغة العربية دراسة تاريخية موجزة ويقدَّمُ الكتاب خطوة أولى للطالب الباحث عن نشأة علم من العلوم ونعني تاريخ البلاغة فقد أوجز مازن المبارك تاريخ البلاغة عبر فصول كتابه، بدء من البلاغة عند العرب في العصر الجاهلي ثم

[1] – المرجع السابق، ص 07.

البلاغة في ظلال القرآن، لينتقل بعدها إلى البلاغة في كتب اللغة والأدب والنقد بين القرنين الثاني والثالث، ثم البلاغة في كتب النقد بين القرنين الرابع والخامس، ليعرج على عصر النضج والازدهار ويؤرخ له بالقرن الخامس، ليخلص إلى مرحلة نحو الانحراف والجمود ابتداءً من القرن السابع"[1].

واختيار كتاب مازن مبارك يعود إلى صِغر حجمه ووضوح فصوله وإيجازها، ممّا يُشجع طالب العلم على قراءته مراتٍ عدة.

دراسة أخرى لتاريخ البلاغة ولكن التقسيم فيها كان بحسب بيئاتها وهو ما قدّمه سنة **1999م** **مصطفى الجويني (1920 م-1988 م)** في كتابه "أوساط البلاغة العربية" إذ أقر الجويني أن تتبعه للبلاغة لم يكن تتبعا موضوعيا ولا زمنيا بل آثر الدرس البيئي لما له من تأثير في تشكيل ذوق الجماعة من ميراث وورثة[2]، توزع الكتاب على ستة فصول خصّ كل فصل منها لبيئة من البيئـــات العربية وهـــي: (بيئة العراق، بيئة أقصى الشرق، بيئة اليمن، بيئة الشام، بيئة مصر بيئة المغرب والأندلس)، وفي كل بيئة كان الجويني يعرض أبرز أعلامها ومؤلفاتهم.

ويجدر القول أنّ هناك دراسات بلاغية جزئية لفتت نظر **محمد العمري**، كما فعل ذلك **أحمد مطلوب** في الدّراسة التي قدّمها حول السّكاكي، إلى جانب دراسات أخرى حاولت أن تنير بعض النّقاط التي لم يتم طرقها، في موضوعات متعددة، مثل موضوع الصّورة (الصّورة الأدبية لمصطفى ناصف)، و(الصّورة الفنية في التّراث النّقدي والبلاغي لجابر عصفور) و ...إلخ[3].

[1] – مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر المعاصر، ط3 / 2004، ص 130.

[2] – ينظر، الجويني مصطفى، أوساط البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، 40 ش سوتير، الإزاريطة، الإسكندرية مصر 1999، المقدمة.

[3] – عثماني عمار، ملامح تجديد البلاغة في كتاب البلاغة العربية قراءة أخرى لمحمد عبد المطلب، جامعة وهران 1 2016، ص14.

بناء على العرض الذي قدمنا فيه جملة من المؤلفات يمكن القول أنّ البحث في التاريخ للبلاغة انقسم إلى مجموعات عمدت كل مجموعة إلى تحقيب سيرورتها التاريخية عبر محطات زمنية أو بيئية، فهناك من تدرّج بتاريخها عبر القرون كما فعل **عبدالعزيز عتيق** في كتابه" في تاريـــخ البلاغة العربية" و**بدوي طبانة** في كتابه: "البيان العربي" وهناك من عمد إلى العلوم يسائل مصنفات أصحابها عن قسط مساهمتهم في مباحث البلاغة كما فعل **مصطفى المراغي** في كتابه: "تاريخ علوم البلاغة" ومعظم المؤلفات اعتمدت التقسيم إلى مراحل كمراحل حياة الكائن الحي ولادة ونشأة، ثم اكتمالا وازدهارا ثم نضجا واستقرارا، ثم جمودا وانحدارا، وهو التّقسيم الذي أخذ به كل من **شوقي ضيف** في كتابه" البلاغة تطور وتاريخ"، و**عبدالقادر حسين** في كتابه "المختصر في تاريخ البلاغة "، و**علي عشري الزايد** في كتابه " البلاغة العربيـــة" و**مازن المبـــارك** في كتابـــه" الموجز في تاريخ البلاغة".

إنّ هذه المؤلفات ميّزها الطابع التأريخي للتأليف البلاغي، زمنا أو بيئة فهمّ المرحلة توقّف عند الجمع والحفظ و التخزين وصعب مع السرد الارتكاز على الشّمول والعمق.

هذه الدراسات تمثل إسهاما في تقديم تأريخ للبلاغة في شكل لبنات متناثرة ، تنتظر من يبني جسرها بانسجام واتساق، جديتها أنها فتحـــت المجال أمام الباحثين للنّظر في تفكيـــر القدماء بلاغيا، وهذا ما سيعتني به **حمادي صمود** في المرحلة الموالية إذ انتقد هذه المرحلة وعدّها جهودا لا تخلو على أهميتها من النقص، فهي أعمال لم تلم بمختلف مراحل البلاغة نشأة وتطورا واكتمالا، ومن مخلفات توجهها السردي التأريخي هو إضعاف جانبي التأليف والاستنتاج[1]، مما أفقدها العناية الكافية بالتأريخ للبلاغة في ذاتها رؤية، منهجا وإجراء.

[1] – ينظر، صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط3/2010، ص 12.

وبهذا وجب تجاوز القراءة السردية التأريخية ذات الهدف التعليمي والنظرة التجزيئية وبات من الضرورة محاورة العصر، والكتابة بلسانه، والبحث عن أدوات تفسر المخزون التراثي تفسير فعالية.

2. تأريخ المغاربة للبلاغة العربية:

ما تزال إلى يومنا هذا تطرح أسئلة لأجل فهم كنه البلاغة العربية، فهل بإمكان التراث البلاغي الإجابة عن أسئلة البحث العلمي الحديث؟

لعل الإجابة عن هذا السؤال مردّها إلى تفعيل الجدل بين التراث والحداثة في مؤلفات الباحثين التي تتصدى لدراسة البلاغة العربية، ومن الباحثين الأوائل الذين كتبوا في ظل هذه الثنائية نجد حسب الترتيب الزمني **حمادي صمود** التونسي في كتابه "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) سنة **1981** يليه **محمد الصغير بناني** الجزائري في أطروحته للدكتوراه بعنوان "البلاغة العربية وأصولها النظرية دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السّابع الهجري جامعة الجزائر**2**، والتي نوقشت سنة **1993**، ثم **محمد العمري** المغربي في كتابه: "البلاغة العربية أصولهـــا وامتداداتهـــا"، الصادر سنة **1999** والملاحظ في هذه الفئة أنّها تنتمي إلى إقليم جغرافي يسمى "المغرب العربي" فهم أعلام مغاربة معاصرون.

لخّص **محمد العمري** المبتغى من إعادة كتابة تاريخ شامل للبلاغة العربية ومن الضرورة العودة إلى تراثنا ومساءلته والأجدر بالذكر أن تكون هذه المساءلة في غير استكراه، وأن تكون بدقة متناهية في التعبير، وتكون بشكل عفوي، وهو يقتفي بذلك خطوات الضفة الأخرى من أهل الغرب "عاد الغربيون لمساءلة بلاغة أرسطو ومن جاء بعد أرسطو من اليونان واللاتين دون أي

إحساس منهم بالاستلاب"[1]. وهو بهذا يرد على مخاوف **حمادي صمود** من قضية الاستيلاب[2] ومزالقه، **فالعمري** يفضل تجاوز قضية التأثر والتأثير، فلا جدوى منها، ومناقشتها تمثل جدلا عقيما.

ومنه اقترنت القراءة بعملية أخرى، هي "التأويل"، هذا الأخير يعد من أسس نظرية القراءة التي تبناها **محمد العمري** في مقاربته للتراث البلاغي مستفيدا من نتائج **حمادي صمود** والتي ترى من خلال تعبير الباحث **عمار عثماني** أنّ التّعامل مع التّراث البلاغي هو تعامل مع النّصوص بشكل خاص[3]، وهي نظرة يوافقهما فيها **محمد الصغير بناني** في معرض حديثه عن الحذر أثناء التّعامل مع المناهج الغربية.

تعزى البدايات الأولى لانتشار المناهج الغربية الحديثة عامة والمنهج البنوي بخاصة – اعتباره أول هذه المناهج – في الدراسات اللغوية عند العرب في العصر الحديث إلى جهود عدد من الباحثين أمثال: **إبراهيم أنيس، تمام حسان، عبد الرحمن أيوب، كمال بشر، كمال أبو ديب أحمد مختار عمر**، و**عبد الصّبور شاهين**.

وهؤلاء وإن أسسوا للمنهج البنوي في الدراسات النقدية تحديدا، إلا أن هناك من المفكرين المغاربة من قدّموا دراسات استعانت بالمنهج البنوي، أمثال: "**محمد بنيس** في كتابيه: "ظاهرة الشّعر العربي المعاصر بالمغرب" و" الشّعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته"، و**عبدالملك مرتاض** في كتبه: "الخصائص الشّكلية للشّعر الجزائري" و "النّص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟" و "بنية

[1] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، إفريقيا الشرق المغرب، ط2013/1، ص 246.

[2] تعدّ قضية الاستلاب من القضايا الشائكة التي شغلت بال حمادي صمود وعدّها من الصعوبات بل من المخاطر الحافة لكل عمل راجع ص 13 من كتابه التفكير البلاغي، وكونها جزء من الدراسة سنخصص لها قراءة تحدد الرؤية الصحيحة أثناء الاستفادة من التراث، وربط جسور التواصل بينه وبين الفكر الحديث.

[3] – ينظر، عمار عثماني، ملامح تجديد البلاغة في كتاب البلاغة العربية قراءة أخرى لمحمد عبد المطلب، ص15.

الخطاب الشعري" و**حمادي صمود** وغيرهم إذ يعتبر المنهج البنوي من المناهج والأدوات التي تصلح للإجابة عن أسئلة التراث البلاغي، فهو يقوم على الوصف والإحصاء، ولعلّ أفضل وصف أطلق على العملية البنوية بشكل عام، هو ذلك الذي "قدّمه **رولان بارت** إذ يقول: إنّ البنوية تمثل عملية ذات جزءين: الجزء الأول منها هو التّشريح (dissection) والثّاني هو الرّبط (articulation)، ونحن عندما نقول التّشريح، فإنّنا نعنى بهذا عملية الاكتشاف لبناءات النّص الأساسية، أمّا الربط فهو يمثل إعادة توحيد هذه البناءات على نموذج للنص أو شكل مواز له"[1].

إنّ هذا النوع من القراءات يستأنس بالدّرس اللساني في نقد التّراث البلاغي وتقويمه وقد تبنّى هذا المنهج في قراءة التراث البلاغي كثير من الباحثين العرب، نجد: **عبد السلام المســدي** في كتابه "المقاييــس الأسلوبية في النقد الأدبي من خـــــلال البيان والتبيين" **1976**، ونجد عمل **أمجد الطرابلسي** في "نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة"، و**حمادي صمود** في كتابه "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس" **1978**، والذي مهّد الطريق للباحثين في التّراث البلاغي بتقديمه مشروع قراءة للتفكير البلاغي وأبان عن وعيه بالدرس البلاغي تفكيرا وتأسيسا، ثم جهود **محمد الصغير بناني** في كتبه: "النّظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين" **1983**، و"المدارس اللسانية في التــراث العربـــي في الدراسات الحديثـــة **1985** وأطروحته "البلاغة العربية وأصولها النظرية"**1993**، تعد هذه الأخيرة نموذجا لمشروع بلاغي جمع فيه صاحبه بين الموسوعية والشمولية، وهذا يقدم مادة البلاغة العربية ليفسح المجال لمشروع **محمد العمري** في كتابه "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"، والذي يمكن اعتباره أضخم مشروع قرأ التراث البلاغي أصولا وامتدادا.

[1] – مالطي فدوى، بناء النص التراثي، دراسات في الأدب والتراجم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ص 14.

وفي ضوء إمكانية القراءة اللسانية البنوية وجدواها قد تسهم هذه الأعمال في إضاءة جوانب جديدة من التراث البلاغي، فإنّ الماضي يبقى نصا مفتوحا للقراءة على الدوام على حد تعبير **محمد العمري**، وهذا ما لا تملكته القراءة التاريخية التحقيبية للتراث البلاغي حتى تجيب عن أسئلته.

وقبل الشروع في النماذج المختارة، يتوجب علينا التوقف عند بعض الدراسات للتراث البلاغي، وان تميزت بالطابع الجزئي إلا أنها رأت أنّ المكتسب اللساني اليوم يتصدر "محور أيِّ نشاطٍ علميٍّ على وجه هذه الأرضِ"[1].

فأمجد الطرابلسي(1916 م – 2001 م) وفي كتابه: "نقد الشّعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة"، يشترط لمن رام اتباع المناهج المعاصرة وقراءة التراث في ضوئها أن يكون مزودا بما لابد منه للقيام بهذه المهمة الشاقة التي تتطلب منه أن يكون كامل الأداة: أي أن يكون من جهة متمكنا من ثقافته التراثية، وأن يكون من جهة ثانية مطلعا بوضوح ودقة واستنارة على معطيات المناهج المعاصرة، وقادراً على استعمال مصطلحاتها في مواضعها"[2].

وكتاب **الطرابلسي** الذي ترجمه **ادريس بلمليح**، وطبع الطبعة الأولى سنـــة **1993** هو في أصله بحث جامعي كُتب بلغة فرنسية تقدّم به مؤلفه إلى جامعة الصوربون في باريس ونال به درجة الدكتوراه، وطبع سنة **1956**.

[1] – حافظ اسماعيلي علوي ووليد أحمد العناني، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، دار الأمان الرباط منشورات الاختلاف، ط2009/1، ص 12.

[2] – الطرابلسي أمجد، نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة، ترجمة إدريس بلمليح، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1993/1، ص 06.

ويعدّ **أمجد الطرابلسي** من أوائل الباحثين المعاصرين الذين قدّموا رؤية منهجية دقيقة في قراءة التراث النقدي والبلاغي، تستند إلى منطلقات نظرية وآليات تحليلية، تتوسط رؤيتها للتراث فلا تمجده ولا تدعو إلى تجاوزه ومقاطعته، بل تؤسس لمقاربة تأصيلية للتراث، تنطلق من "مواكبة علوم العصر واستيعاب معارفه وتنظر في منجزات العرب القدامى لفهمها في سياقها التاريخي والمعرفي بغاية ربطها ربطا تفاعليا وليس تلفيقيا مع التصورات الحديثة والمعاصرة"[1] فالملاحظ أنّ منهج **الطرابلسي** في تناوله التراث منهج حفري ومنمذج[2]، منهج علمي يناسب طبيعة المادة التراثية المدروسة.

ويبدو أنّ قراءة **الطرابلسي** للتراث البلاغي في كتابه السّابق الذكر تنحصر في موقفه من مسألة التأثير الأرسطي في البيان العربي، حيث "اعتبر أمجد ظهور كتاب الخطابة لأرسطو في المناخ العربي عاملا في بلورة الرؤية البيانية العربية، وكأن المناهضين للتأثيرات الخارجية قد تصدوا لتأثير كتاب الخطابة بالاجتهاد في وضع دراسات بلاغية والارتقاء بها إلى مستوى أرسطو أو إلى ما يفوقه، فتمخض عن ذلك خلق علم جديد هو علم البديع"[3].

ويشير **محمد عبد المطلب (1937** م – يومنا هذا) في كتابه "البلاغة العربية .. قراءة أخرى"، إلى أنّ بدايته مع قراءة البلاغة العربية تراثا وحداثة كانت في كلية دار العلوم بالقاهرة حيث حثّـــه أستاذه في الكلية **حفني شرف** على الالتحاق بالدراسات العليا في البلاغة العربية

---

[1] – المرجع نفسه، ص 07.

[2] – يقصد بالمنهج الحفري البحث في الارهاصات الأولى لتشكل الوعي النقدي والبلاغي عند العرب، ويقصد بالمنهج المنمذج بناء تلك الارهاصات وتصنيفها وتبويبها.

[3] – أرحيلة عباس، كلمات حول الدكتور أمجد الطرابلسي (موقع محمد العمري على الشابكة)
http://www.medelomari.net/trabulsi/cv_trabulsi.htm، ويقصد بعلم البديع، البلاغة.

ليكمل دراسته في الدكتوراه عن التخصص نفسه، ويجمع بين الثقافة العربية الأصيلة والدراسات الحديثة.

ويذكر **محمد عبد المطلب** نصيحة **عزّ الدين اسماعيل** له بأنّ: "هناك انفتاح جديد على البلاغة الجديدة، فإذا أردت أن تكون صاحب مكانة علمية فانفتح على هذه القراءات"[1]، وهو ما عمل به عبدالمطلب إذ بحث في الدرس الحديث، لكن ظل التراث عنده صاحب المكانة الأولى فكان همّه أن يثبت أنّ في التراث ما يصلح لمواجهة التحولات الجديدة في الأدب والنقد" والبلاغة كانت شاغلي وكانت هناك مقولة تتردد عن أنّ "البلاغة علم قد احترق" أي لم تعد له صلاحية. وبعد أن قرأت الأسلوبيات والبنيويات والسيميائيات، ونظريات ومناهج الحداثة كلها اكتشفت أنها هي البلاغة مع تغيير المصطلحات، فقدمت كتابي (بناء الأسلوب في شعر الحداثة) وطبقت علم البديع، الذي يقولون إنه علم متخلف على الشّعر العربي الحديث كله، وأثبتّ بهذا الكتاب أنّ البلاغة فيها ما يصلح لتناول النّص الحديث، بل أثبتّ أنّ كثيرا من مصطلحات الحداثة ليست إلا تعديلا للمصطلح العربي القديم"[2].

ويعمل **عبدالمطلب** في كتابه "البلاغة .. قراءة أخرى" على إثبات صلاحية البلاغة العربية في كل مرحلة من مراحلها حيث يقول: "لقد أثبتّ في جهود هذه المرحلة صلاحيتها ورددت فيها على التهم التي وجهت إليها بأنّها بلاغة جزئية، وبأنها بلاغة لا تعرف إلا إصدار القيمة، وبأنها بلاغة التقسيمات والتفريعات. كل هذا ناقشته وأثبت أنّ ما في البلاغة العربية هو في البلاغة الحديثة" [3].

---

[1] – محمد عبدالرحيم الخطيب، حوار أجري مع محمد عبدالمطلب، مجلة الجسرة الثقافية قطر، العدد 43 / أفريل 2017، ص 57.

[2] – المرجع نفسه، ص 54.

[3] – المرجع السابق نفسه، ص 55.

استفاد **محمد عبد المطلب** من عتاد الدرس اللساني الحديث وهو يعيد الاعتبار للبلاغة العربية، نجده اعتمد على البنية البلاغية وتحولاتها وطابقها على منهج النظرية التوليدية التحويلية، ويبقى بحثه فيه من النظر الذي سيراجعه من يأتون بعده، وهو بهذا يخالف العمري الذي حذر من المطابقة بقوله: "فقد بينا كيف أنّ الفلاسفة العرب لم يكونوا مشغولين بالتطابق مع أرسطو، وأنه لا جدوى من هذا التطابق، لو فرضنا وقوعه، بل هم صريحون أنّ ما يهمهم هو الكليات أو القوانيـــن العامة عند كل الأمـــم أو عند أغلبهـــا"[1] وتبدو المطابقة عند **عبدالمطلب** من خلال تقسيم كتابه إلى فصول ثمانية، الفصل الأول بيّن موقفه من البلاغة ويظهر تعلقه الشديد بالتراث والدفاع عنه، ثم الفصل الثاني الذي عنونه بـــــ: (مدخل إلى البلاغة)، ليشير في الفصل الثالث: (المدخل بين التراث والحداثة) إلى إمكانية الاستفادة من النظريات الغربية الحديثة ووجوب ذلك دون إهمال للتراث أو انتقاصه، ثم يسمي الفصل الرابع منه (بنية التحول) والخامس (أسلوبية التحول)، ليدخل ضمنيا في تأكيد الاتجاه التحويلي وأسلوبيته في تجديد البلاغة، ويتناول في الفصل السادس (أسلوبية التحول)، ليواصل عبر كتابه الأخذ بمصطلح البنية والتحول عبر بقية فصول الكتاب، وهما مصطلحان بنيويان توليديان.

وفي قراءة تحليلية للتراث البلاغي، يبيّن **صابر الحباشة** في كتابه : "الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني" الذي طبع أول مرة سنة **2009**، أنّ عمله: "ينتمي إلى ضرب من ضروب الدراسات، التي تسعى إلى قراءة التراث البلاغي قراءة معاصرة تستثمر بعض المناهج اللسانية المستحدثة، وتتوجه الدراسة إلى جزء من ذلك التراث عدّ كالمهمـــل عند المحدثين

[1] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1/1999، ص 10.

ونعني (الشروح البلاغية)، وقد اعتمدنا مدونة مخصوصـــة هي شروح التلخيــص للقزوينـــي **(ت 739 هــ)**"[1].

ولقد انطلق **صابر الحباشة** من خلال كتابه الذي قسمه إلى بابين: الباب الأول تناول فيه مصطلح الأبعاد التداولية مشيرا إلى العلاقة الكامنة بين الثالوث:(النّحو/ البلاغة التّداولية) ليخصص فصلا لعلم المعاني ويحلل مبحث أحوال المسند والمسند إليه، مقارنا إيّاه بما هو موجود في المقولات التداولية كالقيمة الحجاجية في مقابل القيمة الإخبارية ومفهوم المقام أو السياق...

ومن خلال كتابه يخلص **صابر الحباشة** إلى حقيقتين، أمّا إحداهما فهي ثراء التراث لأنّ الكثير من معطياته وصلت إليها التداولية، ويظهر فيما طرقه أصحاب الحواشي والشروح والحقيقة الثانية حاجتنا اليوم إلى التسلح بالصبر وكدّ الرؤية في سبيل الملاءمة بين روح التراث من جهة ومقتضيات الرهانات العلمية في هذا العصر..

بهذا يمكن القول أنّ الدراسات التي قدمت قراءتها للتراث البلاغي قراءة لسانية حداثية لم تستوف – على أهميتها – شروط النمذجة التي يمكن حصرها في عنصرين:

1- التأريخ الشامل للبلاغة لا للتأليف البلاغي.

2- القراءة بأدوات حديثة تبحث في الكليات لا عن التطابق.

وفي نظرنا أن النماذج المختارة للبلاغيين المغاربة المعاصرين قد تستوفي هذين الشرطين (الشمولية والعمق).

[1] – الحباشة صابر، الأبعاد التداولية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط2009/1، ص 09.

الفصـــل الأول

كتاب التّفكير البلاغي عند العرب
تأريخ للبلاغة لا تأريخ للتّأليف البلاغي

المبحث الأول: هندسة الكتاب وغاياته.

المبحث الثاني: قراءة حمادي صمود: الإمكانية والجدوى.

المبحث الثالث: المناهج والنّظريات المعاصرة المتوسل بها.

المبحث الأول: هندسة الكتاب وغاياته.

1 . 1 : عنوان الكتاب.

1 . 2 : أقسام الكتاب.

1 . 3 : مركز ثقل البلاغة وغاياتها.

المبحث الثاني: قراءة حمادي صمود: الإمكانية والجدوى.

2 . 1 : مفهوم القراءة وإمكانياتها.

2 . 2 : التوسل بأصول البلاغة.

2 . 3 : جدلية التراث والحداثة.

المبحث الثالث: المناهج والنّظريات المعاصرة المتوسل بها.

3 . 1 : الأسلوبية.

3 . 2 : الشعرية.

3 . 3 : الحجاج.

3 . 4 : الاهتمام بالقارئ (التلقي).

المبحث الأول: هندسة الكتاب وغاياته:

برغم التّهميش الذي طال البحث المغاربي عامة والجزائري خاصة مقارنة بالبحث المشارقي، إلاّ "أنّ جل الدّراسات العربية في ميدان البلاغة الجديدة هي دراسات لنّقاد مغاربة من أمثال **حمّادي صمّود** و**محمد العمري** و**محمّد الولي**"[1]. هذا القول يؤكد أنّ القراءة في ضوء مكتسبات البحث العلمي الحديث فتحه المغاربة، فقد أفرزت مضامينهم وعي هؤلاء البلاغيين لمتطلبات الدرس الحديث، وهو ما يبدو جليا في مؤلفاتهم المختارة في بحثنا ولعلّنا نصل بدراستها إلى تأكيد تصور عام يجمع بين أعمالهم في شكل من التكامل والتناسق، وإنّ الكتاب الأول المرشح للدرس يعود لحمادي صمود تحت عنوان: "التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره في القرن السادس (مشروع قراءة)" كما سبق وذكرناه والسبب في تسبيق هذا المؤلف منهجيا يرجع إلى كونه الأسبق في الصدور.

وقبل الحديث عن المؤلَّف وجب تقديم نبذة عن حياة المؤلِّف، هو حمّادي حميدة صمّود من مواليد **25** جوان **1947** بمدينة قليبية ولاية نابل شمال شرق تونس، حاصل على شهادة البكالوريا سنة **1965**، الإجازة في اللغة والآداب العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس **1968**، شهادة الكفاءة في البحث العلمي تحقيق الجزأين السادس عشر والثامن عشر من تفسير يحيى بن سلاّم التيمي البصري القيرواني**200** هـ تونس **1970** شهادة التبريز في اللغة والآداب العربية، كلية الآداب تونس **1972**، دكتوراه الدولة في اللغة والآداب العربية، كلية الآداب تونس **1980** بأطروحته "**التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره في القرن**

1 – سونة حسين، سليم سعدلي، مقال بعنوان: "امتدادات البلاغة الجديدة في النّقد المغاربي"، مجلة البدر، جامعة بشار المجلد 10العدد08، سنة 2018، ص 911.

السادس (مشروع قراءة)"، إشراف الأستـــاذ **عبد القادر المهيري**، وقد تمت المناقشـــة فـــي**25** جانفي **1980** وأسند لصاحبها اللقب بملاحظة مشرّف جداً[1].

امتهن حمادي صمود التّدريس والبحث: ففي سنتي **1968** و**1969** أستاذ بالمعهد الفني في نابل، ثمّ بين سنتي **1969 – 1971** أستاذ للتعليم الثانوي ملحقا بمعهد بورقيبة للغات الحية لتدريس العربية لغير الناطقين بها، ثمّ **1971 – 1972**: أستاذ بالصادقية وهي أهم مؤسسات التعليم في تونس، ثمّ **1974 – 1980** أستاذ مساعدا بالكلية نفسها وفي سنوات **1981 – 1984**، **1995** أستاذ بالجامعات الفرنسية باريس**8** وباريس**3** ودار المعلمين العليا.

وفي مجال البحث شغل **صمّود** منصب رئيس وحدة البحث في تحليل الخطاب بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة، وشارك في مؤتمر اللسانيات **1978**، وهو أوّل لقاء يعقد في العالم العربي في قضايا اللسانيات النظرية واللسانيات العربية، كما ساهم في الإعداد مع المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي CNRS وجامعة ليون**2**، للأيام الأولى لقضايا البلاغة والحِجاج في الثقافة العربية **2002 و 2004**.

نال **صمّود** العديد من الجوائز أهمّها: "جائزة رئيس الجمهورية في امتحان التبريز**1972** جائزة رئيس الجمهورية في امتحان الإجازة **1986**، جائزة الدولة في العلوم الإنسانية**1994** ووسام الاستحقاق التربوي، جائزة الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة **2009** جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للترجمة لعام**2011**، جائزة سلطان بن علي بن عبدالله العويس الثقافية في مجال الدراسات والنقد في دورتها الـــ**15** بدولة الإمارات العربية المتحدة جائزة أبو القاسم الشّابي بتونس عن كتابه: "طريقي إلى الحرية" وهو كتاب سيرة ذاتية للمؤلف.

[1] – صمّود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب وتطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2010/4، غلاف الكتاب.

ألف صمّود العديد من الكتب أهمّها: التّفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة): ط**1981/1**، ط**1994/2**، ط**2010/3**، الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة: ط**1988/1**، ط**2010/2**، في نظرية الأدب عند العرب**1995**، من تجليات الخطاب الأدبي، قضايا نظرية**1999**، من تجليات الخطاب الأدبي قضايا تطبيقية **1999**، من تجليات الخطاب البلاغي**1999**، بلاغة الهزل وقضية الأجناس الأدبية عند الجاحظ**2002** بلاغة الانتصار في النقد العربي القديم**2005**، طريقي إلى الحرية **2017**[1] صورة المجتمع العربي الإسلامي من خلال كتب أخبار الأدب: كتاب الأغاني للأصفهاني**2019**، وله العديد من المقالات والدراسات المنشورة في الموسوعات والدوريات العالمية المحكمة.

1.1 عنوان الكتاب:

حمل كتاب **حمّادي صمّود** العنوان التالي: "التّفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السّادس الهجري (مشروع قراءة)"، ومثّل محتواه أطروحته العلمية التي نال بها درجة الدكتوراه – سنة **1980**، طبعت في كتاب عدة طبعات، أوّلها سنة **1981** عن منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية بعدد صفحات ستمئة وواحد وسبعين صفحة، ثم الطبعة الثانية سنة **1994** عن دار مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر بعدد صفحات ستمئة وخمس وخمسين صفحة، ثم الطبعة الثالثة سنة **2010** عن دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان بعدد صفحات خمسمئة واثنين وسبعين صفحة.

تعتبر قراءة **حمادي صمود** أوّل قراءة تستدعي الاستئناس بأدوات اشتغال مكتسبات البحث العلمي الحديث بشكل واع، ودلالة القوسين في عبارة (مشروع قراءة) أنّه يقرر أن قراءته هي

[1] – المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، السيرة الذاتية حمادي صمود منشورات 2014.

عبارة عن محاولة أولية، وهو ما أكده **العمري** من إنّ القارئ لكتاب **صمود** يحتفظ في واجهة ذاكرته بعبارة (مشروع قراءة) محصورة بين قوسين يعطيانها قوة: قف أو انتبه قبل أن يدخل إلى مقدمة الكتاب ليستمع إلى الموقع الذي وضع فيه المؤلف قراءته[1].

1 . 2 أقسام الكتاب:

ان تشابهت طبعات كتاب **صمّود** الثلاثة في مضمونها المعرفي، فقد اختلفت تسميات تقسيمه للمنجز، إذ اعتمد في الطبعة الأولى والثانية على نظام الأقسام، بينما في طبعته الثالثة المعتمدة في بحثنا انتهج نظام التّبويب والفصول، عرض من خلاله مادته العلمية في ثلاثة أبواب، وشكّل **الجاحظ** فيها الرابط المفصلي:

1. 2 . 1 مقدمة الطبعة الثالثة[2]:

أشاد **صمود** في مقدمة كتابه للطبعة الثالثة بدار الكتاب الجديد ومديرها العام الذي رغب في استصدار طبعة جديدة للكتاب، ثم بيّن **صمود** أنّ عمله جاء تحت ضغط مدونة البلاغة العربية الواسعة والتي اختار لها فترة زمنية تفوق ستة قرون سعى من خلالها إلى بناء التراث البلاغي من جديد متجاوزا التصورات الأسلوبية التي لم يعد بإمكانها الصمود أمام التطورات الجديدة في مجال الدراسات اللغوية، وبخاصة في مرحلة شهدت إعادة الخطابة إلى ما كانت عليه في التقاليد الأرسطية وإمكانية قيام علم للأدب مادته مكونات النص التراثي اللغوي.

1 – ينظر، العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 9.

2 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، من صفحة 5 إلى صفحة 8.

1. 2 . 2 مقدمة الطبعة نفسها من صفحة 11 إلى صفحة 17:

يشير **صمّود** في مقدمة الكتاب إلى الحركة التّأليفية الضخمة والنّشطة في مجال البحث البلاغي التي شهدها القرن التاسع عشر، وبيّن مختلف الجوانب التي مستها هذه المؤلفات ورغم إشادته بها إلا أنه اعتبرها ناقصة كونها تناولت مراحل البلاغة من زاوية تاريخية أضعفت جانب التأليف والاستنتاج ولم تهتم بالأسس التي بني عليها التفكير البلاغي في شقه الجمالي، ليقر أنّ هذه المؤلفات جاءت "جلها تأريخا للتأليف البلاغي لا تأريخا للبلاغة"[1] كما لم يخف **صمّود** قصور هذه المؤلفات في إقحام البلاغة في حقل العلوم الأدبية، ويرجع السبب في ذلك إلى غياب جدلية التراث والحداثة وهو ما سنفصّل القول فيه ضمن هذا الفصل، كما أفصح **صمّود** في مقدمة كتابه عن الصعوبات التي واجهته أثناء خوض غمار هذا البحث البلاغي فذكر مشكل الاستيلاب الثقافي[2]، لينتقل بعدها إلى جملة المصادر التي اعتمدها في بحثه وأشار إلى أنّه لم يكتف بالمؤلفات التي اشتهرت بتوجهها البلاغي الصرف فاعتمد مؤلفات تناولت ظاهرة اللغة[3].

ومن الصعوبات العملية والمنهجية التي أقر **صمّود** بوجودها تحديد نقطة ارتكاز يمكن اعتبارها منطلق البحث البلاغي[4]، ليقف مع القارئ على جملة العوامل التي دفعته لاختيار **الجاحظ** كمركز ثقل لهذا البحث، وبهذا يكون عمل **صمّود** موزعا إلى أقسام ثلاثة يمثل **الجاحظ** المركز فيها، وعن هذا يقول **صمّود:** "وكان لا بد لدراسة أطوار البلاغة العربية على مدى يزيد على ستة قرون فيحتوي هذا العلم نشأة وتطورا واكتمالا من البحث عن نقطة ارتكاز تكون

1 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 12.

2 – ينظر المرجع نفسه، ص 13.

3 – ينظر المرجع نفسه، ص 14.

4 – ينظر المرجع نفسه، ص 15.

بمثابة مركز الثقل لذلك المحور الزمني الطويل، تذلل، أمامنا بعض العقبات وتقوم علامة بارزة تهدينا في محاولتنا تبين مقدار ما سهمت به الفترات، قبلها وبعدها في بناء العلم"[1]، وبهذا جاء تقسيم الكتاب كالتالي:

1. 2 . 3 الباب الأول البلاغة قبل الجاحظ (من صفحة 19 إلى صفحة 121):

تعني مرحلة البلاغة قبل **الجاحظ** مرحلة التمهيد أو النشأة عند سابقيه[2] وأبرزهم **شوقي ضيف** في كتابه "البلاغة تطور وتاريخ" في قوله: "التاريخ الذي تمثلته لبلاغتنا وما طوي فيه من تطور، جعلها تنتقل في أربع مراحل هي مراحل النشأة والنمو والازدهار والذبول"[3]، وفي هذا إشارة من **شوقي ضيف** إلى أول مرحلة من مراحل البلاغة.

في هذا الباب عرض **صمّود** تصوره من خلال فصول ثلاثة وإن تكرر من هذه المادة المعرفية مع ما جاء في مرحلة تلته إلا أنّه من الموضوعية التوقف على محتويات كل فصل لاستكشاف جديد **صمّود** في موضوع التأريخ للبلاغة، فالجديد اعتباره الجاحظ حدثا تاريخيا أسهم في وضع أسس التفكير في البلاغة العربية وتوجيه درسها، وبهذا يتوجه **حمادي** توجها يرجح كفة على أخرى في التأريخ للبلاغة، وبهذا توزعت مادة فصول هذا الباب كالتالي:

<u>الفصل الأول</u>: تناول فيه **صمّود** عوامل النّشأة، فاستهلها بالشّعر الجاهلي إذ عدّه أوّل منابت البلاغة، ثم انتقل إلى نزول القرآن الكريم مبرزا إياه مستعيرا له لفظ" الحدث"[4]، احتوى عامل

---

1 – ينظر المرجع السّابق، ص 15.

2 – كما فعل شوقي ضيف في كتابه "البلاغة تطور وتاريخ"، وعلي عشري زايد في كتابه "البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها"، ومازن المبارك في كتابه "الموجز في تاريخ البلاغة"، غير أنّ الفارق بينها وبين مؤلف صمود هو عدم اعتمادها مركزية الجاحظ وان اتفقت على مراحل التطور.

3 – ضيف شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، ص 5.

4 – هذه الصفة أطلقها بعض المهتمين بالحضارة العربية من المستشرقين، ينظر صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 32.

القرآن خصائص اختلفت عما سبقها ويشكل "الإعجاز" و"المجاز" مبحثين بيّنين في هذا العامل، لينتقل إلى عامل تقعيد اللغة، ليكشف عن علاقة النحو بالبلاغة وتوطيد الصلة بينهما وبين معيار الفصاحة، ليأتي العامل الرابع من عوامل النشأة ممثلا في الحاجة إلى التعلم والتعليم، وما انجر عن هذه العملية من قوانين لفني الخطابة والكتابة، ولم يغفل **صمّود** عن الإشارة إلى المؤثرات الأجنبية جازما بعدم حضورها على الأقل في هذه الفترة.

الفصل الثاني: يؤكد **صمّود** على أنّ المادة البلاغية التي وجدت في فترة ما قبل الجاحظ هي مادة مأخوذة من مصادر غير مباشرة، حيث عدّ كتاب "مجاز القرآن" المنسوب إلى **قطرب** وكتاب "الفصاحة" **لأبي حاتم السجستاني** من الكتب الأدبية التي لا ترقى إلى تحليل مسائل بلاغية وتعليلها علميا، وذكر أنّ كتاب "مجاز القرآن" **لأبي عبيدة** هو المصدر الوحيد الذي يوافق محتواه عمله الوصفي التحليلي التعليلي، إذ قدّم الكتاب وحلل مادته وخلص إلى أنّه بالرغم من أهمية الكتاب فهو لم يحو من المعطيات البلاغية أكثر مما حوت كتب اللغة الأخرى[1]، فكان أن أدخله ضمن القسم الذي لم يكن اهتمامه لذات البلاغة مثل ما عمل كتابي "الكتاب" **لسيبويه**، وكتاب "معاني القــرآن" **للفرّاء**[2] يخلص **صمّود** في هذا القسم إلى نتائج هامة تمثلت في جملة القوانين والمبادئ العامة للتّفكير البلاغي استخلصها من مصادر لغوية ونحوية لم تحرر لذات البلاغة ولكنها أفادت درس البلاغة من جوانب عدة: في المصطلح، المنهج والإجراء، وبهذا فمصطلح البلاغة لم يرق في مرحلة النشأة إلى المفهوم العلمي العقلي المجرد، وهو ما أكدّه صمود ورأى أن الطور الموالي الذي يتربع الجاحظ بمفرده على عرشه له دور في جمع أجزاء النشاط البلاغي المشتت خلال المرحلة الأولى.

1 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 91.

2 – ينظر المرجع نفسه، ص 90.

ومن مفرزات هذا الباب وهو يؤرخ لنشأة البلاغة وقوع **صمّود** أمام منهجين: إمّا تبني سُنّة البحث عند الأوائل ومحاولة ضبط نشأة البلاغة بتاريخ محدد أو تنسب النشأة إلى شخص أو أشخاص معينين، وإمّا المنهج الثّاني التّسليم بأنّ نشأة العلم أي علم هي عملية ثقافية وحضارية معقدة لا تضبط بتاريخ محدد أو تنسب لشخص بعينه[1].

مال **صمّود** للمنهج الثّاني فهو حسب رأيه أسلم وأقرب إلى الروح العلمية في البحث ليصل في ختام الباب الأول إلى أنّ الحدث القرآني وحركة جمع اللغة وتقعيدها أكثر العوامل التصاقا بنشأة البلاغة[2].

1. 2 . 4 الباب الثاني: الحدث الجاحظي [مرحلة التأسيس][3] :

يعتبر **صمّود** هذا الباب عصب البحث بقوله: "لذلك رأينا أن نقسم هذا المبحث إلى ثلاثة أقسام يحتل منها الجاحظ المركز: ما قبل الجاحظ، الحدث الجاحظي، ما بعد الجاحظ"[4].

وفي هذا الباب بوّأ **صمّود الجاحظ** مكانة خاصة لجملة من الأسباب أهمّها غزارة المادة البلاغية واللغوية التي تضمنتها مؤلفات **الجاحظ** واشتغاله بالقرآن وإفادته من مذهبه الاعتزالي[5] وخاصة مجادلاتهم مع أهل النّحل والملل. هذه العناصر ساعدت **صمود** على البحث عن نظرية "فن القول"، وقد توزّع هذا الباب في خمسة فصول:

---

1 – ينظر المرجع السابق ، ص 537.

2 – ينظر المرجع نفسه، ص 119.

3 – المرجع نفسه من صفحة 125 إلى 281.

4 – المرجع نفسه، ص 17.

5 – المعتزلة فرقة إسلامية نسبة لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري في اختلاف معه حول حكم من الأحكام، من أهم مبادئها اعتماد العقل كليا في الاستدلال لعقائدهم وقد تولوا دور الدفاع عن الإسلام كونهم أول من تسلح بالعقل والمنطق ولأن خصومهم استخدموا الحجة والمنطق.

الفصل الأول: تناول فيه **صمّود** المادة البلاغية في مؤلفات الجاحظ وخصائصها.

الفصل الثاني: عالج فيه البيان عند **الجاحظ**، وأشار إلى أنّواع الدلالات على المعاني ليخصص مبحثا بعنوان: من العلامة مطلقا إلى العلامة اللغوية.

الفصل الثالث: خصصه للحديث عن البيان باللغة.

الفصل الرابع: فصّل فيه القول عن نظرية المقامات، فعالج أحوال المتكلم ومقتضيات الوظيفة ومقتضيات الإبانة ومقتضيات المقام.

الفصل الخامس: كان موضوعه أحوال الكلام، ثم حدّ البلاغة وخصائص الكلام البليغ.

وينتهي الباب الثاني بخاتمة.

أهم ما أفرزه هذا الباب هو تأكيد **صمّود** غزارة المادة المعرفية التي تمتع بها **الجاحظ** والتي مكّنته من أن يتبوّأ مركزية البحث، بمفهوم البيان الذي توّج به مؤلفه المشهور ويصل **حمادي صمود** إلى أنّ البيان كمصطلح لم يستعمله **الجاحظ** كمعنى اصطلاحي ضيّق كما ضبطه البلاغيون المتأخرون في نطاق التّقسيم الثّلاثي المعروف وإنّما يستعمله في معنى أوسع يضمّ طرق الدلالة والوسائل التي تمكّن المتكلّم من أداء المعنى.

1. 2 . 5 الباب الثالث: البلاغة بعد الجاحظ إلى القرن السادس [مرحلة البناء][1]:

يرى **صمّود** أنّ مادة هذا الباب تبلورت انطلاقا من طروحات الجاحظ بالأساس ويُقصد بها مرحلة النّماء والازدهار حيث يقول: "اكتسبت مؤلفات الجاحظ لا سيما "البيان والتبيين" طرافة

1 – ينظر، صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، من صفحة 278 إلى صفحة 536.

خاصة عدت بمقتضاها مجمعا للأحكام النقدية والمقاييس البلاغية المتنوعة ومنطلقا لأهم اتجاهات النقد والبلاغة بعده"[1].

فالبلاغة بعد **الجاحظ** إلى القرن السّادس أو مرحلة البناء، هي الفترة التي تمثل مرحلة ازدهار المباحث البلاغية واكتمالها، قسّم **صمّود** هذا الباب إلى فصلين كبيرين:

الفصل الأول: خصصه للحديث عن أهمّ المساهمات البلاغية بعد **الجاحظ**، فعنونه بالبداية الحاسمة لفترة ما بعد الجاحظ[2]، والتي يمثل **ابن المعتز** في كتابه "البديع" عصبها **فصمّود** يعتبره أول مؤلف يقتصر فيه صاحبه على استعراض نماذج من الأساليب البلاغية والمحسنات اللفظية، وقد مهّد لظهور كتاب **ابن المعتز** جهود **ابن قتيبة(ت 276هـ)** و**المبرد(ت286هـ)** والذي خصص لهما **صمود** مبحثين منفصلين[3].

الفصل الثاني: مثّل أهمّ قضايا التّفكير البلاغي إلى القرن السادس، وقد اختار منها **صمّود** ثلاث مسائل بدت له أنّها بمثابة الركائز التي يقوم عليها أي علم من العلوم وهي المفاهيم / المنهج / الإجراء[4]، وينتهي الباب الثالث بخاتمة رصد فيها خلالها **صمّود** التطورات الحاصلة في المواقف المبدئية والاعتبارات النظرية عند مواجهة الكلام الأدبي بالشرح والتعليق.

1 – المرجع السابق ، ص 278.

2 – المرجع نفسه، ص 283.

3 – المرجع نفسه، ص 285، 307.

4 – المرجع نفسه، فهرس الكتاب.

يعتبر **صمّود** أنّ كل ما ألّف في التّأريخ للبلاغة لا يخلو من النقص، لضعف الاستنتاج في مؤلفاتهم وغياب العناية الكافية بالأسس التي يقوم عليها التفكير في جمالية اللغة عند العرب "فجاء جلّها تاريخا للتأليف البلاغي لا للبلاغة ولا يخفى الفرق بين الوجهتين "[1].

ولقد قصد **صمّود** بعمله التحليل والتأليف البحث عن كتابة للتأريخ للبلاغة العربية من خلال تأريخ للقضايا البلاغية المهمة والأفكار التي ساهمت في تطور البلاغة، ولهذا عمد على تسمية كتابه بالتفكير البلاغي، وهو ما سيوافقه **العمري** بعده من خلال اعتبار التأريخ للبلاغة إنّما هو قراءة، وأنّ هناك علاقات داخلية تربط السابق باللاحق، ما أفاد العمري في عمله الذي ارتكز على المشاريع والمنجزات.

1. 2 . 6 الشّعر الجاهلي: نواة البلاغة الأولى:

حسب طرح المفكر **حمادي صمّود**، فإنّ الشّعر الجاهلي يشكل في قراءة مشروعه نواة البلاغة الأولى، ففي الترتيب لا يختلف صمود عن سابقيه فهل تعاطى مع درسه بالطريقة نفسها التي سلكها سابقوه من المؤرخين ؟ لقوله: "وقد احتفظت المصادر بجملة من الأخبار عن هذه الفترة تتضمن ملاحظات تمثل رغم تواضعها اللبنة الأولى في العمل النقدي والبلاغي"[2]، نجد أنّ البلاغيين المغاربة المعاصرين قد أجمعوا على النّواة الأولى للبلاغة العربية رغم تفاوت التعاطي معها، فالباحث **صمّود** يعتبر أنّ الملاحظات رغم تواضعها هي أولى منابت البلاغة العربية.

وقد قسّمها إلى ثلاثة أقسام: أمّا القسم الأول فيمثله المفاضلة بين شاعر وآخر وكتب الأدب مليئة به، وأمّا القسم الثّاني فجملة أخبار تدل على تفطن الشعراء إلى ضرورة تعهد الصياغة

1 – صمّود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 12.

2 – المرجع نفسه، ص 25.

وتنقيح الشعر وتصنيفه حتى يكون الكلام ذا طابع مميز، وأمّا القسم الثالث فتمثله الروايات التي تضمنت مدى إدراك الشعراء الجاهليين لخصائص الشعر التي تقوم أساسا على القدرة على صياغة الصورة الفنية وأبرزها التشبيه كرواية زهير وابنه.

وبعدما كان الشعر هو الأصل، أضحى الفرع الخادم للأصل وهو القرآن الكريم إذ بمجيئ القرآن الكريم تغير مجرى حديثهم عن الشعر، فحين يكون الخالق طرفا في المسائل البلاغية فإنه لا يمكن الخوض فيها، فقد تغير الحال والترتيب، ولعل هذا من العوامل التي تفسر ضآلة البعد الوجداني في النقد العربي على كثرة ما هنالك من أدب يطفح بذلك[1]، لأن القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه ومجيئه كان حجة لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم فتحدى بذلك قدرة بيان العرب على أن يأتوا بشيء من مثله، لكن الشعر أنزل منزلة الأداة والوسيلة لفهم القرآن الكريم.

ولعل الجدل الذي دار حول القرآن وخاصة إعجازه كان عاملا مهما من عوامل التفكير البلاغي عند العرب، إذ كان المحور الأساس لإثارة مسائل عدت في نظر **صمود** مهمة كمسألة المجاز وما أثير حوله من نقاش، ومسألة البحث عمّا يميز أساليب القرآن الكريم عن غيره من الأساليب.

كما كان للغويين مساهمة بارزة في استكشاف النظرية الأدبية نظرية فن القول وخاصة في الطور الأول (فترة ما قبل الجاحظ)، وذلك بجمعهم للأشعار وتدوينها تمهيدا لعملهم النحوي الرامي إلى تقعيد اللغة، هذه الأخيرة عدّها **صمّود** اللبنة الأولى في البناء البلاغي إذ به تتحدد هندسة المباني وتتضح النواميس الخفية المتحكمة في الفعل اللغوي من جهة الخطأ والصواب[2]

1 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 43.

2 – ينظر المرجع نفسه، ص 540.

وهو المشغل الذي سعى صمود إلى استكشافه من خلال مشروع قراءته للتراث البلاغي وصولا للتأريخ للبلاغة العربية لا للتأليف البلاغي.

1 . 3 مركز ثقل البلاغة العربية:

تطلب حصر المدونة البلاغية على مدى ستة قرون من **حمادي** البحث عن نقطة ارتكاز لمشروع قراءته، إذ يقول: "... وكان لابد لدراسة أطوار البلاغة العربية على مدى يزيد على ستة قرون ...من البحث عن نقطة ارتكاز تكون بمثابة مركز الثّقل لذلك المحور الزمني الطويل"[1].

غير أنّ هذا الأمر لم يتأت له بسهولة فهو يقرّ بصعوبة تحديد هذه النقطة، "وتحديد نقطة الارتكاز تلك أمر دقيق وصعب لا يمكن أن يقوم على المواضعة المنهجية البسيطة ومجرد الافتراض"[2]، لكنه يعود ويطرح عوامل موضوعية، تجعله يعتبر **الجاحظ** هو نقطة الارتكـــاز لأنّه "يشكل مرحلة هامة وحاسمة في تاريخ البلاغة"[3]، إذ أنّ أبرز ما قدّمه **صمّود** كتعليل لاعتبار **الجاحظ** نقطة الارتكاز هو: "أنّ مؤلفات الجاحظ تعتبر أقدم آثارا وصلتنا لها علاقة بأفانين التعبير، وصاحب أوّل تأليف يخصص لدراسة الكلام البليغ ومؤلفاته ستكون أهم مرجع لعلماء البلاغة بعده تشير إليه وتنقل عنه وتشيد بفضله"[4].

إنّ تركيز **باحثنا** على مصطلح "أفانين التّعبير" التي اهتم بها **الجاحظ** في مؤلفاته لها ما يفسرها، إذ أنّ تفكير **حمادي صمّود** يصب في إيجاد نظرية في فن القول وهو بهذا يقر بأنّ ما

1 – المرجع السابق، ص 15.

2 – المرجع نفسه، ص 15.

3 – المرجع نفسه، ص 15.

4 – المرجع نفسه، ص 16.

سبقها من الدّراسات البلاغية لم تقحم البلاغة في حقل العلوم الأدبية رغم أنّها نظرية في فن القول قائمة على التّصرف في اللغة على جهة الإنشاء بالدرجة الأولى[1].

فهل سيلقى **الجاحظ** الاهتمام نفسه أو الدّرجة نفسها من الاهتمام مع كل من **بناني** و **العمري**؟، ونحن في هذا المقام نستدعي – فقط – تعليقا **لمحمد الصغير بناني** حول ما وفره **صمود** من اهتمام صوب **الجاحظ** يقول فيه: "إنّ مكانة الجاحظ في البلاغة العربية أشهر من أن تحتاج إلى تعريف، فلعله لم يتفق لأحد أن سيطرت أفكاره على ما جاء بعده مثل ما كان للجاحظ في مجال البلاغة والأدب"[2]، ليعود **بنانـــــي** معلقا على جهود **صمود**: "ومن المحاولات الجدّية التي تناولت مؤخرا هذا النّص ما كتبه السيد حمادي صمود في كتابه التفكير البلاغي عند العرب إلا أنّ اهتمامه فيه كان موجها على ما يبدو إلى تفسير لغة الجاحظ انطلاقا من المعطيات اللسانية الحديثة بدل البدء بفهم هذه اللغة والإحاطة بحدود مفاهيمها من الداخل وضمن المنطق العام الذي تنتمي إليه"[3].

يكفي أنّ **بنّاني** وصف عمل **صمّود** بالمحاولة الجادة والجديدة التي سعت إلى دراسة طروحات الجاحظ وقراءة محتواها ومضامينها قراءة لسانية بحتة.

إنّ من أهمّ القضايا التي نالت حظا وفيرا من اهتمامات **صمّود**، هي قضية "البيان" وهو الطرح الذي شغل بال الدّارسين قديما وحديثا، وامتزج مفهومه بمفهوم البلاغة عامة وكان **لحمادي صمود** النصيب الأوفر في دراسته انطلاقا من معطيات لسانية حديثة، وان انتقده **بناني** فإنّ من الباحثين المعاصرين من قدّر عمل **صمّود** حيث يقول محمد العمري أن ّأطروحة **صمّود**

1 – ينظر، المرجع السابق، ص 12.

2 – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 253.

3 – المرجع نفسه، ص 265.

تمثل: "أوفى درس لمسألة البيان في الثقافة العربية الإسلامية وأعمقه، وأعلقه بالتناول البلاغي"[1] لذلك قال عنه **العمري** أنّه كتاب في البيان لا في البلاغة.

ومفهوم البيان عند **الجاحظ**، من منظور **صمّود** هو أنّ: "مفهوم البيـــان عنـــده (أي عند الجاحظ)، يتدرج من العلامية مطلقا إلى العلامة اللغوية بمستوييها العادي والأدبي"[2]، أي النّظريات التي تأثر بها **صمّود** وهو يشرح مفهوم البيان عند **الجاحــظ** وهو بهذا يعني أنّ البيان يشمل كل العلامات اللغوية وغير اللغوية التي توصل المعنى إلى السّامع.

بما أنّ مصطلح البيان يشكل عصب أطروحة **صمّود** في مشروع قراءة "الجاحظ" فإنه قد خصص له فصلين كاملين في كتابه، وكله عزم على فك ملابساته التي أساء فهمها كثير من الدارسين فهو عنده: "لا يجري على معنى واحد فهو يدل في بعض السياقات على وسائل التعبير الممكنة بين البشر ومختلف الكيفيات التي يؤدون بها المعنى بقطع النظر عن نوع العلامة المستعملة، وهذا معنى عام يتسع للغة ولغيرها ويدخل في مشغل علامي تمخض اليوم عن علم قائم الذات يطلقون عليه (علم العلامات)"[3] .

استدعت قراءته للبيان العام التركيز على ثنائية" الفهم والإفهام"، وهذا الاتساع لمفهوم البيان وشموليته، يرتكز على مبحث مهم هو الإفهام، فكل ما أوصل لك المعنى هو البيان بعينه سواء بعناصر لغوية أو غير لغوية، وجميع أصناف الدلالة على المعاني من لفظ وغير لفظ

1 – مسالتي محمد عبد البشير، خطاب البلاغة الأنساق المتصارعة وجدل التأويل، بحث في مسارات تقي الخطاب البلاغي الجاحظي في النقد الحداثي، مركز الكتاب الأكاديمي عمان، ط2019/1، ص 236.

2 – صمّود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 143.

3 – المرجع نفسه، ص 143.

خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد: "أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة"[1].

وان اهتم **الجاحظ** بالبيان العام فهو مهتم في الوقت نفسه بالجانب الأدبي لنظرية البيان حيث تصبح وظيفة الإفهام وضرورة الشّفافية مقياس الخطاب الأدبي بالمفهوم الحديث"[2]، وان درس البلاغة والتفكير البلاغي فإنّ خلطًا حدث بين مفهومين هما البيان والبلاغة، **فالجاحظ** لم يفصل مفهوميا بينهما، وهو ما اعتبره **العمري** مقايضـــة، فقــد: قايض كلمة بيان بكلمة بلاغة (ابتداء من الصفحة**88/1** بالضبط)، قلنا قايض لأنّه لم يقدم أي بيان يرتب العلاقة بين المفهومين، كان يتحدث عن البيان باعتباره موضوعا للكتاب ثم صار يتحدث عن البلاغة باعتبارها الموضوع نفسه"[3].

هذا الترادف بين المفهومين لم يهتم به **الجاحظ** فحسب فقد أصبح البيان – باعتباره وسيلة للفهم والإفهام – منذ عهد **الجاحظ** مرادفا للبلاغة، "فالبيان البلاغة من أكثر المفاهيم المعروفة التي حملت هذا الإسم لذلك نجده في تعريف بعض المستشرقين لهذا المصطلح وهم يرون مثلا أنه القدرة على الخطاب في غاية الوضوح والشفافية"[4].

ولعل هذا من طبيعة التطور الدلالي للمفاهيم عبر الزمن، وبأنّها لا تستقر على معنى واحد فدلالة المصطلح البيان – البلاغة قد ضاق عبر القرون، وأصبح علم البيان يشكل مع علمي

1 – كورنيليا فون راد، مفهوم اللغة في كتاب الحيوان للجاحظ والاحتجاج بها، دكتوراه بإشراف مشترك الأستاذين جوزيف ديشي وصمود حمادي، جامعة منوبة كلية الآداب تونس، جامعة ليون فرنسا، ص 113.

2 – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 129.

3 – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق 1999، ص 200.

4 – كورنيليا فون راد، مفهوم اللغة في كتاب الحيوان للجاحظ والاحتجاج بها، دكتوراه بإشراف مشترك الأستاذين جوزيف ديشي وصمود حمادي، جامعة منوبة كلية الآداب تونس، جامعة ليون فرنسا، ص 114.

المعاني والبديع علوم البلاغة، "وهذا التصنيف الذي بدأ يتبلور مع عبد القاهر الجرجاني لم يستقر إلا في مرحلة متأخرة وذلك خاصة مع السّكاكي"[1]، ليستقر مفهوم البيان في أذهان المتأخرين من أنّه أحد علوم البلاغة الثلاث.

1. 3 . 1 نظرية المقامات في التفكير البلاغي عند الجاحظ:

إنّ نظرية المقام في الدراسات البلاغية لم تكن بحال حديثة العهد، بل أنّ جذورها تمتد إلى التراث اليوناني خاصة في كتاب الخطابة لأرسطو، كما أنّ فكرة الملاءمة بين المقام والمقال قديمة لم يبتدعها **الجاحظ**، وبيان ذلك مسلمات البحث وشهادة الوثائق التاريخية فهي من جهة المسلمات ملتحمة وجوديا بكل فعل لغوي يتجاوز قائله ويقصد منه الإبلاغ فإذ ذاك يخضع المتكلم تلقائيا كلامه لجملة من الضوابط يفرضها السعي إلى الإفهام ومنزلة المخاطب إذ: "لا تخاطب الطفل مخاطبة الكهل، وليس حديثنا إلى المثقف حديثنا إلى الجاهل ...ثم إنّ للمكانة الاجتماعية في الكلام تأثيرا ... فلسنا نكلم من يفضلنا في الدرجة كما نكلم الند"[2].

يربط **صمّود** حديثه عن فكرة المقام عند **الجاحظ** بالحديث عن الكلام والمتكلم يقول: "والنتيجة الطبيعية بل الحتمية لهذا التصور الشامل للتواصل اللغوي والتشبث بوظائفية الكلام بروز فكرة ضرورة ربط المقال بالمقام وملاءمته لمقتضى الحال، وهي فكرة رئيسية أقام عليها أبو عثمان كل مادته البلاغية"[3].

يؤكد **حمادي** أنّ المقام يشكل ركيزة أساسية في طرح **الجاحظ** ويظهر ذلك في جملة المصطلحات التي وظفها وهو يوصل فكرته نذكر منها: "المقام، الموضع، الحال "الأقدار

1 – نفسه، ص 115.

2 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 194.

3 – المرجع نفسه، ص 189.

المقدار، المشاكلة، المطابقة، وجميعها فروع عن أصل ثابت في تفكيره وان لم يتبلور على الصعيد الاصطلاحي هو فكرة المناسبة والملاءمة" [1].

يأتي **صمود** بعد فحص وتمحيص علمي دقيق يستأنس فيه بمكتسبات الدرس اللساني الحديث بوعي منه لينظر في أبعاد طرح **الجاحظ** حيث أجمل مصطلحات مفهوم المقام في قسمين كبيرين هما:

القسم الأول:

يندرج تحت هذا القسم كل ما يدل عليه المقام والموضع والحال، وقد حصر **صمود** هذا القسم في ثلاثة عناصر: (المخاطب/ جنس الكلام/ القصد من الحديث) [2].

أما العنصر الأول **فالمخاطَب** وقد اختزل **الجاحظ** شروط المخاطَب في أمرين اثنين: مقدار الطاقة/ أقدار المنزلة: أمّا الأولى فتعني عنده الزاد اللغوي والمنزلة العلمية المطلوب حصولها لدى المخاطب، بينما الثانية فتشير إلى رتبته في السلّم الاجتماعي وحظّه من الجاه والسلطـــان إذ يقول **الجاحظ:**" ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم"[3]، ويعتبر الجاحظ المقام عامة ومقام الخطابة خاصة محور تأليفه في البيان ومنطلق تصوراته لبلاغة النص ولهذا عُدّت مؤلفاته أهم مصدر" لدراسة الخطابة العربية إلى القرن الثالث ..."[4].

1 – المرجع السابق، ص 211.

2 – المرجع نفسه، ص 190.

3 – الجاحظ أبو عثمان، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة،ط1، 2010، ج 1، ص 192.

4 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 211.

وبالحديث عن مقام الخطابة لا بد من الإشارة إلى ما توصل إليه **صمّود** من وجود عاملين شكلا خصائص المخاطِب في هذا المقام هما: المشافهة والمواجهة:

فأمّا **المشافهة** وهي أول ما تتأسس عليه الخطابة "فتندرج تحتها كل المعلومات المتعلقة بالجانب المادي الفيزيائي لعملية التلفظ سواء تعلقت بصفة الصوت من جهارة ورقة أو كيفيات النطق وما قد يعتريها من آفات وانحرافات متأتية إمّا عن نقص خلقي في الآلة أو وضع لغوي متداخل الأنظمة"[1].

لقد أفضت قراءة **صمّود** لبنية المقام عند **الجاحظ** عن سعة اطلاع وتحليل بارزين أين تناول كل ما يتعلق بالشّروط الواجب مراعاتها لحظة المشافهة بحكم اهتمامه بمقام الخطابة.

وتطرق **الجاحظ** إلى المسائل الصّوتية التي استقى بعضها من جهود أسلافه اللغويين واستقى بعضها من تجربته الشخصية، واستطاع أن يرسم صورة واضحة المعالم عن الوضع اللغوي في عصره وما طرأ على العربية من تغييرات بمفعول مؤثرات عديدة أهمّها "تداخل اللغات والأجناس، فقد اهتم بتعريف الصّوت وأشار إلى المفارقة بين المنطوق والمكتوب وقصور الكتابة عن تصوير جميع الأصوات، ومن ثمّ رأيه المشهور في أنّ المخارج لا تحصى ولا يوقف عليها"[2].

وقد اعتبر **محمد الصغير بناني أنّ الجاحظ** يولي أهمية بالغة للصّوت، إذ هو "كل شيء في الإنسان بل هو الإنسان نفسه"[3]، كما أنّ **الجاحظ** أظهر اهتماما بالغا بقضية المخارج حين تحدّث عن تنوّع مخارج الحروف مثلا عند النبطي الذي يعيش في سواد الكوفة وكذلك

1 – المرجع السابق نفسه، ص 213.

2 – المرجع نفسه، ص 214.

3 – بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ ص 111.

الخراساني، وهو يعلم أنّ المخارج لا تحصى ولا يوقف عليها، وهذا المفهوم قديم عند العرب، والخليل بن أحمد كان يدركه أحسن الإدراك لكن من يتتبع الأوصاف التي وصف بها الجاحظ هذا المفهوم يتحقق أنّه يعطيه معنى أوسع، وخاصة عند استعماله له في صيغة الجمع، فهو في هذه الصيغة يصبح قريبا جدا من معنى نظام اللغة (systeme) في علم اللسانيات[1].

وبهذا قد أفادنا **بناني** المفكر اللساني الذي اطلع على طروحات الجاحظ من منظور تحليل **حمادي صمود**، فقد نوّه ببعض ما توصل إليه المفكر التونسي صمود.

وجملة ما ينبغي مراعاته في المشافهة مسألتان، يراهما **صمّود** أساسيتين في تحصيل البلاغة هما:

أ-الصفات الصوتية: لم يفت **صمّود** وهو يحلل رؤية **الجاحظ** للكلام والمتكلم، ذكر الشّروط والصّفات الواجب توفرها وتستحسن في الخطيب، فقد أشار **الجاحظ** إلى وجود ثلاث أو أربع صفات صوتية تستحسن في الخطيب، ودعم رؤيته برواية: "وكان سهل بن هارون شديد الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة وبالحلاوة والفخامة وجودة اللهجة والطلاوة "[2] فهذه الرواية جمعت الصفات الأربع – وان كانت بعيدة المنال، حتى يبلغ البليغ درجة راقية.

ب- آفات النطق: وان اهتم الجاحظ بالصفات الصوتية المستحسنة في الخطيب، فإنه لم يغفل عن آفات النطق التي أجملها في قسمين:

1 – ينظر المرجع نفسه، 115.

2 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 215.

- قسم يتسبب فيه النقص الخلقي في آلة النطق واعتنى بظاهرة اللثغة خاصة فذكر عدد الحروف التي تدخلها وما يمكن تصويره بالخط منها وما لا يمكن وتحدث عن مراتبها في القبح والحسن وأشهر من عرفوا بها من الفصحاء والأنبياء.

- وقسم مردّه التداخل اللغوي أو تأثير اللغات الأجنبية، فقد قرر أن التقاء لغتين يؤثر لا محالة على نظام كل واحدة منهما: "واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها"[1]، وهذا المبدأ عرف في اللسانيات الحديثة انطلاقا من الدراسات المهتمة بتفاعل اللغات وما ينجر عنها من تداخل سواء على صعيد النظام الصوتي أو السلم الوظيفي.

إلى جانب هذين الاعتبارين – النقص الخلقي والتداخل اللغوي – يضيف **صمّود** بقية المتطلبات الأخرى عند **الجاحظ** أهمّها[2]:

- أولاها نشاط السامعين ووجودهم على هيأة جسدية وعقلية تسمح لهم بتمثل ما يقال لهم وقد نقل في هذا الصدد قول **عبدالله بن مسعـــود** "حدّث الناس ما حدجوك بأبصارهم وأذنوا ذلك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترة فامسك.

- ثانيها وهو أن تكون هناك مناسبة في الاهتمام بموضوع الحديـــث وهذه المناسبة تخلق توازنا بين إرادة الكلام عند المتكلم و إرادة الفهم والتقبل عند السامع: اذا لـــم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل في منطقه وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه.

1 – المرجع السابق نفسه، ص 216.

2 – ينظر المرجع نفسه، ص 191.

فنجاح العملية التخاطبية تنتج من تكامل بين المخاطِب والمخاطَب، ولا بد من حضور عقلي للمتلقي يبدي اهتماما بتلقي الخطاب.

وأمّا **المواجهة** فثاني ما تتأسس عليه الخطابة فلا شك أنّها تشكل عقبة في نفس الخطيب فالخطيب يلقي كلامه في مناسبة ما يلاقي بها جمهورا ليحدثهم عن موضوع ما وهذا المقام يستدعي صاحبه خصالا خاصة، "فلا تبرز عليه علامات الارتباك والرهبة ولا يتقطع السلك الناظم لأفكاره كما أنّ لخلقته وهيأته دخلا في تحقيق مقصده باعتبار المعاينين له يتأثرون إلى حد بعيد بكل الظروف الحافة بالنص"[1].

فموقف مقابلة الناس موقف يحتاج إلى استعداد عقلي، لذا يلح الجاحظ على صعوبة التصدر، ومثل ما أثر عن عبد الملك بن مروان حين قيل له: "عجّل عليك الشيب يا أمير المؤمنين قال: وكيف لا يعجل علي، وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين "يعني خطبة الجمعة وما يعرض من الأمور"[2]، فهذا يدل على صعوبة تصدر الناس، كما أنّ هذه الوسائل الخارجية مهمة جدا، فاللسانيات الحديثة تدرك الآن أهميتها في كل تأدية كلامية وطغيانها على الوسائل اللسانية المحضة أدى ببعضهم أخيرا إلى القول: أنّ التبليغ لا يتم بوساطة العلامات اللسانية وإنما بوسائل رمزية تحيط بهذه العلامات وتحف بها من كل جانب"[3].

وأمّا العنصر الثاني من عناصر **المقام** ومصطلحاته فهو **جنس الكلام**، الذي يعده **صمود** مقرونا بـــ"المقام"، إذ يتطلب من متصدر الناس ليخاطبهم أن يكون عارفا بمواضع الخطابة ومناسباتها ليصوغ كلامه وفق ما تقتضيه، فمنها ما يكون بالشّعر ومنها ما يكون بالكلام المنثور

1 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 221.

2 – المرجع نفسه، ص 212.

3 – بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 244.

مقفى وغير مقفى في حين لا يأتي بعضها إلا مسجوعا كما أنّ بعضها يتطلب الصنعة وتعهد الصياغة، بينما يفترض بعضها الآخر البعد عن التصنع والخلو من التكلف"[1]، فمقتضى الحال يحدد طبيعة المقال ، ولكل صنف من الناس كلام يليق بمقامهم.

وأمّا العنصر الثالث من عناصر المقام ومصطلحاته فهو **القصد من الحديث:** وهو عمود سنام البلاغة فينبغي على الخطيب أو المتكلم ألاّ يخلط بين أقدار الألفاظ وأقدار المعاني، ولا يتصنع الجدّ حيث يجب الهزل، ولقد أتى الجاحظ على القسم الكبير من هذا الجانب عند حديثه عن منزلة المخاطب، فلقد رأيناه يطالب المتكلم أن يوفي المنازل حقها فلا يستعمل اللفظ المنطقي، مثلا إذا كان السماع من أهل الصناعة وكان الموضوع صناعة الكلام وعليه أن يرغب في هذا المقام عن ألفاظ الأعراب وألفاظ العوام، أما إذا كان في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام والتجار فقبيح به أن يستعمل ألفاظ المتكلمين[2].

القسم الثاني:

يشكل هذا القسم عصب فكرة المقام عند **الجاحظ** حسب رؤية **صمّود** وتدل عليه المصطلحات التالية: المشاكلة، المطابقة، الأقدار، المقدار، وما جرى مجراها وهذا أخص في الدلالة من القسم السّابق وإن اتحد في الرؤية، ووجهته الكلام في حد ذاته وما على المتكلم مراعاته في تعليق عناصره بعضها ببعض من "الصّوتم[3]" إلى النّص فهناك قوانين للملاءمة بين مكونات الكلمة ثم بين الكلمة وما تدل عليه أو العلاقة بين الألفاظ والمعاني فترابط المعاني

1 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 192.

2 – المرجع نفسه، ص 192.

3 – أورد صمود حمادي هذا المصطلح (الصّوتم) في كتابه التفكير البلاغي ص 193، ويعني به الفونيم.

خاصة معاني الشعر والأجزاء المكونة للبيت"[1]، هذه الملاءمة بين الكلم بعضه من بعض عبّر عنها الجرجاني بفكرة "التعليق" و"التّعالق" بقوله: "اعلم ..أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"[2].

ومن هنا يبرز مفهوم **النسبية** في تحديد بلاغة النص، فبحكم ترابط المقال والمقام ترابطا جدليا تصبح خصائص الكلام غير منفصلة عن السياق الذي يحتويه معنى ذلك أن الحكم للكلام أو عليه لا يتعلق بشيء في ذاته ومواصفات تتولد داخله توالدا ذاتيا وجوده وجود علاقي ظرفي ومؤدى النسبية انعدام الفصاحة المطلقة والبلاغة المطلقة ولذلك تختلف المقاييس باختلاف المواضع"[3].

يتضح أنّ مقام الخطاب يبرر أسلوبه، وما يبدو إطنابا وعجزا هو أمر خاطئ ان لم نقيده بالموقف الذي قيل فيه، فالأساليب البلاغية لا تفقد قيمتها الأدبية إذا كانت ملائمة لمقتضى الحال ويعزز **صمّود** هذه النتيجة نقلا عن **الجاحظ** يقول: "ووجدوا النّاس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا، وإذا أنشدوا الشّعر بين السّماطين في مديح الملوك أطالوا، وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضع وليس ذلك عن عجز "[4].

1 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 194.

2 – الجرجاني، أبي بكر عبد القاهر بن عبدالرحمان، دلائل الإعجاز، دار المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ط3/1992، ص 55.

3 – المرجع نفسه، ص 193.

4 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 195.

1. 3 . 2 أهمّ مشاغل التفكير البلاغي حتى القرن السادس الهجري لدى حمادي صمود:

لقد أسفر الوعي المنهجي للباحث البلاغي **حمادي صمّود** عبر رحلته الممتدة زمنيا في قراءة مشروعه للتراث البلاغي عن أهمّ القضايا البلاغية، ويمكن تلخيصها في ثلاثة محاور كبرى، هي المفهوم والمنهج والإجراء، وثلاثتها أركان لا يقوم علم بدونها "[1]:

المحور الأول: المفهوم: يعني به **حمادي** "جملة المصطلحات التي تمثل قمّة الاستخلاص النظري المتمخض عن تحسس العلم ماهيته وسعي القائمين عليه إلى إيجاد أدوات عمل تختزن على اختصارها، أدق أبعادها الأصولية[2]، ومن أهمّ المفاهيم والمصطلحات التي حددها صاحب التفكير البلاغي نجد ثنائية الحقيقة والمجاز، يعدّهما الباحث "حجر الزاوية في علم يفترض سلفا أنّ موضوعه يقوم على تجاوز الأنماط المعروفة في استعمال اللغة و يتبع طرائق غير مألوفة في توظيفها الدلالي" [3]، فاستعمال النّاس للغة لا يخرج عن مستويين: مستوى عادي يشترك فيه جميع الناس ومستوى ثان غير عاد، أو لا يهتدى إليه إلاّ بفهم المستوى الأول، وأطلق عليه الاتساع ثم عُرف بالمجاز.

ومن أكثر المصطلحات تواترا ثنائية البلاغة والفصاحة: وهما أصلا الحكم في بلاغة النص ودراستهما تسمح: " بتحديد ميادين الدراسة الأسلوبية و إدراك التّطور أو التحول الذي قد يكون جدّ في صلب النظرية البلاغية"[4].

---

1 – المرجع السابق، ص 352.

2 – المرجع نفسه، ص 352.

3 – المرجع نفسه، ص 352.

4 – المرجع نفسه، ص 352.

والمحور الثّاني المنهج: يقصد به فهي الأسس والطرائق المعتمدة في تحليل الكلام من الوجهة البلاغية والوقوف على أسباب تلك البلاغة وأسرارها"[1]، وقد خص هذا المحور لنظرية النظم التي عدّها المنهج الوحيد الذي تمخض عن رؤية نظرية كاملة.

المحور الثالث الإجراء: فيعني به "مختلف المقاييس التطبيقية التي حددوا بها بلاغة النص وجودته على صعيدي الشكل والمضمون "[2]، وهنا يولي الباحث الصّورة الفنّية أهمية بالغة لتصدرها قائمة تلك الأحكام وفي مقدمتها الاستعارة.

1 – المرجع السابق ، ص 352.

2 – المرجع نفسه، ص 353.

المبحث الثاني: قراءة حمادي صمود الإمكانية والجدوى:

2 – 1 : مفهوم القراءة وإمكانياتها.

2 – 2 : التوسل بأصول البلاغـــــة أولا.

2 – 3 :جدلية التراث والحـــــداثة.

المبحث الثاني: قراءة حمادي صمود الإمكانية والجدوى:

2. 1 مفهوم القراءة وإمكانياتها:

لقد شكلت قراءة **صمّود** للتراث البلاغي بعدا موسوعيا، إذ تجاوزت قراءته القراءة "المعيارية" التي تبحث في ذات المادة البلاغية التراثية إلى قراءة تحليلية، تفهم التراث وتحاول أن تجيب عن أسئلة الراهن، وهو ما اعتمده **صمّود** في إثباته كلمة "الأسس" في عنوان كتابه: "فهو دليل على أنّ مشغلنا الرئيسي هو فهم ما يتضمنه التراث من نظريات وآراء في ظاهرة الأدب والتصرّف في اللغة على جهة الإنشاء بالدرجة الأولى"[1].

كما تعتبر قراءة **صمّود** في نظر **العمري** أكمل عمل يطمح لتقديم رؤية عامة وشاملة عن البلاغة العربية في الكتابة من منظور حداثي لساني[2]، فإذا كان المنهج في لغة الاصطلاحيين يعني الأسس النظرية للتفكير والوسائل العملية لدراسة أي علم، فإنّ **صمّود** اعتمد هذا التعريف ووسم عمله بـــ "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس" واعتقاده بالأسس قصد به مراجعة البعد المعرفي – الابستيمولوجي – للبلاغة العربية ولا يتأتى هذا إلا بعد معرفة دقيقة بقواعد اللغة حتى عدّت في الدراسات الأسلوبية الحديثة المنطلق الأول لكل دراسة غايتها من النص بعده الفني وجانبه الانشائي المقصود به مظاهر الشعرية في أي نص أدبي، وهو ما يظهر مدى الوعي المنهجي والنقدي الذي اتسم به البلاغي **صمّود**.

يتقاطع العمل الذي قدمه **صمّود** في قراءته للتراث البلاغي مع كل **محمد الصغير بناني** الذي أشار إلى أنّ مؤلف **صمّود** "التفكير البلاغي عند العرب"، عبارة عن "رسالة دكتوراه يلتقي

1 – صمّود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، مقدمة الكتاب.

2 – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 8.

معها عملنا هذا[1] إلى حد ما في العنوان ويختلف عنها تماما في المنهج والنتائج"[2]، فالتفكير البلاغي عند العرب بمصطلح **صمّود**، والبلاغة العربية وأصولها النظرية بمصطلح **بناني** يحملان نفس الهدف وهو التأريخ للبلاغة لا للتأليف البلاغي. وهو ما سنحاول أن نثبته من خلال هذا الفصل والفصل الثّاني.

و**محمد العمري** الذي أقرّ بتقاطع عمله كذلك مع عمل **صمّود** إذ بيّن: "أنّ الأستاذ حمادي صمود خصّص قسما كبيرا من أطروحته التفكير البلاغي عند العرب للحدث الجاحظي وهو حدث التأسيس **(ص137-307)** وقد قدم متنا مهما للبلاغة الجاحظية وضبط الكثير من المفاهيم وقيد الكثير من الأحكام بشأن هذه البلاغة، وهذا الفصل من كتابنا[3] يتقاطع ويتكامل مع عمله"[4] وأراد **العمري** من هذا التقاطع مع **صمّود** أن يتميز بعمله عن غيره، وهو ما برّره بالتركيز على تاريخ تأليف **صمّود** لكتابه.

ويعلق **العمري** على اختيار **صمّود** لعنوان مشروع قراءة: "ما أنا إلا قارئ مشروعه أكبر من عتاده وعدته، بالرغم من طابع التواضع الذي يفيده أسلوب القصر في هذه الجملة فإنها تنطوي، بالتأكيد على مؤشرين هامين صالحين لمقاربة أعمال هذا الباحث، أولهما القراءة وثانيهما المشروع"[5].

نسعى إلى تبيّن الخطوات العلمية التي انتهجها المفكر البلاغي **صمّود** وهو يسعى لبناء تصور جديد للبلاغة العربية تكشفه العبارة التي أوردها في عنوان مؤلفه "مشروع قراءة" والتي

1 – يقصد بناني أطروحته للدكتوراه الموسومة بـــ: البلاغة العربية وأصولها النظرية.

2 – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص256.

3 – يقصد كتابه: "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها".

4 – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 189.

5 – مشبال محمد، البلاغة والخطاب أبحاث مهداة للدكتور محمد العمري، دار الأمان، الرباط، ط2014/1، ص248.

وضعت بين قوسين، فبكل تواضع كما عبر **العمري**: "وبهذه العبارة يقر **حماديّ** أنه يشرّع لإمكانية قراءة التراث البلاغي بمكتسبات علمية حديثة، لاسيما مكتسبات الدرس اللساني الحديث التي اختارها بوعي منه وكله يقين بجدوى هذه القراءة التي أملتها ظروف المرحلة ومعطياتها"[1].

يجرّنا هذا البحث إلى التّحري في مظاهر هذا الوعي المنهجي الذي انتعش به مشروع قراءته في بناء تصور عام للبلاغة العربية؟.

إذا كانت أعمال **حمادي صمّود**، قد نالت ثناء من لدن كثير من الهيئات المهتمة بمجال الدراسات اللغوية[2]، فإنّه وبلا شكّ يكون قد تميّز بمشاريعه العلمية ذات الطابع اللساني الصرف عن غيره ممن انساق وراء مجريات الدرس اللساني الغربي الحديث، فما الذي جدّ مع مفكرنا صمود، في مفهومه للقراءة، والاقرار لإمكانية قراءة التراث البلاغي بمكتسبات علمية حديثة، لا سيما مكتسبات الدرس اللساني الحديث؟ وجدوى هذه القراءة التي أملتها معطيات المرحلة؟.

إنّ المتأمل في كتاب "التفكير البلاغي عند العرب" يجد مؤلفه وإن توسل بأدوات منهجية حديثة، فإنّ اطلاعه على مداخل البلاغة العربية المتنوعة والمتشعبة واستيعابه لقراءات القدماء الممتدة عبر ستة قرون من الزمن على الأقل، دفعت به في اتجاه توثيق الصلة بين التراث والحداثة لإثراء حاضر البلاغة، وهو منطلق يشفع له توسله بمكتسبات الدرس اللساني الحديث.

2. 2 التوســـل بأصول البلاغـــــة:

لم يتوان **صمود** في إعادة مراجعة أصول البلاغة العربية عبر مرحلة امتدت أكثر من ستة قرون، همّه كشف أسس تفكير العرب القدماء في البلاغة، ومصطلح "الأسس" الذي أقره **صمّود**

1 – ينظر: العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 9.

2 – حاز على جائزة الملك فيصل وجائزة سلطان بن علي العويس 2017.

في عنوان كتابه يعنى بها النظريات والأصول التي استقامت عليها البلاغة العربية آنذاك، وما ينبغي أن تستمر في حاضرنا يقول **حمادي صمّود**: "وفي إثباتنا كلمة "الأسس" في العنوان دليل على أنّ مشغلنا الرئيسي هو فهم ما يتضمنه التراث من نظريات وآراء في ظاهرة الأدب والتصرف في اللغة على جهة الإنشاء بالدرجة الأولى"[1]، فتركيزه على وجه الإنشاء في البلاغة العربية كان أهم مشاغل التفكير البلاغي عند **صمّود** ولا تكتمل البلاغة إلا به، لذا فكتابة تاريخ للبلاغة العربية بصورة شاملة للوصول إلى مفهوم البلاغة، يعدّ أهم منطلق لأعمال **صمّود** و في هذا يقول: "فالآثار التي تروم الإلمام بمختلف مراحل البلاغة نشأة وتطورا واكتمالا قليلة، وما اتجه منها الوجهة باشر المسألة من زاوية تاريخية حدثية أضعفت جانب التأليف والاستنتاج، كما أنها لم تعتن عناية كافية بالأسس التي يقوم عليها التفكير في جمالية اللغة عند العرب، فجاء جلها تاريخا للتأليف البلاغي لا للبلاغة، لذلك رأينا أن نهتم في عملنا بالبعد التاريخي"[2].

يظهر أنّ تركيز **صمّود** كان حول الأسس التي بنيت عليها البلاغة العربية نشأة وتطورا هذا المنطلق قد شاركه من جاء بعده **كمحمد الصغير بناني ومحمد العمري** وإن اختلفت زوايا النظر لهذه القراءة فلكل منهم منهجا وأسلوبا وتعاملا مع الوافد الغربي الجديد، كون " النص التراثي في حقيقة أمره يملك حضورين حضور (هناك) في تاريخه الخاص، في القرن الثالث أو الرابع أو الخامس للهجرة، حين كتب ابن المعتز أو قدامة بن جعفر أو عبد القاهر الجرجاني في علاقات تاريخية محددة، في شروط إنتاج معرفة معينة، وحضور (هنا) في تاريخنا الخاص، في القرن الخامس عشر للهجرة" [3] أين تنوعت شروط القراءة وتعددت مصادرها.

---

1 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 13.

2 – المرجع نفسه، ص 12.

3 – فطنة بن ضالي، النظم بين القرآن والشعر في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دار العنقاء للنشر، عمان الأردن: د ط 2013، ص 65.

فعمل **صمّود** جاء بسبب القصور التي عرفته الدراسات الحديثة، إمّا من ناحية المنهج أو الشمولية أو الانبهار بالآخر، ونعود لنتساءل من أين كانت بدايات التفكير البلاغي عنده ؟ فنجيب: "كانت البداية عندما كان مدرسا بالجامعة التونسية سنة **1972** وقد بدأ تجربته في الدرس البلاغي الموسع (القديم والحديث، الغربي والعربي) بقراءته للتراث البلاغي قراءة نقدية محكمة منذ السبعينيات من القرن الماضي وتتجلى جهوده في كتاباته الأولى خاصة أطروحته الموسومة: "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس الهجري ، وقد تمت مناقشتها سنة **1980**"[1].

كانت بدايات الاهتمام البلاغي عند المفكر البلاغي **صمّود** بعد الانفتاح على الثّقافة الغربية، فبدأ الحوار مع الوافد الجديد، هذا الوافد وان اختلفت النظرة تجاهه بين مرحب رافض متردد، منبطح ومنبهر، واختلف مع **بناني والعمري** في حدة التعامل معه **فالعمري** قد وافق **صمّود** ورحب به واعتبره ضرورة أملتها الظروف الراهنة، بينما المفكر **بناني** أبدى حذرا منه وترقبا ودعا إلى التشدد في التعامل معه وعدم تحميل البلاغة العربية ما لا تطيق.

ويمكن تبين السبب في اختلاف وجهات النظر لقراءة الباحثين المغاربة وتعاملهم مع المناهج الغربية، من خلال طرح **جابر عصفور** الذي يرى أنّ "السبب وراء شيوع مصطلح القراءة بمثل هذا التصور في ثقافتنا العربية المعاصرة، في السنوات الأخيرة راجع إلى الرغبة في تأكيد الطابع التفسيري (التأويلي) لكل فعل من أفعال القراءة"[2].

1 – رمضان يوسف، البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، مجلة التعليمية، مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية جامعة جيلالي اليابس العدد 4 جانفي 2017 ص 4.

2 – جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1/ 1994 ص 13.

سار **صمّود** باتجاه قراءة تأريخية للبلاغة العربية عن طريق استكشاف أسس التفكير والأصول التي أسهمت في توجيه هذا التفكير.

ينتهي **صمّود** إلى أنّ البلاغة العربية نظرية في فن القول وجمالية اللغة، تتعلق بالقدرة على تصريف اللغة حسب مقاصد المتكلم من كلامه وتراهن على مسلك أوحد لبلوغ المأرب والمرامي.

فاشتغال **صمّود** على مدونة كبيرة تمتد لستة قرون، ألزمه أن يقرر وبوضوح أنّ عمله بني على منهجية تحاول التوفيق بين التأليف والتحليل وتلتزم دراسة التفكير البلاغي اعتمادا على قضايا هامة، لذلك سعى للبحث عن نقطة ارتكاز تكون بمثابة مركز الثقل لذلك المحور الزمني الطويل، فخلص إلى أنّ جهد الجاحظ يمثل نقطة ارتكاز في مسار البلاغة العربية، وقسم عمله إلى ثلاثة بناء عليه: مرحلة ما قبل الجاحظ ومرحلة يحتل فيها الجاحظ المركز سماها بالحدث الجاحظي، ثم مرحلة ما بعد الجاحظ.

إنّ مؤلف **صمّود** والذي قضى فيه رحلة طويلة من البحث في المدونة البلاغية وغيرها من المدونات الأخرى "في حقيقته (مشروع قراءة) يفتح على إمكانات في البحث متعـــــددة ويوحي بمسالك في التناول تختلف عما سلك، ويطرح من الأسئلة أكثر مما يقدم من الإجابات"[1] ففي التراث قضايا عدّة ماتزال تنتظر من يزيل عنها الضبابية كالعلاقة بين اللغة والفكر ومسألة التأثير الأجنبي والعلاقة بين نظرية النظم والدراسات القرآنية.

1 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، مقدمة الطبعة الثالثة للكتاب، ص 3.

ولعل حجم المدوّنة الضخم، التي اشتغل عليها **صمود** دفعه إلى اعتبار كتابه مشروع قراءة بكل تواضع منه، وهذا ما أكّده **رجاء عيد**[1]، أين اعتبر أنّ جهد **صمّود** في الكتاب واضـــح "فرحلة الكتاب عبر قرون شاهدت ولادة البلاغة، وما يصاحبها من مخاضات فكرية، تتلاقى وتتباعد، وتأتلف وتختلف وأمّا النظر الثاقب فيقظ ومدقق، فالرصد الواعي لما جدّ من تغيرات وما انبثق من تحولات، احتاج إلى حسن تبصر وحسن أناة، وأمّا الاستيعاب المتمكن لمنحنيات النضج ومنعرجات الاكتمال فإنّه معلم متميز من معالم هذه الدراسة، وان كان تواضع صاحبها دعاه إلى أن يلحق بالعنوان الأساسي جملته الجانبية (مشروع قراءة)"[2] فلم يكن ذكر(مشروع قراءة) بمحض صدفة، فصاحب التفكير يدرك قيمة معنى كلمة مشروع وأنّه عمل يحتاج إلى حُسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبه إلى الصّواب وفهم كنه البلاغة، "ليحتفظ القارئ في واجهة ذاكرته بعبارة (مشروع قراءة) محصورة بين قوسين يعطيانها قوة: قف أو انتبه"[3]، وهو المؤشر الذي أفاد **محمد العمري** ومنحه الريادة والقوة في استكمال بناء تصور مشروع البلاغة العربية والبحث عن بلاغة عامة من خلال مشاريع البلاغة التراثية ومنجزاتها.

إنّ القراءة التي يطمح إليها **صمّود** كمشروع لكتابه، هي قراءة تبحث في إمكانية "إعادة قراءة البلاغة في ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، ولا سيما مكتسبات اللسانيات"[4] من عدم الإمكانية، لذا انكبّ **صمّود** على قراءة الطروحات الغربية والتيارات النقدية الحديثة فألّف معجما

1 – أكاديمي، أستاذ البلاغة والنقد بجامعة بنها بمصر.

2 – رجاء عيد، فصول مجلة النقد الأدبي، العدد1 المجلد 5 /1984، ص 234.

3 – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 9.

4 – المرجع نفسه، ص 9.

لمصطلحات النّقد الحديث، ولا يعني به النّقد العربي إجمالا: "بل قصدناه الاعتناء ببعض منازع النّقد في أوربا خاصة فرنسا ... ونكتفي منها بالنّقد الهيكلي وهو النقد البنيوي"[1].

فعلى صاحب المشروع أن يستعين بأدوات عصره لفهم الماضي، وأن يحاوره ويمد أواصر التقارب لاستجلاء مكنونات التراث، دون أن يمس بعناصر هويتنا.

2. 3 جدلية التّراث والحداثة:

جاء مؤلف **صمّود** ليزاوج بين التّراث والحداثة في فهم كنه البلاغة وجمالياتها والبحث عن نقاط التلاق بين التراث البلاغي والنظريات الحديثة، بقوله: "ولذلك حرصنا في هذه المحاولة على مباشرة التراث من منطلق التفاعل بينه وبين الحداثة قصد فهمه في ذاته واستجلاء أبعاد النظرية الأدبية التي يتضمنها، ثم لمحاصرة مظاهر المعاصرة فيه التي يمكن استحضـــارها، اليوم للمساهمة بها في تغذية النقاش القائم حولنا، في هذه القضايا"[2].

حين قدّم **صمّود** كتابه "الوجه والقفا في تلازم التّراث والحداثة"، الذي ألّفــه سنة **1986** أي بعد تأليف كتاب "التفكير البلاغي عند العرب"، جمع فيه بين نصين أحدهما من التّراث والثّاني من الفكر المعاصر، علّق في تصدير الكتاب على سبب الجمع بينهما موضحا منهجه في كتابة جلّ مؤلفاته: "..أنا المتجذر في التّراث بالانتماء والاختصاص أحمله في داخلي كالرّسم والوشم سلطة قابعة في ركن من أركاني السحيقة، تمارس سلطانها في السّر والعلانية، وأنا المدقوق في العصر الموثوق إلى ما يشقه من تيارات وما يطفح من نظريات، قدري أن أكون هنا وهناك كيانا مختلف الموارد متشعب المسالك عجيب التركيب أشق الماضـــي بالحاضر

1 – صمود حمادي، معجم لمصطلحات النقد الحديث، حوليات الجامعة التونسية العدد 15 / 1977 تونس ص 125.

2 – صمّود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 13.

وأعيش الحاضر بذاكرة منحدرة من مناطق قصية"[1]، يقرّ مفكرنا بتلازمية التراث والحداثة، وأنّه لا مجال للفصل بينهما، كذلك حرص في محاولته القرائية على مباشرة التراث من منطق التفاعل بينه وبين الحداثة ،قصد فهمه في ذاته واستجلاء النظرية الأدبية التي يتضمنها، ثم لمحاصرة مظاهر المعاصرة فيه التي يمكن استحضارها اليوم، للمساهمة بها في تغذية النقاش القائم حولنا في هذه القضايا كما ذكر سلفا، ولكن في المقابل حذّر من الوقوع فيما سمّاه بـــ" (الاستلاب الثقافي Alienation) و(السلفية الفكرية الجديدة)، إذا لم يوفق قارئ التراث من استخدام وسائلنا المعرفية استخداما يحترم خصائص التراث والسياق التاريخي الذي يتنزل فيه والأسس المعرفية الابستيمولوجية القائم عليها"[2].

بنى **صمّود** مشروعه في قراءة التراث البلاغي على تلازمية التراث والحداثة، وأكدّ على أنّ فهم التراث لا يتم إلاّ: ".. بالانغماس في العصر والتوسل بلغته، والاهتداء بمفاهيمه على أن يكون ذلك معرفة عميقة لا تستسهل صعبا ولا تستعجل نفعا، معرفة تجلو الخفايا وتبرز الخصائص وتحيط بالموارد والمصادر"[3]، بهذا يحدد **صمّود** شروطا لاستخدام أدوات العصر خصوصا الغربية منها، فاختلاف الثقافات بين العرب والغرب واختلاف الإيديولوجيات وعناصر الهوية، يلزم أن نتبين ونستجلي الخفايا ونمعن النظر أثناء التعامل مع المفاهيم الجديدة خاصة التي "تولدت عن تيارات فكرية وايدلوجية ورؤية للعالم تختلف عمّا هو موجود عندنا"[4].

لا يمانع مفكرنا من وجوب دراسة النّظرية البلاغية الغربية قبل العربية: " كان عليّ أن أدرس النّظرية البلاغية الغربية من بداياتها، من أرسطو، بل من قبل أرسطو عند السفسطائيين:

1 – صمود حمادي، الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، الدار التونسية للنشر 1988، ط1/1988، ص 2.

2 – ينظر صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص13.

3 – صمود حمادي، الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، ص 6.

4 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 13.

بيتاغوراس، وغورجياس[1]، وغيرهم، ثم أرسطو، ثم بعد ذلك شيشـــرون[2] وما قالت الثقافة اليونانية، حتى أفهم الأرضية التي تقوم عليها هذه النّظرية أو البنية، وما يؤسّسها. ثم من جهة أخرى، كان عليّ أن أفهم على أي أساس قامت النظرية البلاغية في التصوّر العربي" [3]، وهذا من باب التمكين لآفاق البحث وتأكيد جدوى القراءة في ضوء المكتسبات اللسانية.

هكذا، وبهذا الطرح يتبين لنا جليا مدى وعي **صمّود** بالثقافة الغربية، ففيه إخلاص للتراث من جهة والثقافة الغربية من جهة أخرى، لذلك قال عنه **العمري** حين أشار لمرحلة الكتابة من منظور حداثي لساني واع باختياره ومخلص له: "وأكمل عمل يطمح لتقديم رؤية عامة شاملة عن البلاغة العربية في هذا الإطار هو أطروحة حمادي صمود التفكير البلاغي عند العـــرب .."[4] لكن هل كل قارئ للتراث العربي مؤهل إلى قراءة بلاغة الغرب قبل العرب حتى يستوفي حق التراث؟، ففهم النظرية البلاغية الغربية، ثم الانتقال إلى النظرية العربية، لا يتأت إلا بوعي ثاقب وإلمام بأدوات العصر بمختلف مناهجها وبخاصة البنوية الأسلوبية لكثرة استعمالاتها العربية.

وإن تشبَث **صمّود** بالثّقافة الغربية إلاّ أنّه أبدى تخوفه وحذره الشّديد من منزلقات التّعامل مع مفاهيمها القرائية وما قد يترتب عن ذلك من نتائج وخيمة، وعن هذا يقول صمود: "ولكنني حذر من المقاربة الحديثة كذلك، .. مأتى الحذر كان ضرورة التوفّر على الوعي؛ الوعي، أوّلًا وقبل كل شيء، فشرط إتمام هذا العمل: هو أن أكون واعيًا بما يؤسّس الثقافة العربية الإسلامية في موضوعها، وواعيًا بما يؤسّس ذلك المجال في ثقافات أخرى، يجب أن يتوفّر ذلك حتى لا

1 – غورجياس، فيلسوف يوناني من أشهر السفسطائيين، برع في الخطابة والجدال توفي سنة 375 ق.م

2 – شيشرون كاتب روماني وخطيب ولد سنة 106ق.م وتوفي سنة 63 ق.م، تولى مجلس الشيوخ الروماني وحاكم روما في الفترة 51ق.م – 50ق م.

3 – حوار أجراه معه الباحث التونسي نادر الحمادي تحت عنوان: (حمادي صمود المثقف والجامعي والمجال العام) نشر في موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث يوم: 16 فيفري 2017، رابط الحوار: https://cutt.us/Klf0q .

4 – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 8.

نقع في الإسقاط الذي يؤدّي إلى نتائج هزيلة"[1]، وهذا ما يعني به بجدوى القراءة والمنفعة التي تتأتى منها.

فقد تكون أدوات العصر ومناهج اللسانيات الحديثة معاول هدم لا بناء لبنات جسر التواصل بين التراث والحداثة، متى اشتّد الانبهار بالغرب حدّ الانغماس فيه والقول بموت التراث وبلاغته، وهنا تجدر الإشارة إلى موقف **عباس أرحيلة**[2] من مسألة التّأثير الأجنبي إذ يرى أنّ مقولة التأثير هي المدخل الرئيسي لنفي الأصالة عن هذه الأمة، ويحذر من مسألة الانبهار فيقول: "ومقولة التأثير سادت في عالمنا العربي حوالي سبعين سنة من القرن العشرين وتحولت في نهايته إلى عولمة، إذا كنا قد أصبحنا أثناء نهضتنا الحديثة نسير على آثار أوربا في كل شيء، وأننا اليوم ما عدنا نتساءل هل نقلد أم نذوب ونتلاشى في غيرنا بأنفة وكبرياء، فإنّ من كان قبلنا كانت له وجهة أخرى، يأبى أن يسير على أثر غيره إذ كان له أثره الخاص بـــه لأنّ الحضارات الإنسانية لا تؤسس، ولا تحقق تراكماتها المعرفية بالتناسخ"[3].

فإن يحذر **صمّود** من منزلقات التعامل مع المفاهيم القرائية الحديثة فإنه يطمح من القارئ الواعي ضرورة المزاوجة بين التّراث والحداثة للخروج بنتائج إيجابية تقدم لنا إجابة شافية وافية عن أسئلة التّراث البلاغي، ويعيب على العرب أنفسهم تدثرهم بحضارة عربية بالية يقول: "...فأنا أعتقد أن وظيفتنا الأساسيّة، هي: أن نكون ثابتي الأقدام في العصر، وفي فهم ثقافتنا وما يؤسّسها، وما يمكن أن نستحضر منها لنشارك العصر في ما يساهم فيه من نقاشات عظيـــمة فليس من قبيل الصدفـــة، مثلًا، أن كـــان **الجرجـــاني** معروفًا في أغلـــب الجامعات الغربيـــة

1 – من الحوار الذي أجراه معه الباحث التونسي نادر الحمادي.

2 – باحث مغربي من مواليد 1949، أستاذ التعليم العالي في الأدب العربي بمراكش.

3 – أرحيلة عباس، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 2، المجلد 32، 2003، ص212.

وقد صدرت حوله كتابات شتّى في الغرب، وأذكر ههنا؛ اهتمام بعض الفرنسيين به، فقد سبق أن درّست مادّة البلاغة العربية في إطار شهادة التبريز في اللغة والآداب العربية، في دار المعلمين العليا(L'École de la rue d'Ulm)، وأذكر طالبًا من طلبتي، واسمه بروجون (Brujean) قد انتهى به اهتمامه **بالجرجاني** إلى أن ترجم "دلائل الإعجاز" إلى الفرنسية. لقد اهتموا بالجرجاني؛ لأنهم وجدوا فيه فكرًا يمكن أن نساهم فيه نحن اليوم في النّقاش الدائر حول هذه القضايا؛ فالأمر الأساسي، هو: كيف يمكن للإنسان أن يدخل العصر بأدوات العصر" [1].

ليس من الصدفة قراءة الغرب لتراثنا لكشف أسراره، فالتطور لا يكون إلا بتكامل حلقات المعرفة و مدّ الجسور بيننا وبين الآخر مثلما فعل أسلافنا المشارقة والمغاربة على حدّ سواء.

لهذا يقرّ **صمّود** بمسؤولية النّقاد والبلاغيين في وجوب إزالة الغموض من فكرة الاستلاب ومحاولة الخروج منها قبل قراءة التّراث البلاغي، يقول:" إنّني أرى- شخصيا – أنّه من منطلق المعاصرة، ومن وجوه الحداثة، ومن مسؤوليتنا أمام قرائنا، ينبغي أن نخرجهم من الاستلاب الذي وقعوا فيه، إنّنا دائما نقفز مباشرة إلى التّراث، وأعتقد أنّ كل أعمالنا لتأصيل التراث وتأسيسه، تتجه مباشرة إلى تقرير الظاهرة في التراث، قبل فهم الظاهرة نفسها في الغرب ... وإذن فلنفهم أولا، ولنتثبت من المراحل ولندرك الأسباب والمسببات، ولنتجنب القفز مباشرة لتقرير العلاقة بين شيء لم نفهمه وشيء آخر أنا أعتقد أننا لم نفهمه كذلك ثم هناك موقف فكري كذلك، يدعونا إلى أن نحرّر قارئنا من الاستلاب، ونفهمه كيف أنّنا حريصون كذلك على تأسيس رؤية للتراث لكنها تتسم بالحداثة"[2]، وهذا ما بدا جليا في مؤلفه المعتمد في بحثنا.

1 – حوار أجراه معه الباحث التونسي نادر الحمادي.

2 – المرجع السّابق نفسه.

يحرص **صمّود** على قراءة التراث الغربي أوّلا، أو أصول البلاغة في مظانها الغربية وتتبع مراحل نشأتها وتطورها في الغرب، حتى لا نقع في فخ الاستلاب، ومنه يأتي إلى تراثنا متسلحا برصيد معرفي شامل عن أصول النظرية البلاغية العربية، وفي ذات الوقت لم يخف الصعوبات الكامنة لتحصيل هذه التلازمية، فالأمر ليس بالهيّن لمن رام فهم التراث بأدوات الغرب، بل قد تهدده مزالق خطيرة.

فإزالة هذا التخوف وتجاوز هذه الصعوبات مفاده في استخدام أجهزتنا المفهومية – كما أكدّ **صمّود** –: "استخداما يحترم خصائص التراث والسّياق التاريخي الذي يتنزل فيها والأسس المعرفية (الابستيمولوجية) القائم عليها، لا سيما أنّ المفاهيم التي نتوسل بها مفاهيم شبت في منابت أخرى وتولدت عن تيارات فكرية وإيديولوجية ورؤية للعالم تختلف عمّا هو موجود عندنا، وهي بالتالي تختلف عن الإطار الذي نشأ في التفكير البلاغي العربي من هذه الجهـــة ومن جهة الفارق الزمني أيضا"[1].

أفصح هذا المقتطف على وعي تام من **صمّود** حول وجوب التحكم في آليات المعاصرة لفهم التراث العربي، وبيّن ما لنا وما علينا، وهو الذي درس ودرّس المناهج الغربية وأحكم أصولها وقواعدها.

وإن روّج بعض البلاغيين المغاربة المعاصرين إلى دور هذه المناهج واعتبارها وسيلة وأداة لقراءة التراث البلاغي والإجابة عن أسئلته، رغم الاختلاف في طرق التعامل معها إلا أن هناك من الباحثين من يعتبر الجمع بين التراث والحداثة ضربا من الخلط والحاصل على مستوى الأسس المعرفية للأطر المتناولة للتراث، نجم عن عملية الإسقاط التي صارت ملازمة

1 – المرجع السابق نفسه.

دوما لقراءة التراث إمّا مقارنة بينه وبين الدراسات الحديثة، وإمّا لإثبات فكرة من الأفكار التي ظهرت في الدراسات الحديثة، ولهذا نجد **محمد النّاصر** ينقل نص **جابر عصفور** حيث يقول: "إنّه من المستحيل إلا على سبيل الفعل الإيديولوجي من حيث هو تزييف للوعي، أن نستنطق "منهاج البلغاء" لندعم النقد الجديد، أو نسقط البنيوية على "دلائل الإعجاز" لنبرز البنيوية ونشيعها، أو نعثر على مفاتيح الأسلوبية في "المنزع البديع" للسجلماسي أو "الروض المريع" لابن البناء المراكشي لنثبت أنّ الرطان الجديد يعود بأصله إلى رطان قديم، فذلك كله من قبيل الإسقاط الذي هو نقيض القراءة"[1]، وعن هذا فقد فصّل القول الباحث الجزائري **بناني** في أطروحته حين تطرّق إلى اتجاهات البلاغيين العرب في العصر الحديث وموقفهم من المناهج النقدية، و خلص إلى أنّ: "هذه الاتجاهات كلها تحمل بكيفية أو بأخرى آثار ما يجري في الغرب من تطور في الدراسات البلاغية والأسلوبية، وتهدف في معظمها إلى المقارنة أو تطعيم البلاغة العربية بالمناهج الغربية "[2].

هذا التطعيم الذي يبدي **بناني** تخوفه منه، يعارضه فيه **العمري** فيعتبر أنّ الأمر سيزيد: "تعقيدا عند دراسي التراث التقليدين الكسالى العاجزين عن استيعاب التراث الانساني حيث يسقطون القدسية على التراث، ويقدحون في المناهج الحديثة باعتبارها انتاجا غربيا تجب معاداته"[3].

1 – اليزيد بلعمش، منهج قراءة التراث عند محمد محمد أبي موسى، رسالة دكتوراه جامعة الحاج لخضر باتنة، 2016/2015، ص 11.

2 – بناني، محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 7.

3 – العمري محمد، أسئلة البلاغة، ص283.

المبحث الثالث: المناهج والنظريات المعاصرة المتوسل بها:

3 – 1 : الأسلوبية.

3 – 2 : الشعرية.

3 – 3 : الحجاج.

3 – 4 : الاهتمام بالقارئ (التلقي).

المبحث الثالث: المناهج والنظريات المعاصرة المتوسل بها:

فرضت تلازمية التراث والحداثة على صمود من أن يستثمر المادة المعرفية والمنهاجية الحاضرة في عصره وكله وعي بالمزالق التي تهدد كل من رام فهم التراث بأدوات الغرب غافلا خصوصية تراثنا والسياق التاريخي الذي يتنزل فيه والأسس المعرفية الابستمولوجية القائمة عليها، وحتى يتجاوز هذه الصعوبات لابد من تذكير أنفسنا بهذه الأطر أثناء الدرس فما الأدوات التي اشتغل عليها وما الدراسات المستأنس بها:

3. 1 الأسلوبية:

تعزى بدايات هذا المنهج في نظر أغلب الدراسات الحديثة إلى حركة الشكلانيين الروس ما بين **1915 –1930**، وإلى علم اللسان عند **دوسوسير** رائد اللسانيات البنوية في محاضراته التي قدمها، وفي ثنائياته المشهورة، ومن جملة ما نظّر له التفريق بين اللغة والكلام[1]، وقد كان تأثر العرب بالمناهج اللسانية الغربية جليا في الدراسات العربية وبخاصة المنهج البنيوي كونه قد نضج وبرز الاهتمام به منذ "أواخر السبعينيات حين نُشرت دراسات لعدد من النقاد في المشرق والمغرب العربي تتبنى الاتجاهين الرئيسين في البنيوية: الشكلاني والتكويني"[2]، فما المسوغ لتبني هذا المنهج في الدراسات البلاغية المغاربية المعاصرة؟

يجيبنا **صمّود** بقوله: "هذا الكتاب – يعني به التّفكير البلاغي عند العرب– شبّ في مهاد نظري كتاب تهمين عليه الدراسات الأسلوبية والشّعرية، وكان صاحبه مطمئنا عند بناء تصوره

1 – محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2003، ص13.

2 – حفناوي بعلي، استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر، دروب للنشر والتوزيع الجزائر، د/ط 2014، ص8.

العام إلى مقولات الإنشائية البنوية"[1]، يبدو أنّ **صمود** الطامح إلى استكشاف النظرية الأدبية: نظرية فن القول وجمالية قد بنى تصوره على مقولات ومفاهيم الأسلوبية وخصائصها، فتأثر بها وانعكست في مشروع قراءته للتراث البلاغي.

ويؤكد هذا التأثر الباحث **مسالتي البشير**، بقوله: "واعتمادا على الفحص البنوي أي التحرك الآني، بسط الباحث **صمّود** سلطة النصوص الجاحظية، مناقشا مسألة البيان عند الجاحظ"[2]، فبفعل المزاوجة بين النظرية التاريخية التطورية التي تعتمد السرد التاريخي وتلخيص الكتب التراثية وبين النظرية الآنية التأليفية التي تعتمد التحليل والتي ربطها بتصور **الجاحظ** في مؤلفاته يكون **صمود** قد أبان عن تعامله مع المنهج البنوي اللساني في قراءته للتراث البلاغي.

ويعبر **صمود** عن تبينه لمقولات البنوية بقوله: "إنّ المنهج في تصورنا لا يقتصر على طرائق العلماء في تأليف كتبهم وتنظيم فصول أبوابها، كما لا يتحدد بالصبغة الغالبة على دراستهم أدبية كانت أو كلامية وإنما يتجاوزها إلى تدقيق مسالكهم في الاهتداء إلى مواطن الجودة والقبح في الكلام واسكناه المستندات النظرية والمتطلبات المبدئية التي على أساسها واجهوا مسألة القيمة الفنية وأخرجوا كتبهم"[3]، فيظهر جليا من خلال هذا المقتطف أنّ **صمود** لم يعتمد في قراءته لمؤلفات **الجاحظ** ومن جاء قبله وبعده على السّرد التاريخي لمضامين الكتب بقدر اهتمامه بمواطن الجودة والقبح فيها وبهذا يصل إلى استكشاف النظرية الأدبية نظرية فن القول وجمالية اللغة.

1 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، مقدمة الكتاب.

2 – مسالتي، محمد عبد البشير، خطاب البلاغة الأنساق المتصارعة وجدل التأويل، ص236.

3 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 430.

يؤكد كذلك هذه الرؤية حمله القول بأنّه: "بدل الجري وراء أول من ألف في البيان أو البديع أو في المعاني، أن نبحث عن العوامل ... التي نعتقد أنّها ساعدت على تبلور التفكير البلاغي وأوجدت المناخ الملائم لبروز هذه المشاغل فحملت الناس على التفكير في اللغة تفكيرا معياريا جماليا يترصد عناصر الجودة فيها ويصف الأساليب ويصنفها معتمدا على ما بينها من تفاضل"[1].

3. 2 الشّعريـــة:

إذا كانت الشّعرية هي "الإطار النّظري العام الذي يتنزل في الأدب"، فإنّ تركيز **صمود** في مشروع قراءته للتراث البلاغي على (الصّورة) وخاصة التشبيه والاستعارة يمثل وجها من أوجه توظيفه للشعرية، إذ تعد الصورة في نظره أبرز مظهر فني في النص، والتشبيه والاستعارة أهم ما يشكل جلّ محاسن الكلام[2].

يبرر **صمّود** تركيزه على التّشبيه باهتمام النّاقد والبلاغي القديم بالتّشبيه إلى شيوع هذا النّوع في الشّعر الذي بنوا عليه تصوراتهم الأدبية وأحكامهم النقدية، فيخصص له أكثر من خمس وثلاثين صفحة يبين فيه تعريفه وخصائصه ودراسة مسائله أصولا وفروعا مستشهدا بأشعار العرب معتبرا إياه جزء مهما في استكشاف النظرية الأدبية نظرية فن القول لينتقل إلى الاستعارة فيقر أنّ العناية بها كان من نصيب مؤلفات القرنين الرابع والخامس ففيهما اجراءات تطبيقية ومقررات نظرية و"أنّ الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة كان بعيدا عن الفصاحة بريا من البلاغة"[3].

---

1 – المرجع السابق نفسه، ص 21 .

2 – ينظر، المرجع نفسه، ص 445.

3 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب ص 514.

وإذا كانت البلاغة قد تشربت دلالة البيان ببعده اللغوي الإفهامي، وطغت الوظيفة الإقناعية أو وظيفة الفهم والإفهام على الوظيفة الخطابية والوظيفة الشعرية، فإنّ **صمّود** في تحليله لبيان الجاحظ قد خلص إلى أنّ مفهوم البيان والبلاغة عنده سواء، **فالجاحظ:** "قد قايض مفهوم البلاغة بالخطابة دون إعلان، أو بيان علاقة هذه بتلك، كان يتحدث عن البيان، ثم صار يتحدث عن البلاغة، ثم انتقل إلى المقام الخطابي، وامتد في الحديث عن الخطابة والخطباء إلى نهاية الكتاب"[1]، ويرى المفكر البلاغي **صمود** أن ّهذا التداخل المعرفي، لا بد من فك رموزه بالعودة إلى أسس هذه النظريات في مظانها الغربية فــ: "الحقل المعنوي لكلمة RHETORIQUE لا يطابق في الأعم الحقل الذي تبنيه كلمة بلاغة في السنن العربية، وان كنا نضطر دائما عن خطأ أو عن صواب إلى المطابقة في الترجمة بين الكلمتين، والمترجمون الذين اهتموا بمؤلفات أرسطو أدركوا هذه النكتة، ففضلوا على ما عرفناه عنه في الترجمة الإبقاء على المصطلح في لغته الأصلية، فقالوا (ريطوريقا) ثم لمّا تناول الفلاسفة الكتاب بالترجمة والشّرح سموه الخطابة"[2]، وهذا الأمر دعا بالبلاغة أن تجمع القواعد الكلية حتى تستطيع الحكم على لغة النّصوص وضبط المبدع منها لتفسير الظاهرة الإبداعية وهو ما قال به الجاحظ من أنّ " أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة"[3].

3. 3 الحجاج:

بظهور المنهج التداولي الذي أعاد للبلاغة هيبتها ومكانها الذي تستحق لكونها الوسيلة الوحيدة للإقناع، فهي تقوم بالدرجة الأولى على خاصية الحجاج والذي لا يغفل جانب الملتقى،

1 – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دراسات وأبحاث، أفريقيا الشرق، 2013، ص 129.

2 – أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف صمود حمادي ، سلسلة آداب، كلية الآداب منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية تونس 1، ص 11.

3 – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1 ص 92.

يمكن أن نطرح التساؤل التالي: إلى أيّ مدى كان هذا المنهج حاضرا في قراءة البلاغيين المغاربة المعاصرين؟.

يمكن القول أنّ **صمّود** كان سبّاقا لتوظيف هذا المنهج في دراساته، فاعتماده **للجاحظ** كمركز ثقل للبحوث البلاغية مكّنه من استثمار آليات هذه القراءة، لتوضيح جهد الجاحظ ومكانته، **فصمّود** كان: "أكثر ميلا إلى البحوث في مجال الحجاج ابتداء من منتصف السّبعينيات وهي المرحلة التي لاتزال متواصلة، وينطلق **صمّود** في هذه المرحلة من اعتباره بلاغة الحجاج أدقّ مواضيع الدّرس البلاغي اليوم وأكثرها أهمية بالنسبة إلينا لأنّها أهمّ مظهر تتجلى فيه خاصية التّداخل المعرفي لأنّ بلاغة الحجاج تستوعب جميع العناصر المجاورة والتي تساعد على فهم الخطاب"[1]، وهو ما سيوافقه فيه الباحث الجزائري **بناني** حين برز عمله التداولي والحجاجي في أشهر أعماله بدراسته لأعمال **الجاحظ** لمدة زمنية لا تقل عن عشر سنوات، وركّز خلالها على مفهوم البيان والخطاب والكلام وعناصره، وسيوافقهما كذلك **العمري** في ضرورة وجود الحجاج خاصة في فترة الجاحظ والمدرسة الكلامية عندما بات التسلح بالوسائل الحجاجية البلاغية اللغوية أمراً ضرورياً للدفاع ضد مزاعم المشبهين والمتناولين للمتشابه من القرآن الكريم من جهة ولمقارعة الفرضيات المضادة التي يقدمها الخصوم من جهة ثانية"[2].

ولهذا اعتبر **صمّود** أنّ الحجاج أساس البلاغة، فكانت بداياته من الحجاج في مضانها الغربية ثم انتقل إلى البلاغة متسلحا بالأدوات التداولية.

هذا ما كان يركز عليه **صمّود** في قراءته للتراث البلاغي، فكان يبحث داخل البلاغة عن أهم خصائصها التي قد تمكنها من استيعاب مختلف خطابات العصر: "وأنّه عثر عليها فعلا في

1 – سونة حسين، سليم سعدلي، امتدادات البلاغة الجديدة في النقد المغاربي، البلاغة والحجاج عند حمادي صمود أنموذجا، ص 914.

2 – عباس حشاني، الأبعاد النظرية الحجاجية ومظاهرها عند المفسرين وعلماء الأصول، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص 7.

(الحجاج) هذا المفهوم الذي شكّل لتقصيه فريق عمل متكامل، نظرا إلى أنّه يمد جذوره في حقول معرفية عدة، منها التّاريخي والسّياسي والاجتماعي والنّفسي والإعلامي والتجاري الاقتصادي فضلا عن اللساني[1].

فحين ظهر مصطلح البلاغة الجديدة أو بلاغة الحجاج، لم يكن **صمّود** بمعزل عن هذا الاهتمام بالوافد الجديد، فقد تسلّح بفريق بحث أشرف عليه ليتتبع النظريات الحجاجية في مظانها الغربية، وألّف هذا الفريق كتابا سنة **1998**، بعنوان: "أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" يقع في أربعمئة واثنين وخمسين صفحة.

وإذا كان الحجاج بُني على عامل القرآن الكريم وانعكاسات درسه على مفهوم البلاغة وظيفة، إجراء ومنهجا، فإنّ **صمود** استثمر مفاهيمه وهو يعالج في مشروع قراءته للبلاغة العربية عامل القرآن وخاصة قضية المجاز والإعجاز وعدّ البلاغة وسيلة لخدمة غاية أسمى وهي غايات العقيدة.

ولقد اهتم **صمّود** بالحجاج والجدل المنطقي وأولى المتكلم منشئ الخطاب مكانة كبيرة في كتابه، هذه البلاغة الجديدة التي يعدّها" أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم وأكثرها أهمية بالنسبة إلينا، لأنّها أهم مظهر تتجلى فيه خاصية التداخل المعرفي، وبلاغة الحجاج تستوعب جميع العناصر المحيطة بالقول: "المتكلم، المتلقي، السياق الثقافي، السياق الاجتماعي، السّياق اللغوي السّياق التاريخي)"[2].

1 – الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 / 2008، ص 288.

2 – رمضان يوسف، مقال البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، ص 4.

3. 4 الاهتمام بالقارئ "التلقي":

لعل بداية الاهتمام بالقارئ والتلقي في الدراسات الغربية تعود إلى "جماعة برلين ثم مدرسة جنيف، وكذلك المدرسة الفرنسية، إلاّ أنّ مدرسة كونستنس الألمانية، هي التي تمثّل الشّرعية المدرسية التي تؤسس طريقها على أعمال منتظمة، وهذا ما يؤكده الناقد المغربي المعاصر **أحمد بو حسن** قائلا: "تعتبر مدرسة كونستنس الألمانية، بما قامت به أبحاث والفرضيات النظرية التي وضعتها في نظرية التلقي، المرجع الأساسي في جمالية التلقي التي ستعيد للقارئ أو لقطب القارئ اعتباره لقد أعطيت أوصاف كثيرة لما قامت به هذه المدرسة فقيل مرة إنها ثورة في تاريخ الأدب الحديث، وأخرى بأنها وضعت نمط استبدال جديد"[1].

أولى **صمّود** المتلقي عناية خاصة في دراساته حين تحدث عن **الجاحظ** فـــانصراف "الجاحظ إلى دراسة البيان والتبيين والبلاغة مظهر من مظاهر العناية بالتلقي ووعيه به، والأثر الحاصل للمتلقي من خلال تنصيصه على البيان والتبيين الذي غرضه التوصيل والإبلاغ للمتلقي"[2].

وقد أثبت **صمّود** أنّه حاز قصب السّبق في فهمه لمنهج التلقي والذي يركز اهتمامه على القارئ أثناء تفاعله مع النّص الأدبي، لهذا سعى إلى جعل **الجاحظ** نقطة ارتكاز ليسهل ضبط أسس التفكير البلاغي عند العرب.

وعن سبل الإلمام بالحجاج وعناصره، يؤكد **صمّود** ومن خلال فريق البحث الذي أشرف عليه أنّ: "الوسائل قد تأتي من صورة المتكلم لدى السامع، ومنها ما يأتي من انفعالات المستمع

1 – عمراني المصطفى، من سلطة الكاتب إلى حرية القارئ، مقال منشور عبر موقع الدكتور محمد عابد الجابري: https://www.aljabriabed.net/n88_13amranimustafa.htm

2 – عيسى حورية، الخطاب الأدبي بين التراث العربي وبين تقنية التبليغ وآلية التلقي، رسالة دكتوراه جامعة وهران، 2016، ص 136.

وعواطفه، ومنها، وهو الأغلب الأعم ما يأتي من اللغة ذاتها"[1]، فاللغة والمتكلم والسامع تشكل عند **صمّود** أقسام الحجاج ومن أمثلته الخطابة.

إنّ أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب تتوزع عند **صمّود** في ثلاثة أقسام هي: (البصر بالحجّة / ترتيب الأقسام / العبارة):

1- البصر بالحجة: يمثل القسم الأول من الخطابة ويعني به: "حسن التدبير والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى، حتى يسدّ المتكلم السبيل على السّامع، فلا يجد منفذا إلى استضعاف الحجة والخروج عن دائرة فعلها وربما نقضها بما يخالفها أو يباينها"[2].

2- ترتيب الأقسام: ويمثل القسم الثاني من الخطابة ويعني به ترتيب تلك الحجج التي ظفر بها الخطيب ووضع كل واحدة في المكان المناسب لها فيزيدها قوة وربما عُبّر عنه ببراعة الاستهلال وهو ما نجده في مطالع ومقدمات الكتب.

3- العبارة: ويشكل القسم الثالث من الخطابة، فبعد أن يكون الخطيب قد اهتدى إلى الحجج المناسبة لمقام خطبته ورتب الأقسام في ذهنه بما يجعل تلك الحجج مترابطة ترابطا، راح بعد ذلك يبحث عن اللفظ المناسب الذي به يخرج كل ما كان في الذهن والذاكرة إلى الوجود"[3].

تمكن **حمادي صمود** من قراءة التراث البلاغي العربي باختيار واع حيث استعان بالأدوات والمفاهيم بما يضمن جدوى القراءة في ضوء مكتسبات البحث العلمي الحديث لا سيما اللساني منه.

---

1 – أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 15.

2 – المرجع نفسه، ص 16.

3 – المرجع نفسه، ص 17.

الفصـــل الثّـــانـي

فعالية البلاغة وقدرتها في تبليغ الفكر والذوق المعاصرين

المبحث الأول:

بنية الأطروحة وغاياتها.

المبحث الثاني:

الوعي المنهجي والنقدي في قراءة محمد الصغير بناني.

المبحث الأول:

بنية الأطروحة وغاياتها.

1 . 1 : عنوان الأطروحة.

1 . 2 : أقسام الأطروحة وغاياتها.

المبحث الثاني:

الوعي المنهجي والنقدي في قراءة محمد الصغير بناني.

2 . 1 : جدلية التراث والحداثة.

2 . 2 : المناهج والنظريات المعاصرة المتوسل بها.

المبحث الأول: بنية الأطروحة وغاياتها:

لم يعد ينظر إلى البلاغة العربية – اليوم – بتلك النظرة المقتصرة على جمالياتها وأنّها جزء من التّحسين المعنوي بل أثبتت البلاغة على مرّ أزمنتها أنّها إحدى الأدوات المؤثرة وما حضورها على ألسنة النّاس في شقّها البلاغي إلاّ لغلبة الخصم وقهره، ولا زالت تحتفظ اليوم بأسرار قادرة على الإجابة عن "اختبار أسئلة الدرس البلاغي الحديث، على اعتبار أنّ البلاغة العربية منظور إليها على أنّها الوجه الآخر للأدب، والذي وحده يستطيع أن يبوئ البلاغة العربية مكانتها التي تستحق بين بلاغات العالم"[1].

وقبل الحديث عن المؤلَّف وجب تقديم نبذة عن حياة المؤلِّف، ولد **محمد الصغير بناني** في الثامن عشر ماي **1935** م بعين ولمان ولاية سطيف الجزائر، وسط عائلة محافظة لها باع في الدين والعربية والعلم، فقد كان أبوه قاضيا، وما عرف عن هذا الرجل هو دخوله مجال التعليم، فقد بدأ حياته العملية بمنصب أستاذ تعليم ثانوي لمادة اللغة العربية، وشغل بعد ذلك منصب أستاذ بجامعة الجزائر في السبعينات؛ ليواصل تعليمه العالي ويرتقي من درجة معيد إلى أستاذ مكلف بالدروس إلى أن تقلد منصب رئيس جامعة الجزائر لمدة ثلاث سنوات.

لم يتوقف نشاط الرجل على المستوى الداخلي بل تعداه ليشغل منصب خبير بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس وعضو مشارك بالهيئة الاستشارية للمجلة العربية للتربية وكان **لمحمد الصغير بناني** نشاطٌ بيداغوجي فاعلٌ، فقد أشرف على بحوث ورسائل جامعية عديدة كما تولى عضوية العديد من لجان مناقشة أطروحات دكتوراه دولة وحاضر في الكثير من الملتقيات الوطنية والدولية باللغتين العربية والفرنسية: تونـــس قطر، مدريد، لوس انجلوس....

[1] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 1.

نشر **بنّاني** مقالات عديدة باللغتين العربية والفرنسية كجريدة الوطن، وتبقى حياة محمد الصغير **بناني** غامضة فلم تسعفنا الظروف لإيجاد معلومات أكثر عنه، رغم سعينا الحثيث ولم نجد في حدود ما اطلعنا عليه في الكتب وعبر شبكة الأنترنت من يتحدث عن **بناني** أو يتناول مؤلفاته بالدرس والتحليل.

ألّف **بناني** مؤلفات كثيرة أبرزها: النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ **1983** البلاغة العربية وأصولها النظرية وهي رسالته لدكتوراه الدولة، ناقشها سنة**1993** لمّا تطبع بعد، البلاغة والعمران عند ابن خلدون**1996**، فك الأسرار في شعر الهزار لمحمد العيد آل خليفة **1996**، المدارس اللسانية في التّراث العربي وفي الدراسات الحديثـــة **2000** مذكرات الأمير عبدالقادر– تحقيق ترجم إلى اللغة العربية –، مراسلات القبطان دوما وهو كتاب مترجم ما فوق البلاغة والعمران من صميمي فقه القلوب عند ابن خلـــدون المساهمة في كتاب (الأمة الجزائرية) للأستاذ سماتي"[1]، توفي رحمه الله يوم الخميس **22** نوفمبر **2001** عن عمر يناهز **66** سنة.

1. 1 عنوان الأطروحة:

ظلت أطروحة **محمد الصغير بناني** محبوسة الرفوف بالمكتبة الجامعية تحت نسخة وحيدة رقمها أربعمائة وتسعة عشر بجامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله و لم تحظ بالنشر كما لم تلق الاهتمام في وسط الجامعة التي درّس بها إذا ما استثنينا مذكرة التّخرج لنيل شهادة الماستر في

[1] – خديجة صافي، مشروع بلاغة السكاكي في كتاب مفتاح العلوم في قراءة لبناني محمد الصغير، رسالة ماستر، جامعة الجزائر2 كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2016/2015، ص 70، 71.

اللغة العربية وآدابها[1]، أو أطروحة دكتوراه لمّا تناقش عنوانها "إشكالية قراءة التراث البلاغي عند محمد الصغير بناني" للطالبة خديجة صافي من جامعة الجزائر، إشراف الباحثة سهيلة عبـــريق، فلم يُكتب للأطروحة التقدير الذي كُتب لغيرها وهو الدور المنوط بنا في هذا البحث.

يسعى بحثنا إلى بعث مساعي هذا العَـــلَم البلاغي الجزائري واعتباره إضافة نوعية ضمن حلقة البلاغيين المغاربة "تونس، المغرب، والجزائر" وإن وقع الاختيار على هذا المفكر "**محمد الصغير بناني**" فمن جهة أنه سلك طريق حمادي صمود من حيث اهتمامه بالتأريخ للبلاغة العربية لا للبلاغة العربية، والجهة أخرى أنه لم ينل حقّه من الرعاية العلمية داخل الجزائر وخارجها، ووفاء مِنّا لأهل العلم عامة ولما قدّمه هذا المفكر من خدمةٍ لمشروع البلاغة العربية الحديثة، آثرنا أن نفرد له تقديما خاصا يعرض أطروحته بنوع من التفصيل يسهم في نشر مشروعه العلمي في البلاغة واستكشاف دوره في بناء مشروع البلاغة العربية.

بعد أن أنهى مفكرنا **بناني** كتابه عن الجاحظ سنة 1978، والذي تم سنة 1983 في ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر تحت عنوان: "**النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين**"، انتقل للتّفكير في تقديم مشروع بحث عن البلاغة العربية في ضوء الدراسات الحديثة، سُجّل عنوان لأطروحته الأولي، و تبيّن أنّ البحث في مضمونه يتطلب أولا "فهم البلاغة فهما صحيحا والكشف عن أصولها النظرية العميقة وعن المبادئ اللسانية والفنية والعقيدية قبل التفكير في تجديدها أو استبدالها بالأسلوبية"[2].

[1] – للاستزادة راجع: مذكرة ماستر موسومة: "مشروع بلاغة السّكاكي في كتاب "مفتاح العلوم" من المعاتبة إلى الإنصاف في قراءة لمحمد الصغير بناني"، إشراف الباحثة هندة بوسكين.

[2] – المرجع السابق نفسه، ص 8.

يعلل **بناني** سبب عزوفه عن تقديم دراسة عن البلاغة العربية في ضوء الدراسات الحديثة بقوله "... شاهدنا كل ما قيل عن البلاغة لا ينطلق من دراسة ميدانية شاملة ولا حتى من قراءة معمقة لبعض النصوص الأمهات في الكثير من الأحيان، وأكبر شاهد على ذلك نظرية الدلالات الخمس **للجاحظ** ..هذه الدلالات التي لا نجد من يوليها اليوم أدنى اهتمام على ما لها من أهمية في نظرية الأدب العربي بل في نظريات الأدب الحديثة "[1] اضطره واقع الدرس العودة بالبلاغة العربية إلى مصادرها الأولى حاملا همّ قراءتها وكتابة تأريخ شامل لها، وهذا ما دفع **بناني** منهجيا إلى العودة إلى أصولها النظرية مراجعا عنوانه كالتالي: "**البلاغة العربية وأصولها النظرية دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري**" [2]؛ وسؤالنا كيف شكّل مؤلفنا **بناني** بنية أطروحته، وهل اقتفى أثر حمادي صمود في التأليف، ونعتبر قراءته قراءة لاحق لسابق ؟.

1. 2 أقسام الأطروحة وغاياتها:

جاءت أطروحة **محمد الصغير بناني** ــ رحمه الله ـــــ الموسومة بـــ: البلاغة العربية وأصولها النظرية دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري، مقسمة إلى:

[1] – المرجع نفسه، ص 8.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 9.

1. 2 . 1 مقدمة[1]:

بيّن فيها مكانة البلاغة العربية ووظائفها مشيرا إلى أنّ البلاغة العربية تعيش فترة حاسمة في تاريخ مسارها الطويل بظهور مناهج نقدية حديثة، ووجب أن "تثبت أصالتها كنظرة إنسانية صائبة فيما فرضته للكون وللحياة في الماضي وفيما تفرضه لها في المستقبل"[2]، وهو بذلك يستحضر الأسباب نفسها التي عرضها **حمادي صمود** وهو يؤلف كتابه: "التفكير البلاغي عند العرب" حينما قال: "استأثرت البلاغة بنصيب وافر من مجهود المهتمين بالتراث العربي ...إلا أنّ هذه الجهود لا تخلو، على أهميتها من النقص فالآثار التي تروم الإلمام بمختلف مراحل البلاغة نشأة وتطورا واكتمالا قليلة، وما اتجه منها هذه الوجهة باشر المسألة من زاوية تاريخية حدثية اضعفت جانب التأليف والاستنتاج، كما أنها لم تعتن عناية كافية بالأسس التي يقوم عليها التفكير في جمالية اللغة عند العرب"[3].

اقتنع **محمد الصغير بناني**، بفعل سابقه **حمادي صمود** بضرورة تغيير منهج دراسة البلاغة الذي نادى به أحمد الشايب بقوله: "أما بعد فإني أنا أيضا أنتهز هذه الفرصة لأقرر أن الدراسات البلاغية لا تزال تحيا في فلك المنهج القديم: علومه ومسائله، وأنّ هذا العلم في حاجة ملحة إلى وضع جديد أشار به السابقون وأجملته أنا في غير هذا المكان، ورجوت أن ينهض به هذا الرعيل الجديد"[4]، وإن يحاكي مسار البلاغة العربية من حيث البناء والتطور مسار البلاغة الغربية، وإن بعثت هذه الأخيرة من جديد وبأسماء جديدة: "**علم الأسلوب، بلاغة حديثة، بلاغة**

1 – المرجع السابق نفسه، من صفحة 1 إلى 15.

2 – المرجع نفسه، ص 1.

3 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 12.

4 – المرجع نفسه، ص 12.

عامة"[1] فإنّنا لا نقرّ بموت البلاغة العربية وقيام ما هو بديل عنها؛ لأنّ بلاغتنا تحتفظ بأسرار قادرة على أن تجيب عن أسئلة الدرس البلاغي الحديث وإدراج ذاتها ضمن الطرح الراهن[2].

وبهذا يحرص بناني على عرض مختلف محاولات التجديد التي تعالت أصواتها في حقل البلاغة العربية بين مقبل على التجديد ورافض له ومتردد و قسّم هذه التوجهات إلى أربعة:

1- اتجاه السلفية الدينية: مثّل الاتجاه الأول في تصنيف المؤلف ويقصد بعبارته "السلفية الدينية" أثر الحركة الإصلاحية في توجيه معرفة البلاغة العربية وبلورة منهجها[3] وقد مثّل **بناني** هذا الاتجاه الرجل الإصلاحي "**محمد عبده**" الذي نقل الدرس البلاغي إلى متعلميّ الأزهر من خلال كتابي **الجرجاني**" دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، وإن حذا **بناني** حذو **حمادي صمود** في استثمار مصطلح" السلفية" إلا أنّه لم يعده بُعدا فكريا أو إيديولوجيا، كما حدث مع صمود في مقدمة كتابه[4]، ويشير **محمد الصغير بناني** إلى أنّ هذا الاتجاه بذل مجهوداته في طرق تدريس البلاغة ونشر الكتب المدرسية في البلاغة كما هو الحال مع: "جواهر البلاغة" **لأحمد الهاشمي** و"البلاغة الواضحة" **لعلي الجارم ومصطفى أمين**[5].

2 – الاتجاه الأكاديمي: مثّل عنده الاتجاه الثاني، من غاياته اكتشاف الأصول اليونانية في كل شيء بما ذلك البلاغة[6]، وفي نظره أكثر ملاءمة لتمثيل هذا الاتجاه هو " **طه حسين**" وقد تفرّع

---

[1] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية ص 2.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 2.

[3] – المرجع نفسه، ص 3.

[4] – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 13.

[5] – ينظر: بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 3، 4.

[6] – المرجع نفسه، ص 4.

عن هذا الاتجاه اتجاهات عدّة سلّمت بالتأثير اليوناني وبضرورة تبني النماذج الغربية في مسار تجديد البلاغة، وإن اختلفت في كيفية الدعوة ونسبة التأثير، فهناك التطرّف[1] فيما كتب **سلامة موسى** في كتابه" **البلاغة العصرية**" وهناك الاعتدال ممن دعا إلى مراعاة الخصوصية في التراث العربي ويبدو ذلك في مؤلفات كل من **أمين الخولي** في كتابيه "**فن القول**" و"**مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**" و **أحمد الشائب** في كتابه "**الأسلوب**" و**شكري عيّاد** في ترجمته لكتاب "**أرسطو**" .

3 – اتجاه الدفاع عن البلاغة العربية: وهو الاتجاه الثالث يسعى للحفاظ على موروث البلاغة العربية والدفاع عنه في ظل رفض المستورد، ظهر كردّة فعل لتيار **سلامة موسى**، ومثّل هذا الاتجاه **أحمد حسن الزيات** في كتابه "دفاع عن البلاغة".

4 – الاتجاه المتأثر بالدراسات الأسلوبية الجارية في أوربا: وهو الاتجاه الرابع الذي انقسم أتباعه إلى قسمين" أمّا أحدهما فكان يبتغي الشّهرة بواسطة الإغراب في التعبير أو المناضلين لعقيدة التغريب"[2] هدفه استبدال النموذج العربي بالنموذج الغربي[3]، وأمّا القسم الثاني أصحابه من الفئة المعتدلة تعمل على توظيف المناهج الغربية لفهم التراث البلاغي، ويمثل هذا التوجه مجموعة من المفكرين والباحثين المشارقة أمثال: **سهير القلماوي** في كتابها "النقد الأدبي" و**صلاح فضل** في كتابه "مناهج النقد المعاصر"، ومن المغاربة: **عبدالسلام المسدي** في كتابه "الأسلوب والأسلوبية" و**حمادي صمّود** في كتابه "التفكير البلاغي عند العرب" و**أحمد المتوكل**

1 – يتمثل التطرف في الاقتناع بمسلمة التأثير اليوناني وبضرورة تبني النماذج الغربية لتجديد البلاغة العربية، ينظر البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 5.

2 – المرجع نفسه، ص 6.

3 – المرجع نفسه، ص 5.

في كتابه "نظرية النّظم عند الجرجاني"، فهل يعد **بناني** من هذا الاتجاه الذي صنف ضمنه نموذجنا المعاصر **حمادي صمود**؟.

يستنبط مفكرنا الجزائري منهج التأليف في كل اتجاه، والذي يهدف إمّا إلى المقارنة أو المقاربة بين البلاغيين، – وهو منهج محفوف بالمزالق والمخاطر كما أكد سابقا **حمادي صمود**: "لاسيما أنّ المفاهيم التي نتوسل بها مفاهيم شبت في منابت أخرى وتولدت عن تيارات فكرية وايديولوجية ...تختلف عمّا هو موجود عندنا وهي بالتالي تختلف عن الإطار الذي نشأ فيه التفكير البلاغي العربي ...واجتنابا للمزالق التزمنا الحذر في استخدام هذه المفاهيم"[1]– ، أو تطعيم البلاغة العربية بالمناهج الغربية وإسقاطها عليهـــا.

كلا السبيلين يحملان على المعاصرة قسرا، لذا يرفضهما باحثنا البلاغي كونهما يهملان قدر البلاغة العربية ويمهّدان للقول بموتها فكلا النهجين أهملا من نصوص التراث النّص الصريح العائد **لحازم القرطاجني**، النص الواصف للبلاغة العربية بأنها "البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها"[2]، وهذا إقرار بقدرة البلاغة على تبليغ الفكر والذوق المعاصرين، ولا يقوم محلها بديل .

إنّ قراءة **بناني** للتّراث البلاغي ومساهمته في كتابة تأريخ شامل للبلاغة العربية يتعزز بجهوده في تحديد الأصول النظرية للبلاغة العربية من منظوره، فالمنزلة التي سمت إليها البلاغة العربية لم تكن وليدة الصدفة، وما التماسك والانسجام الحاصل بين مراحل نموها

1 – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 13.

2 – حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب خوجة، دار الغرب الإسلامي ، ط2 – 1981، ص 7.

واستكمالها إلا دليل على قوتها وبإمكان تفعيلها بين بلاغات العالم[1]، و هذا الموقع الذي احتلته مع السلف لم يكن لولا عوامل أسهمت في بناء قوّتها، ويرجع **بناني** ذلك إلى أصول أربعة جعلها فصولا في كتابه، وهي على النّحو التالي:

1. 2 . 2 البلاغة في المعلقات العشر[2]:

تعرض **بناني** لبلاغة معلقات الشعر الجاهلي في الفصل الأول من أطروحته والذي ضمنه ما يقارب الثمانين صفحة، قام فيها بدراسة الشعر الجاهلي وبالتحديد معلقاته دراسة تحليلية لسانية، فنية واجتماعية.

ولأهمية هذه الدراسة على البلاغة العربية، مثلت عنده أول أصول النظرية البلاغية بالنسبة للنّص الشّعري، نظر إليها من الداخل محاولا تبيّن أسرارها اللسانية والفنية في إنتاج الكلام البليغ. وإن رشّح **بناني** الشعر الجاهلي في الصدارة، فإنّه يتبع كثيرا من الباحثين الذين توصلوا في مقارباتهم للشّعر الجاهلي إلى اعتباره النّواة الأولى للبلاغة العربية، وقد رأينا مع **حمادي صمّود** أنّه عدّ عامل الشّعر العامل الأول في طرح سؤال البلاغة عن طريق الملاحظة والتصنيف[3] .

والوضع نفسه بالنسبة لمفكرنا الجزائري **محمد الصغير بناني** – رحمه الله – فإنّ المعلقات تمثّل النّواة الأولى في درس البلاغة العربية، لأنّها في نظره ونظر غيره من السابقين نالت شرف البلاغة وانتهت إلى تصوير ما يمتلكه الشّاعر الجاهلي من حس بلاغي، فما شعر

[1] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 1.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، من صفحة 16 إلى صفحة 90.

[3] –ينظر أقسام الشعر عند صمود، كتاب التفكير البلاغي عند العرب، ص 25.

المعلقات إلاّ صورة من الصّور التي وصلت إليها قمّة البلاغة العربية إلى درجة أن اقترن فهم القرآن الكريم بفهم لغة العرب الأوائل لأنه نزل بلسانهـــم[1] ويتعزز كلام **بناني** بمقولة السلف: "وإنّما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم البيان"[2].

يطيل **بناني** التأمل في شعر هذه المرحلة ويؤكد أنّ ما بلغته المعلقات من أسلوب متميز ورصين تطغى عليه معالم الانسجام، ينبئ عن تاريخ قديم وإن يجهل المؤرخون بداياته فإنّ بعض الباحثين في تاريخ الأدب العربي يتفق معهم **بناني** بإقرار أنّ الشّعر الجاهلي بعضٌ منه لم يُصنع مرة واحدة بل مرّ بمراحل ليكتمل في صورة المعلقات، التي تمثل عملا موسوما بتقاليد ومصطلحات كثيرة، كان من آثارها تقديم قصائد من القرن السادس الميلادي جديرة بالإعجاب تنبئ بأنها ثمرة صناعة طويلة [3].

لقد توغل **مؤلفنا** –رحمه الله– في عمق صناعة الشّعر الجاهلي أو بالأحرى في فحوى صناعة شعر المعلقات، لعلّه يصل بهذه الصناعة إلى الأسلوب الفريد الذي تمتع به الشّعراء الجاهليون، وكان سببا في نقلهم إلى تلكم البلاغة العالية، وعند مراجعته لهذا الموروث يشير إلى قصور الدراسات التي سبقته بل يقول "حتى الدراسات الحديثة التي اعتمدت على التّقنيات والمناهج اللسانية والأسلوبية الجديدة لم تتمكن –فيما نعتقد– من النّفاذ إلى أسرار هذا الشّعر على الرغم من المحاولات الإيجابية الأخيرة التي حققتها بعض الدراسات كالتي قام بها "**كمال أبو ديب**" والمستشرق الفرنسي "**جاك بيرك**"، الأول لتعسفه في تطبيق النظريات الحديثة دون مراعاة خصوصيات الشعر الجاهلي، والثاني لعدم تمكنه من تمثّل وجدانية هذا الشّعر تمثلا خالصا من

[1] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 102.

[2] – أبو عبدالله جمال الدين البلخي المقدسي الحنفي، مقدمة تفسير ابن النقيب، مكتبة الخانجي القاهرة مصر د/ط، 1994، ص 12.

[3] – ينظر، شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة مصر، ط10، ص 14.

جميع أنواع الضيم اللساني والثقافي الذي يحدثنا عنه الجاحظ والناجم عن الازدواجية اللغوية"[1] هذه الازدواجية التي تعني الجمع بين لغتين في الكلام نتجت عن تمازج الثقافات العربية والأعجمية ممثلة بالثقافة الفارسية والهندية واليونانية.

هذا القصور راجع أسبابه قبله **حمادي صمود**، والذي يعود من وجهة نظره إلى غياب جدلية "التراث" و"الحداثة" والتصدي للدرس البلاغي من منظور أحادي البعد، منغلق على النقاش المطروح اليوم والدائر حول إمكانية قراءة البلاغة ...أو عدم إمكانية ذلك"[2].

وبقراءة واعية تحليلية تفسيرية غابت في دراسات السابقين فكّ مفكرنا اللساني بنية معلقات الشعر الجاهلي وتوصل إلى أنّ "المعلقة **بنية**[3] تلتقي فيها كل المقاصد الاجتماعية والثقافيـــة وتنتظم فيها كل البنى اللسانية والفنية والعقيدية فهي الصورة الأصلية للأدب العربي القديم في سعيه للأخذ من كل شيء بطرف"[4] فهو يدرك تمام الإدراك أنّ بلاغة العربي في العصر الجاهلي لم تشبها شوائب خارجية بل كانت أصيلة تشكلها ملاحظات تخلو من أي تنظير.

كما دفعته عبارة المعلقات إلى تأمل أسلوبها المتفرد موظفا عبارة "طبيعة المنوال وصورته" وهي عبارة تعود إلى ابن خلدون[5] والتي تعني "النسيج" بتعبير الجرجاني[6] ضمن هذا

---

[1] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 20.

[2] – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 12.

[3] – مصطلحات اعتمدها الدارسون البنيويون العرب.

[4] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 533.

[5] – ينظر، بناني محمد الصغير، البلاغة والعمران عند ابن خلدون، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، 04/ 1996، ص 175 .

[6] – ينظر، بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 21.

البعد درس **بناني** الأسلوب عن طريق "جمع الخيوط النحوية والبلاغية والأسلوبية وغيرها من الخيوط التي تؤلف نظما متكاملا في معناه الجرجاني"[1].

انطلق **بناني** من فكرة **ابن خلدون** بأنّ الشعر الجاهلي ليس صورة واحدة بل صور متراصفة[2]، وإن وظفها **بناني** ضمن مصطلح حديث "بنية البنى"[3]، بتشكل هذه البنى وتجمعها نتحصل على نسق واحد يكون بمثابة الشكل الخارجي للقصيدة.

اجتهد **بناني** في البحث عن أنساق تميزت بها قصائد المعلقات عن غيرها، وهذا نوع من الدراسات قل حضورها لأسباب تعود في نظره إلى: "ندرة المصادر ثم تسليم الجميع بالتخلف الثقافي في هذا العصر وانتشار الأمية فيه والاقتناع بأن البلاغة في العصر الجاهلي – إن هي وجدت – لا تختلف على كلّ، عن البلاغة في العصور التالية"[4]، في ظنّ الدّارسين هي نفسها عبر العصور الأدبية، ويبدو ذلك واضحا في حديث **بناني**:" أنّ القرآن نفسه يستعملها على طريقته الخاصة في النّظم ونحن نستعملها اليوم في حياتنا العادية"[5]، بهذه الدراسة النقدية الواعية الواعية لشعر المعلقات، ولواقع درسها يصل **بناني** إلى نتائج نجملها في[6]:

1 – أنّ القصيدة العربية في العصر الجاهلي وبالتحديد "المعلقات" توفرت فيها كل الشروط اللسانية والفنية التي تؤهلها لتمثل قمة البيان.

---

[1] – المرجع السابق، ص 21.

[2] – المرجع نفسه، ص 21.

[3] – ينظر المرجع نفسه، ص 22.

[4] – المرجع نفسه، ص 86.

[5] – المرجع نفسه، ص 87.

[6] – المرجع نفسه، ص 87.

2 – أنّ القصيدة العربية "المعلقة" جمعت دلالات البيان العربي، حيث تفاجأ وهو يعقد مقارنة بين دلالات الجاحظ الخمس بوجود كل من: النّصبة، الخط ثم العقد ثم الإشارة ثم اللفظ في المعلقات العشر.

وإن كان **صمّود** و**بناني** قد درسا الشّعر الجاهلي واعتباره أول منابت البلاغة وجاءت دراستهما دراسة لسانية، فإنّ عمل **صمود** هو تحديد أقسام الشعر الجاهلي بينما **بناني** قام بدراسة أسلوب هذا الشعر، فنخلص إلى أنّ مساعي **بنّاني** في شعر المعلقات سعت إلى اكتشاف حقيقة المنوال وجوهر بنيته باعتباره أصلا من أصول النظرية البلاغية، فعلى هذا الأساس توجّب عليه أن يسلك مسلك الأثري الذي يقوم بالحفريات لإجلاء معالم أثريـــة غير أنّ حظ الأثري أوفر كونه يبحث عن أمر مادي بعكس الباحث في الشّعر الجاهلي فإنّه ينقب في معان قديمة منذ أكثر من خمسة عشر قرنا[1]، فقد تصطدم معاول الأثري وهو يحفر بصخور يصعب إزاحتها لكن الأمر يكون أصعب عند الباحث في تراث يمتد لقرون.

1. 2 . 3 القرآن الكريم والحديث النبوي[2]:

احتلت هذه المادة الفصل الثاني من الأطروحة، تم عرضها في ثمان وخمسين بعد المئة صفحة ، ما يوحي إلى قدر هذه المادة كما وكيفا في توجيه تفكير العرب في البلاغة العربية.

وإن سار على نهج **حمادي صمود** في الترتيب، فإنه خالفه في النوع وذلك بإضافة إلى جانب نص القرآن الكريم "كلام الله" المنزل على نبيه نصا آخر، وهو الحديث النبوي وتحديدا

[1] – المرجع السابق نفسه، ص 21.

[2] – المرجع نفسه، من صفحة 91 إلى صفحة 249.

"خطبة حجة الوداع" اعتقادا منه أنها لم تنل حقّها من الدرس قديما وحديثا باستثناء صاحب "البيان والتبيين" الذي عدّها في مقدمة أحسن النماذج البيانية[1].

إذا تتبعنا درسه لنص القرآن، فإنّ **بناني** جعله في مرتبة الأصل الثاني، بعد شعر المعلقات لافتا النظر، إلى أنّ معيار ترتيبنا هو: "التّرتيب التّاريخي الذي يجري في الزمان البشري فحسب"[2].

ولا نشك في أنّ منزلة القرآن الكريم فوق كل منزلة، وأنّ بلاغته فوق كل بلاغة مستفسرا بتعجب: "أهو كتاب لغة أم كتاب أدب أم كتاب تشريع أم كتاب اقتصاد أم كتاب تربية أم كتاب تاريخ أم كتاب اجتماع أم كتاب سياسة أم كتاب عقائد أم هو كل ذلك وفوق ذلك"[3]، ومجيبا كفيلسوف، هو فوق ذلك بلا شك، فقد أنزله ربّ العباد، وهو يمثل وحدة الديانة السّماوية ولغته امتداد طبيعي للغة العرب، معجز بالتحدي، جُعل للفهم البشري، وظيفته تذكير الإنسان بإنسانيته ويعني ذلك" الإحساس الدائم بأنه إنسان والخروج من النسيان الذي هو نقيض الإنسان ومن عمل الشيطان"[4]، ومحللا كقارئ ناقد يخلص إلى نتائج توحي بنظرة **بناني** المتفردة[5]:

- **البلاغة وبُعدها العقدي:**

1 – فإن شارك **حمادي** وغيره كون البلاغة العربية بعد نزول القرآن اتجهت اتجاها مغايرا تماما كما كانت عليه في العصر الجاهلي فإنّ **بناني** توجّه في تحليله إلى تبيّن مقاصد الكلام

[1] – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص 19.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 534.

[3] – فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان الأردن، ط 4 ، 2006، ص 20.

[4] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 111.

[5] – ينظر المرجع نفسه، ص 534، 535.

البليغ، فبعد أن كان يخاطب الأطلال ويرد على الخصوم أضحى يبحث عن دلائل قدرة الله في الكون.

2- ارتبطت البلاغة العربية بغائية المقاصد فبلاغة القرآن تكمن في الكشف عن الحقائق وإظهارها إلى الناس ضمن عقيدة التوحيد والاحتكام إلى العقل، وهو ما أشار إليه **صمّود** بقوله: "ولقد غدا القرآن القطب الذي تدور حوله مختلف المجهودات الفكرية والعقائدية للمسلمين ومنطلق تلك المجهودات وغايتها في نفس الوقت ...وسيكون الأصل في تبلور العديد من العلوم الإسلامية التي نعرفها اليوم"[1].

3 – الكلام البشري رحمة من الله، وأمانة إلهية حملها الإنسان والغاية التذكير، تذكير الإنسان بإنسانيته وبمسؤوليته.

- **البلاغة وبُعدها الاجتماعي:**

4 – بلاغة القرآن جعلت حدا لكثير من المعتقدات والسّلوكات الجاهلية كالشرك والإلحاد والخمر والزنا وما أشبهها من التصرفات الخارجية عن جادة الدين والعقل، فمفعول البلاغة في المجتمعات العربية، تغير فكر العربي، فتغير معه سلوكه.

- **البلاغة وبُعدها الفني:**

5 – النّص القرآني يجري بالمعنى إلى ما لا نهاية، يجد القارئ نفسه مستسلم العقل أمام لا نهاية المعاني.

[1] – ينظر، صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 32.

6 – الدلالة الشّجرية: فمفهوم القرآن من مفهوم السورة والآية والكلمة والحرف هو بمنزلة مفهوم الشجرة من مفهوم الكوكب والزجاجة والمصباح والمشكاة في تشبيه آية النور.

- **البلاغة وكونية المعرفة:**

7 – النّظم الخاص الذي يتميز به النص القرآني، سيفتح للبلاغة العربية من الآن فصاعدا آفاقا جديدة لا نجد لها مثيلا في البلاغات الأخرى.

8 – القرآن معجز في لفظه وفي بيانه وفي صدقه وفي خلوده وأحكامه وفي تركيبه وفي جمله وفي سوره وفي خطابه وفي وضوحه وديمومته وجديته ودائما جديد محيط بالزمان والمكان والإنسان.

فمقارنة مع **حمّادي صمود** اللساني الصّرف فإنّ **بنّاني** أكثر انفتاحا في تعامله مع النص القرآني فلم ينظر للنص كنص لغوي بقدر ما جاب كل الزوايا، **فبناني** واحد من الدّارسين الذين يعتبرون أنّ القراءات البلاغية الإعجازية "صدرت من مبدأ تفوق أسلوب القرآن على بقية الأساليب البشرية فراحت تتقصى مواضع الإعجاز والتفوق"[1].

ويبقى القرآن الكريم معجزا على مرّ الأزمان "ومن يدري ماذا سيجدّ بعد في دراسات القرآن الكريم وماذا سيرى النّاس من عجائبه، فإنّ هذا الكتاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد"[2]، كما خص **بنّاني** في الفصل نفسه إلى جانب القرآن الكريم أصلا ثالثا مثله الحديث بخطبة حجة الوداع، لم يحظ هذا الأصل –حسب

[1] – محمد مشبال، البلاغة والأصول، ص 34.

[2] – فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان الأردن، ط 4، 2006، ص 12.

بناني– في الدراسات العربية الإسلامية الحظ نفسه الذي حظي به في الدراسات الاستشراقية "والوحيد الذي تعرض لها من الجانب الأدبي هو الجاحظ"[1] بالنسبة للعرب القدامى.

قرأ **بنّاني** هذه الخطبة أديبا وتمثل من منظوره الصّورة الكاملة للبلاغة العربية معنى ومبنى، حيث يلخص محتواها ببعدين هما "البيان" و"المعاني"، أمّا البيان فيعكسه عبارة استهل الرسول صلى الله عليه وسلم خطبة حجة الوداع بقوله: "اسمعوني **أبيّن** لكم" وأمّا "المعاني" فتمثله عبارة: "ألا هل بلغت، اللهم أشهد"، التي ترددت ست مرات سابعتها: "فليبلغ الشاهد الغائب"، وبهذا تُؤَسس عالمية الرسالة الإسلامية وتفتح لبلاغتها آفاقا كونية من خلال شخص الغائب، الطرف الثالث بعد المتكلم والمخاطب، الذي لم تكتشف اللسانيات العصرية حقيقته إلاّ في السّنوات الأخيرة "[2] فالبيان تمثله عبارة "أبيّن لكم" وما تلاها من كلام كالحديث عن حرمة المال والدماء والحديث عن وصية النّساء بينما "المعاني" يمثله الأسلوب الاستفهامي "ألا بلغت" تبيينا للأسلوب المنتهج في تماسك الخطبة، إذ تكررت عبارة "ألا هل بلغت" بعد كل مقطع مؤكدة وجود خاصية التّراكيب في نص الخطبة.

إنّ المكانة التي أولاها **بناني** لخطبة حجة الوداع، وجعلها أصلا من أصول البلاغة العربية وهي الأصل الذي أهمله كثير من الباحثين أثناء تحديدهم لأصول البلاغة العربية سمحت له أن يقول: "وإن كان ولا بد من افتراض تاريخ ميلاد لكل شيء فإن عقد ولادة البلاغة عند العرب لا يجب البحث عنه لدى أبي عبيدة ولا عند الجاحظ نفسه، بالرغم من إجماع كثير من مؤرخي العلوم اللغوية على هذا الأخير ولكن في نصوص مثل خطبة الوداع التي حرص الجاحظ على

[1] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 231.

[2] – المرجع نفسه، ص 536.

نقلها لنا بأكملها في كتابه "[1]، وذلك لاعتبار خطبة الوداع وما نقل إلينا من سائر خطب العرب في العصر الجاهلي من أرقى النصوص البلاغية السابقة لزمن الجاحظ وأبي عبيدة، سواء انتبه **بناني** إلى البعد الحاضر في هذا الأصل او لم ينتبه، فمن المؤكد أن حديثه عن حجة الوداع واعتباره نموذجا في نظريته البيانية يستكمل به تصور **حمادي صمود** الذي ركز فيه على البعد الخطابي وأنّ الخطابة الوسيلة الأمثل والأكثر ملاءمة في أنواع البلاغة التي طمح إليها الجاحظ.

1. 2 . 4 البلاغة عند كبار المنظرين[2]:

عرض مادتها في الفصل الثالث من بحث أطروحته، جاوزت صفحاتها الثمانين بعد المئة صفحة، خصّها لكبار المنظرين من أمثال: **الجاحظ** و**عبد القاهر الجرجاني** و**السكاكي** شكلت الأصل الرابع والأخير من أصول البلاغة العربية.

وإن عرف بحثنا إضافة منظر رابع فذلك عملا بمراد **بنّاني** الذي صرّح به في كتابه "**البلاغة والعمران عند ابن خلدون**"، يقول صاحب الكتاب رحمه الله :"هذه الصفحات كان ينبغي أن تحتل مكانها في القسم الثالث والأخير من كتابنا: "**البلاغة العربية وأصولها النظرية**" بعد الكلام عن الجاحظ والجرجاني والسّكاكي، في سياق الحديث عن البلاغة عند كبار المنظرين. لكــن ظروفا طارئة حالــت دون تحقيــق هذه الغاية "[3] وها نحــن –اليوم– في مشروع بحثنا ننفذ رغبة مفكرنا بإدراج المفكر **ابن خلدون** ضمن كبار المنظّرين للصلة الوثيقة بين فكره البلاغي وفكر من سبقوه من السّلف مستدركين النقص الذي تفطن إليه **بناني** عند تأليفه كتاب

[1] – بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والأدبية والعقيدية عند الجاحظ، ص 216.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، من ص 250 إلى صفحة 530.

[3] – بناني محمد الصغير، البلاغة والعمران عند ابن خلدون، ص1.

"**البلاغة والعمران عند ابن خلدون**": .. انتهينا من دراستنا لنظريات الجاحظ والجرجاني والسّكاكي، وتبينت لنا الخيوط المتينة التي تجمع بين أفكارهم وأفكاره"[1].

يصف كبار المنظرين القدماء بأنهم أصحاب مشاريع علمية في البلاغة العربية ترقى في كثير من الأحيان إلى مفرزات البحث العلمي الحديث.

إنّ أول مشروع طرقه المؤلف هو مشروع عمرو بن بحر الجاحظ **(ت255هـ)**، أول كبار المنظرين في مشروع البلاغة العربية، فشهرته أكبر من أن يعرّف به، فإن جعله مفكرنا الجزائري يتصدر قائمة أعلام البلاغة، فـ**حمادي صمّود** جعل منه مرتكزا لدرسه في تفكيره البلاغي، سمح هذا الاهتمام وهذه المراجعة التأريخية بإعادة قراءة مشروعه الموسوعي الذي تعرض لسوء فهم حينا من قبل بعض الدارسين المحدثين أمثال **طه حسين**.

يعددّ **بناني** الأسباب التي كانت وراء تأخرّ مشروع **الجاحظ** ومنعه من البزوغ في قوله "ولولا التّعصب الثّقافي المسيطر على الأفراد والأمم، والوهن الذي أصاب بني جلدته منذ زمن طويل لكان صاحبنا اليوم يتمتع بعالمية أكثر مما يُعترف له بها الآن"[2] كما تأسف من قلة اهتمام سابقيه بأدب **الجاحظ**، وهو الذي أثبت في أكثر من مقام سبقه للنظريات الحديثة وما جاءت به، فالجانب اللساني يعتبر من الجوانب المهملة في تراثه مع أنّه أبدع فيها وبخاصة ما يسوّق لنا في هذا العصر الذي سادت فيه اللسانيات وطغت على ميداني النّقد والأدب[3]، كما لا يخفي **بناني** قلقه من الاختلاف الحاصل في قراءات عنوان الكتاب ويوضح ذلك بقوله "إنّ الطبعة التي بين أيدينا

---

[1] – المرجع السابق نفسه، ص 4.

[2] – بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 5.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص 8 وما بعدها.

لكتاب البيان والتبيين، والتي يعود الفضل في إخراجها على هذه الصورة إلى الأستاذ عبد السلام محمد هارون، على ما فيها من محاسن تستوجب الثناء والتقدير لصاحبها تتضمن بعض المساوئ التي لا ذنب للمخرج فيها، ولكن لا ينبغي السّكوت عنها في بحث كهذا يعتمد على النصوص، منها الاختلاف في القراءات فالتردد في قراءة عنوان الكتاب البيان والتبيين أو البيان والتّبيّن يكفي لبعث القلق في نفس الدارس"[1].

عمد محقق الكتاب **عبدالسلام هارون** إلى تصويب العنوان(البيان والتبيين) وذكر أنّ "الصّواب هو: "البيان والتبيّن"[2]، معللا بأنّ طبيعة الأمور ترى أنّ "العنوان الذي اشتهر به لا تتماشى مع المنطق، فإن البيان هو التبيين بعينه، ونحن نربأ بالجاحظ أن يقع في مثل هذا العيب في تسمية أشهر كتبه وأسيرها"[3]، فماذا كانت نظرة بناني؟.

اجتهد **محمد الصغير بناني** في إعادة قراءة مؤلف **الجاحظ** ببعديه المعرفي والمنهجي فكونه الأديب الألمعي والبلاغي المجدّ، فإنّ مادة البيان والتبيين كفيلة بأن تبوئه مكانة عظيمة حيث يرى أنّ **الجاحظ** صهر مادة التّراث وصاغها على منوال القرآن والحديث فكان أوّل ديباجة للبلاغة العربية الإسلامية "تجمع بين صناعة الشّعر الجاهلي ونظم إعجاز القرآن ونظريات علم الكلام"[4]، وتستحق المعالجة الجادة.

---

[1] – بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 45.

[2] – الشريف حاتم بن عارف العوني، العنوان الصحيح للكتاب، ص83.

[3] – عبد السلام محمد هارون، قطوف أدبية دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ط1/نوفمبر1988، ص 97.

[4] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 537.

فمن القضايا التي عالجها **بناني** في كتاب البيان والتبيين، وأعاد قراءتها "ثنائية التخيير والتأليف"[1]، توقف عندها **بناني** كثيرا، بعدما خصّها **حمادي صمّود** من الأسس المنهجية الهامة التي عدّدها **الجاحظ** طرح وهو يبحث عن مقومات البيان وإعجاز القرآن وسيكون لهذين الأساسين المنهجيين أعمق الأثر في من جاء بعده من البلاغيين: أمّا الأساس الأول: يتمثل في اعتبار المجاز، ولا سيما الاستعارة ظاهرة تقوم على نقل معنى الكلمة إلى كلمة أخرى، في نطاق الرصيد اللغوي الذي يختار منه المتكلم وحداته اللغوية وقت الإنجاز القولي، وأمّا الأساس الثاني: فيتمثل في تأكيده من جهة على حسن التأليف بين أجزاء النص والحرص على تلاحم أجزائها وتناسقها[2].

ميّز **بناني** أبعادهما عند **الجاحظ** بلغة الدرس اللساني الحديث، وأشار إلى أنّهما من الدعائم في اللسانيات الحديثة[3]، حيث وضح أنّ **الجاحظ** أشار لمحور "التأليف" في كتابه بعبارة "تأليف" أو مشتقاتها كقوله: "...وهذا دليل على أنّ العرب أنطق وأن لغتها أوسع وأنّ لفظها أدل وأنّ أقسام تأليف كلامها أكثر"[4]، وفي قوله: "فإذا رأت مكانه الشعراء وفهمته الخطباء ومن قد تعبد المعاني وتعود نظمها وتنضيدها وتأليفها"[5]، وأمّا محور "التخيير" عند صاحب البيان فيقصد به بتعبير **بناني**: "المستوى العمودي أو الصرفي للكلمات ويأتي عنده مصحوبا عادة بلفظ "تخير اللفظ أو الألفاظ المتخيرة ، ويبدو أيضا في قوله: "وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني والسياق الذي

---

[1] – يعني بناني بالتخيير بلغة اللسانيات أو السدى بلغة الجاحظ المستوى الصرفي للكلمات أي تخير اللفظ، ويعني بالتأليف بلغة اللسانيات والنير بلغة الجاحظ المستوى التركيبي جمع الكلمات لتنسج مع بعضها كالنسيج.

[2] – ينظر، صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 432.

[3] –ينظر، بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 8.

[4] – الجاحظ أبو عثمان، البيان والتبيين، ج 1، ص 384.

[5] – المرجع نفسه، ج 3 ص 30.

أورد فيه الجاحظ هذه العبارات كلها يدل على أنه يقصد به المستوى العمودي للكلمات داخل الجملة"[1].

لم يكتف الجاحظ من منظور قراءة بناني بذكر المحورين، وإنما راح يعدد شروط اختيار اللفظ حتى يستقر في الأذهان ويحبّب إلى النفوس بقوله: "متى شاكل –أبقاك الله– ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقا، ولذلك القدر لفقا وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف وكان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمـــع ..ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه، متخيرا من جنسه، وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد، حبّب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشت له الأسماع وارتاحت له القلوب، وخفّ على ألسن الرواة، وشاع في الآفاق ذكره.."[2]، فاهتمام بناني بمشروع البلاغة من زاوية رؤيته البيانية اضطره إلى مدارسة شروط الاختيار لتنبئ عن مدى حذق الجاحظ وتملكه لناصية البيان التي اشترط في الألفاظ أن تكون متخيرة منتقاة ومراعية في اختيارها تأليفها الذي يثبت التئامها مع جاراتها، وفي إطار اللفظة المفردة يجب ألا تكون متكلفة مستكرهة ولا سوقية ساقطة بل تكون كريمة متخيرة في جنسها وفي إطار علاقاتها بجاراتها من الألفاظ الأخرى "يجب أن تكون لفقا لجاراتها، إذا اللفظة المفردة يجب أن يكون اختيارها اختيارا معجميا يناسب موقعها في التركيب وما توحي به من ظلال من خلال هذا الموقع في التركيب، مراعين في ذلك أثرها في نفوس المتلقين وكذلك حسن تنسقيها وتأليفها مع غيرها من الألفاظ التي تجاورها"[3].

[1] – بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 124.

[2] – الجاحظ، أبو عثمان ،ج 2 ص 6.

[3] – درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر جانفي 1998، ص 91.

وهذه القيمة أكدها الباحث **عبد البشير مسالتي** بقوله: "أنّ محوري التأليف والتخيير أصبحا من المفاهيم الأساسية في اللسانيات والبلاغة الحديثة"[1].

فما طرحه **الجاحظ** في كتابه البيان والتبيين في ضوء تعليقات **بناني** يؤكد أنّ كثيرا مما جاءت به النظريات الغربية له جذور في تراثنا، فهذا الحضور اللغوي قارّ في الأسلوبية من خلال أحد محدداتها فيما يخص عنصر الاختيار الذي يكون حدا فاصلا بين نوعين من الممارسة اللغوية: ممارسة اجتماعية وأخرى فنّيـــــــة، وأنّ الناس على مستويين ولكل لغته لهذا قالت العرب: "لكل مقام مقال" ، فكان تركيز **الجاحظ** على مبدأ الاختيار واضحا وبنى رأيه في اللفظ والأسلوب عامة.

ومن المباحث الأخرى التي راعت انتباه **بناني**، وأقرّ بعدم التوصل إلى فكّ شفرتها إلى الآن، مفهوم الدلالات الخمس من لفظ وإشارة وعقد وخط ونصبة، فمن جهة **بناني** أنّ تفسير هذا التصنيف ما يزال لغزا ويحتاج إلى الإجلاء والتوضيح، لكن يبدو أنّ **بناني** اتخذ لنفسه سبيلا في الشرح قام على النظرة الارتقائية التي تتلخص في "عبارته الشهيرة «العالم الصغير سليل العالم الكبير» حيث ينحدر اللفظ من الإشارة، والإشارة من العقد والعقد من الخط، والخط من النصبة"[2] فهذه الدلالات الخمسة تؤسس لنظرية الكلام عند **الجاحظ** والمتأمل في حقيقة الكلام وفي كيفية إنشائه وتطويره وعلاقته بالإنسان منذ بدء الخليقة إلى أن صار بلاغة في سياسة الكون والكلام.

[1] – محمد عبد البشير مسالتي، أطروحة دكتوراه بعنوان الجاحظ في قراءات الدارسين المحدثين ص 332.

[2] – بناني محمد الصغير، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، الجزائر: دار الحكمة، 2001، ص 18.

كل هذا ضمنه في كتابيه «البيان والتبيين» و«الحيوان»، وقد اعتمد في ذلك على ما جاء في القرآن خاصة مما جعله أول ممثل للمدارس الكلامية المستمدة من القرآن الكريم[1].

جمع **بناني** في مقاربته لمشروع **الجاحظ** بين كتابه "البيان والتبيين" و "الحيوان" لاعتباره رائدا من روّاد الدرس اللغوي الحديث، وأحد واضعي لبناته فقد اتخذ علماء اللغة المحدثون اجتهاداته العلمية وعدّوها أرضية انطلاقة متينة لتأسيس كثير من آرائهم ونظرياتهم، وبهذا يقر بإدراكه لأصول اللسانيات الحديثة، ولا عجب أن ينعت بأنّه رائد مدرسة أطلق عليها المدرسة الإنسانيـــة لما له من غزارة وتنوع وشمول معرفي يفرض اليوم إعادة قراءته قراءة واعية تثري الحاضر بقدر محاورتها لماضيه.

ينتقل **بناني** بناء على تصنيفه لكبار منظري البلاغة العربية قديما إلى قامة علمية أخرى احتلت علميا مكانتها وماتزال، ألا وهي شخصية **عبد القاهر الجرجاني (471 هـــ)** المعروف بنظرية النظم، و**الجرجاني** وإن لم يؤسس للبلاغة العربية كعلم قائم بذاته فقد أسهم في بناء أسسه، واستخدم مصطلحات متعددة في نظريته تعبر عن رؤيته المتقدمة في فهم النّص الأدبي عامة، والنص الشعري خاصة، وإن كان أساس درسه هو إعجاز القرآن منها ومن منظومته المصطلحية نجد : العقل، التعليق، النّظم، التناسق، معنى المعنى التأليف، اللفظ والمعنى، حتى عدّه كثير من الدارسين مؤسسا للبلاغة العربية.

ومما لا شك فيه أنّ شهرة **الجرجاني** نالها بكتابيه: "دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة" وقد ألّف الأسرار الذي يبحث في "علم البيان"، قبل كتاب الدلائل الذي يبحث في علم المعاني[2]، وكان

[1] – ينظر المرجع السابق، ص 17.

[2] – ينظر، بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 329.

الدّافع الحقيقي لتأليف كتابيه هو الإعجاز القرآني وتفسير حقيقة الإعجاز تفسيرا علميا، وكل كلام أو دراسة حول جهود **الجرجاني** البلاغية في اللغة أو النحو، فهي فروع وضعها الجرجاني لخدمة هدفه الأصلي وهو إثبات إعجاز القرآن الكريم[1].

ما أقرّه **الجرجاني** من التفسير العلمي، وناظر به خصومه بناه على "استعماله لمفهوم العقل، ورجوعه إليه المرة بعد الأخرى في مناقشاته، واستشهاده بكلام العقلاء، وهو بذلك أعرب عن ميل واضح إلى عقلنة النقاش الذي يدور بينه وبين خصومه"[2].

فالبلاغة في تفكير **الجرجاني** هي قضية العقل، هذا ما كان يردده في القرن الخامس يردده وهو يعرف ما ينتظره من ردود فعل تندد برأيه وتستنكره، و"مثل هذه الردود ما تزال قائمة حتى الآن، ولا ترى في تفسير الظاهرة البلاغية والشعرية على وجه العموم إلا ما يرجع إلى العوامل الذاتية الذوقية التي لا تخضع إلى المقاييس العلمية الثابتة"[3].

يؤكد **بناني** أنّ **عبد القاهر الجرجاني** انطلق من أرضية صحيحة تعتمد قبل كل شيء على القوانين اللسانية الثابتة "بحجة العقل والارتقاء منها إلى أسرار البلاغة بل إلى الدلائل الغيبية التي تشكل إعجاز القرآن "[4]، هذه الأرضية تشكلت عنده بما سمي بنظرية النظم التي ترجمها بكتابيه "الأسرار" و"الدلائل"، والذي أثبت فيهما منهجه العلمي الوارد في تعبيراته وتصوراته التي لا تختلف عما يراد به في العصر الحديث من الدقة والتجريب والبرهان الرياضي وهو لا يفتأ ينادي بضرورة تطبيقه في مجال البلاغة لمعرفة الصحيح منها والفاسد، بل كان على وعي

[1] – ينظر، المرجع السابق، ص 330.

[2] – المرجع نفسه، ص 336.

[3] – المرجع السابق نفسه، ص 349.

[4] – المرجع نفسه، ص 349.

بشكل الاصطلاح العلمي وما ينشأ فيه من غموض أثناء الاستعمال في مجال البلاغة والذي كثيرا "ما يؤتى عنه سوء التفاهم"[1].

ولعل أغلب الدّراسات التي تناولت نظرية النظم أقرّت بأنّ: "إرادة الرجل التأليفية كانت منوطة بقضية الإعجاز، ولولاها لربّما وجّه طاقته الفاعلة إلى منطقة النّظم الشعري، التي جعل من مجالها منطقة حركته الرئيسية، ثم تحرك منها إلى منطقة النثــر ثم من النثر إلى الصياغة القرآنية"[2]، فــ**الجرجاني** نفسه يعلل سبب تأليفه لنظرية النظم قائلا:

إنِّي أقولُ مَقالاً لستُ أُخفيه ... ولستُ أرهَبُ خصْماً إنْ بَدا فيهِ

ما مِنْ سبيلٍ إلى إثباتِ مُعجزةٍ ... في النَّظْمِ إلا بما أصبحْتُ أبديهِ

فما لنَظْمِ كلامٍ أنتَ ناظمهُ ... مَعْنًى سوى حُكْمِ إعرابٍ تُزجِّيهِ

وقد عَلِمْنا بأنَّ النَّظْمَ ليسَ سِوى ... حُكمٍ منَ النَّحْو نَمضي في تَوَخّيهِ"[3]

يرى **بناني** أنّ مفهوم النّظم عند **الجرجاني** – وان كان غامضا في عصره – إلا أنه شبيه بالنّسيج التي تتظافر فيه خيوط المعاني فتشكل شبكة يبرمها المتكلم بحذق وتبصر وبها يتفاضل الكلام بعضه من بعض[4]، فــ**بناني** – وهو يبحث في جهود **الجرجاني** – أثار قضية جوهرية في النّقد وهي المفاضلة بين اللفظ والمعنى وأيهما له المزية في قيمة الكلام إذ توصل إلى أنّ **الجرجاني** لا يفاضل بينهما، كما أزال اللبس عن اللفظ فإنّه لا ينبغي إساءة "فهمه على أنّه يدخل في نطاق التشيع للمعنى، كما تعرضه كتب الأدب عندنا، ولكن في تصور بنيوي للغة يحصر

[1] – المرجع السابق، ص 336.

[2] – محمد عبد المطلب، قضية الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص 132.

[3] – الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 11.

[4] – ينظر، بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 378.

الدلالة في نظم النّص وبنية أجزائه المتكاملة"[1]. أي أنّ المزية لهما معا وعبّر عنه بمصطلح التعليق[2]، وهو أساس النظم لذا عمل **الجرجاني** على توطيد العلاقة بين اللفظ والمعنى، بذلك أنهى الصراع القائم بين أنصار اللفظ وبين أنصار المعنى، فاللفظ يستلزم المعنى ولا غنى لأحدهما عن الآخر: "فلا نظم في الكلم ولا تأليف حتى يعلق بعضا، ويبني بعضها على بعض وبهذا يكون اللفظ تابعا للمعنى، بحسب ما يتم ترتب المعنى في النفس"[3].

توغّل **بناني** في قراءة أفكار **الجرجاني** وأفاد منه كثيرا في وضع تصور جديد للبلاغة يستعان به في فك إشكالات هذا العصر، من ذلك معالجته مفهوم الكلمة ومفهومه للشجرة في القرآن الكريم.

إنّ حديث **بناني** عن العلاقة بين مفهوم الكلمة ومفهوم الشّجرة في القرآن الكريم يثبت لنا مدى فطنته وذكائه، "فالمتمعن في الآيات التي ورد فيها ذكر الكلام أو ما ينوب عنه مصحوبا بذكر الشجرة في القرآن قد ينبهر للأبعاد العقيدية واللسانية والبلاغية التي يثيرها تمثيل الكلمة بالشجرة "[4]، لأنّ المعاني القرآنية التي جاءت في سياق الشجرة باستثناء السياق الذي في سورة النور تتمثل في كون الكلام مصدرا للخلق والإنشاء، وآلة للتبليغ وإطارا للتمثيل ونحو ذلك، أمّا آية النور: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ

[1] – المرجع السابق، ص 332.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 379،

[3] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 55.

[4] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 139.

مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ النور الآية 35، فيلاحظ **بناني** فيها تساوي العدد بين الحجب التي تفصل بين الشجرة والمشكاة وبين عدد الحواجز التي تفصل بين المعنى واللفظ عند تسلسله عبر مختلف الدلالات والجدول التالي يوضح المقصود:

الحجب	الحواجز
الشجرة	المعنى (النصبة)
الكوكب	الخط
الزجاجة	العقد
المصباح	الإشارة
المشكاة	اللفظ

وهي الآية الوحيدة التي تذكر الشّجرة ولا نجد في سياقها معنى من تلك المعاني المستنبطة من الآيات الأخرى التي وردت في سياق الشجرة.

وهي آية كانت ولا تزال موضوع اهتمام لدى المفسرين ومصدر إلهام للفلاسفة المسلمين وخير دليل على ذلك ما كتبه **أبو حامد الغزالي** عنها وعمقه أخيرا المرحوم **زكي نجيب محمود** في كتابه الضخم المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، خاصة في الفصل السابع الذي عنوانه: الشجرة المباركة[1] .

[1] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 144.

ينتقل **بناني** في سياق دراسة الأصول النظرية للبلاغة العربية عند منظريها، إلى الحديث عن آخر منظر في بحث أطروحته، وهو **يوسف بن أبي بكر السّكاكي (ت626هـ)**.

والمتأمل في مشروع **السّكاكي** الضخم والغني، يلاحظ أنّ **بناني** خصّ له مائة وخمسا وعشرين صفحة من أطروحته، مثبتا قيمة **السّكاكي** العلمية، وعدّه منظرا للبلاغة العربية ومعيدا له قدره ووزنه في علوم العربية وآدابها وفي مقدمتها البلاغة العربية.

إنّ جهود **السّكاكي** المقدمة أضحت محلّ خلاف بين الباحثين المحدثين، فريق يرى أنّ مفتاح العلوم كان وأدا للفكر البلاغي الأصيل القائم على الذائقة الأدبية والمستند إلى التحليل الخلاّق الذي قدمه **عبد القاهر الجرجاني**، وقد حمّلوا **السّكاكي** مسؤولية الجمود والتحجر الذي أصاب البحث البلاغي في العصور المتأخرة، فيما يرى الفريق الآخر أنّ عمل **السّكاكي** كان النهاية الطبيعية التي يجب أن تصل إليها العلوم ،فمن غير الممكن أن "تبقى الأحكام الذوقية هي السائدة في علم ما إلى ما لا نهاية، ثم إنّ التقعيد والتقنين مرحلة لا بد منها ، لتيسير استيعاب العلوم لطلابها"[1].

يتأسف **بناني** للصورة التي ارتسمت في ذهن الكثير من الباحثين، فيكاد يكون الإجماع على تحميله مسؤولية قتل البلاغة بفعل تقعيده لها وتعقيدها بما أتبعها من مصطلحات منطقية جافة، وهو حكم لم يركن إليه **بناني** بل اعتبره مجرد انطباعات شخصية ناتجة عن الاستياء الحاصل عن قراءة غير متأنية لكتاب المفتاح، والذي شذّ من هذه القراءات حسب المفكر **بناني** هو كلمة **سهير القلماوي** في تقديمها لكتاب أحمد مطلوب، بقولها: "..ولقد ظلم أحمد مطلوب

[1] – البخيتاوي، عماد محمد محمود، مناهج البحث البلاغي عند العرب، دراسة في الأسس المعرفية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1 /2013، ص25.

السكاكي نوعا ما حينما جعله المسؤول عن جفاف هذه الدراسة التي نتجت عن جفاف الكتاب نفسه...إنّ السكاكي قدم في عصره وبكل إخلاص العالم الدائب المتأثر بروح العصر، أقصى ما يمكن أن يقدمه عالم دارس في سبيل علم من العلوم وكان عصره عصر جمع وتبويب وعصر تقعيد وتقنين فجمع فنون البلاغة وكانت أشتاتا ..وكتاب المفتاح أعان – بلا شك– على حفظ الصورة البلاغية القديمة وروج لها ولكنه لم يسع إلى تطويرها لأن مهمته الرئيسة كانت الصون والحماية ونشر الذوق العربي السليم في كل الأرضين التي فتحها المسلمون وأكبر ظني أنه من هذه الناحية ان لم يكن لغيرها يحمد ويشكر[1]، فبهذا ردّت الأمور إلى نصابها وبيّنت ضرورة مراجعة تلك الأحكام[2].

بعد أن يطلعنا **بناني** بهذه المواقف يأتي إلى قراءة متأنية وواعية يقف منها موقف المنصف لعمل **السّكاكي**، وهذا بعد اجتهاده في قراءة مشروع **السّكاكي** وهي قراءة جديرة بالاهتمام لما لها من أثر على مشروع **السّكاكي** لاحقا لينتهي في الأخير ويتفق مع القائلين بأنّ **أبا يعقوب السّكاكي** في مؤلفه مفتاح العلوم "قدّر له أن يغيّر وجه البحث البلاغي ليطبعه بطابع معياري تقنيني لازمه حتى يومنا هذا"[3].

سعى **بناني** إلى محاولة فكّ رموز الإنتاج الغزير في" مفتاح العلوم"، من خلال تحليله الدقيق لعمل **السّكاكي**، مستفيدا من توظيف عتاد الدرس اللساني الحديث، كحديثه عن تبيان بنيته السطحية المتمثلة في خمسة علوم: "علم الصرف والاشتقاق وعلم النحو وعلم المعاني والبيان

[1] – ينظر، أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، تقديم سهير القلماوي، مطابع دار التضامن، بغداد، ط1/ 1964 م ص 13.

[2] – ينظر، بناني محمد الصغير، البلاغة العربية واصولها النظرية، ص 407.

[3] – البخيتاوي، عماد محمد محمود، مناهج البحث البلاغي عند العرب، ص 25.

وعلم الاستدلال وعلم العروض والقوافي"، ثم البنية العميقة التي فصل فيها القول عن مفهوم الأدب[1].

ولعل من مظاهر الجدّة التي توصل إليها **بناني** في مشروع **السّكاكي**، هو تطوير مسائل علم البلاغة فهو أول من دقق وبوّب وقنّن مسائل هذا العلم بدافع تعليميا أملته مقتضيات عصر **السكاكي**.

فمن أهمّ ما عمد إليه **بناني** في قراءة كتاب مفتاح العلوم الموسوعي ودراسته الاشتغال على مقدار حضور مصطلح البلاغة في متن المؤلف، فكان له أن أحصى المواضع التي ورد فيها ذكر البلاغة ومشتقاتها والتي بلغ ذكرها في تسعة وعشرين موضعا كلها بصيغة "البلاغة" أو "علم البلاغة"، ماعدا واحدة جاءت بصيغة الجمع بلاغات[2]، وقد تتبع **بناني** بلاغة **السّكاكي** إذ أفرد لها قسما كاملا جاوز السّتين صفحة[3] فصّل فيه القول عن مفهوم البلاغة ذاكرا نصوص السّكاكي حولها معلقا عليها، وتبيّن له أنّه حصرها في علمين هما "المعاني" و"البيان" وجعل علم "البديع" متمما لهما وهذا التّقسيم يرى فيه **تمام حسان** أنّه بناء متكامل: "فإذا عني علم المعاني بإقامة الصّرح وعني علم البيان بتقديم اللبنات ومواد البناء فإنّ علم البديع يعني بطلاء المعنى وزخرفه"[4] والبلاغة كما فسرها **بناني** عند **السّكاكي** تعني: "مقدرة المتكلم على التّصرف في تراكيب الكلام لتحقيق ما يصبو إليه من الغايات الفنية"[1].

---

[1] – ينظر، بناني محمد الصغير، البلاغة العربية واصولها النظرية، ص 428 وما بعدها.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 450.

[3] – المرجع نفسه، من صفحة 450 إلى صفحة 517.

[4] – تمام حسان، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي العربي النحو– فقه اللغة – البلاغة، دار عالم الكتب، القاهرة، د ط 2000، ص 349.

ويمكن القول أنّ كتاب **السّكاكي** كان له تأثير كبير على الأجيال التالية، فقد أضحت آراؤه مرجعا للدارسين جعلت منه أكبر مدرسة لسانية في الدرس العربي، يظهر هذا من خلال نفاذ **بناني** إلى النّظام اللساني عند **السكاكي** وتصوره للغة وبنياتها المختلفة المعجمية منها والصوتية والصرفية والنحوية، والتي أبانت عن اتساع وشمولية لا يعرف الدارسون مدرسة مماثلة لها في الثقافات الأخرى.

وعملا برغبة **بنّاني** التي صرّح بها في كتابه "**البلاغة والعمران عند ابن خلدون**" فإننا نستدرك الناقص في أطروحته بإضافة المفكر المغربي عبدالرحمان بن محمد **بن خلدون (ت 808 هـ)** إلى قائمة كبار المنظرين المعتد بها في أطروحته، إن هذا العَلَم لا نجد له حضورا في مشروع **حمادي صمود** السابق الطرح، ولا في مشروع **محمد العمـــري** اللاحق في الطرح ولم يعرف له صدى في مشروع البلاغة العربية الحديثة، وليس من المصادفة أن يجمع **بناني ابن خلدون** مع كبار المنظرين السابقين، فبعد أن عرض نظرياتهم "نظرية (الكلام) البيان نظرية(المعاني) النظم، نظرية الأدب ودور علوم اللغة في إنتاج النص الأدبي" وجد في مشروع **ابن خلدون** لاحقا ما يعين على وصل الخيوط المتينة التي تجمع بين أفكاره وأفكار مؤسسي البلاغة العربية مشرقا.

هذه الخيوط يمكن أن نجملها في مفهوم البلاغة عند هؤلاء، فإذا كان **الجاحظ** يمثل المدرسة الكلامية البيانية، و**الجرجاني** يمثل مدرسة النظم، و**السّكاكي** يمثل مدرسة الأدب

[1] – ينظر، بناني، محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 450.

الشّمولية، فإنّ **ابن خلدون** يمثل المدرسة الارتقائية [1]، وهو ما أثبته **بناني** في كتابه: "البلاغة والعمران عند ابن خلدون".

ومما لا شك فيه أن **ابن خلدون** عرف بمقدمته، وهي الجزء الأول من كتابــه: **كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"[2] والتي تعدّ مصدرًا رئيسًا، ليس لعلمي التّاريخ والاجتماع فحســب بل للأدب وسائر صنوفه، فبنية المقدمة ينبغي البحث عن أصلها في كتب الأدب: أدب **الجاحظ** على وجه الخصوص، وفي كتابي (الحيوان)، و(البيان والتبيين) على وجه التدقيق، فالمقدمةُ كتابُ أدبٍ شكلاً ومضمونًا، و" الدخول في أعماقها يبّين أنّ موضوع العلم والمعرفة والوسائل التي يؤديان بها، كاللغة والوحي والفنون، وما أشبهها من الموضوعات الفكرية اللسانية، تطغى على جميع الأبواب وتستحوذ على معظم اهتمامه"[3].

اهتم **بناني** بمفهوم البلاغة عند **ابن خلدون** حيث اعتبرها علما من علوم اللسان العربي وفيه أشار إلى علم البيان ويعني به **البلاغة** عند العرب في مفهومها الخاص وذلك من باب تسمية الكل باسم جزئــه[4].

---

[1] – هي امتداد لنظرية الارتقاء والتطور إلى العمران البشري ككل وهي تحاول تفسيره تفسيرا تطوريا يكشف عن الأسباب والمسببات ويفتح الباب واسعا أمام التفسير الوضعي لجدلية التاريخ، كما تقوم النظرية على نظام ينطوي على خمس طبقات متراصفة يعبر عنها ابن خلدون عادة بالأطوار ويقصد بالطور الفترة الزمنية، ينظر البلاغة والعمران عند ابن خلدون ص 78.

[2] – ابن خلدون، عبدالرحمان، العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تاريخ ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية، د/ط ، ص 6.

[3] – بناني محمد الصغير، البلاغة والعمران، ص 22.

[4] – ينظر، المرجع السابق نفسه ص 137.

وإن كان المشهور عن **ابن خلدون** تبحره في علمي التاريخ والاجتماع إلا أنّه "ليس هو الميدان الوحيد الذي تتجلى فيه عبقرية هذا الرجل فهناك مجال آخر أبدع فيه – مسكوت عنه حتى الآن – مع أنّه يوازي عنده علم العمران البشري[1] نعني بذلك علم البلاغة "[2]، **فابن خلدون** يجهل قدرَه كثيرٌ من النّاس، غير أنّ " هناك من اللسانيين من يجد في المقدمة جملة من الأفكار اللسانية التي لا تقلّ أهمية عمّا توصّل إليه البحث اللسانيّ عند الغرب[3]، كفكرة الملكة البلاغية وفكرة الارتقاء اللساني.

وما تقديم **ابن خلدون** للعلوم اللسانية على القرآن الكريم والحديث، وتعليله بذلك أنّ المراد به هو: "الاعتبارات التعليمية للارتقاء من السهل إلى الصّعب، وكذلك الاعتبارات العقيدية المحددة لمدارك العلوم في سلم الإعجاز، وهكذا يأتي علم اللغة –مثل ما هو الحال عند السّكاكي– في الأسفل؛ لأنّ اللغة في متناول كل الناس، وفوق هذه الطبقة نجد علم النّحو وفوقه علم البلاغة الذي تتلخص مسائله في علم الأدب المرحلة الأخيرة التي يجب على المتعلم قطعها قبل التطلع إلى مدارك الإعجاز"[4]، وقد مثله **بناني** بهذا المخطط البياني الآتي:

[1] – هو العلم الذي يبحث في أحوال المجتمع في مساكنهم، واستخدم لفظ العمران بدل العمارة التي تدل على الجانب المادي فالعمران مصدر دال على الجمع بين الجانب المادي والمعنوي، انظر :بناني محمد الصغير، البلاغة والعمران ص 86 و 87.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 142.

[3] – عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 208.

[4] – بناني محمد الصغير، البلاغة والعمران، ص 48.

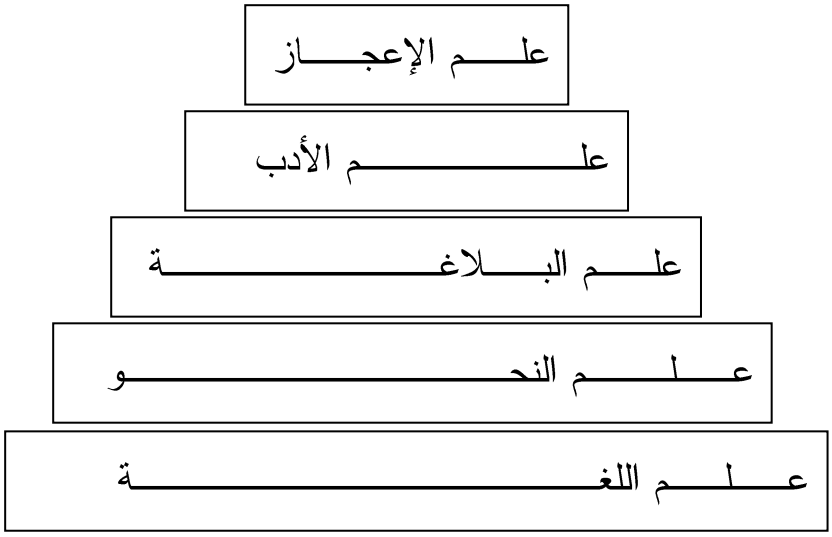

هذه الرؤية الارتقائية بدءً بـــعلم اللغة ثم علم النحو ثم علم البلاغة ثم علم الأدب والتي تميز بها **ابن خلدون**، رأى فيها **بناني** أنّها مبنية على طبقات خمس متراصفة يعبّر عنها **ابن خلدون** بالأطوار، ويقصد بالطّور الفترة الزمنية التي ينتقل فيها الكائن لسانيا كان أو إنسانيا أو حيوانيا من صورته الأولى إلى صورة أخرى كما أن لو كان حقيقة أخرى وليست تطورا داخليا لحقيقة واحدة تنتقل من طور إلى طور حتى تنتهي إلى غايتها[1]، ففقه التراكيب هو كل شيء في نظرية **ابن خلدون**، إذ يعتبر **بناني** أنّ مفهوم التراكيب مفهوم مركزي ومهم في تفكير ابن خلدون فهو "شامل لجميع أصناف العبارة التي تبدأ في النحو وتنتهي في الأسلوب، وكيفية التركيب موجودة في جميع الألسن بل توجد في الأعداد وفي الكيميا وفي العمران بصفة عامة مما يبعث على التفكير في إنشاء علم عام للتراكيب يمكن تسميته بفقه التراكيب"[2].

والتراكيب الارتقائية هي وحدها التي تمكن من الارتقاء إلى مدارك الإعجاز في القرآن الكريم، وهذه التراكيب أوسع من أن يحاط بها في قواعد معينة وهي التي يجب تعليمها للناشئة

[1] – بناني محمد الصغير، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، 2001، ص 52.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة والعمران عند ابن خلدون، ص 152.

بالجمع فيها بين التراكيب اللسانية والتراكيب العملية كما تجري بالفعل في الواقع اليومي الميداني وفي العلاقات بين الأشخاص في الأحوال والمقامات التي يعيشون فيها وهي خلاصة منوال **ابن خلدون**، كما أنّ فقه التراكيب "يتلخص في نظر **ابن خلدون** في مفهوم الأسلوب، وهو أسمى ما توصل إليه التفكير الخلدوني في لسانيته الارتقائية"[1].

وقد خلص **بناني** في مقاربته لمشروع **ابن خلدون** أنّ ما جاء في المقدمة عن البلاغة إنّما هو "تتويج لمشروع واحد ناجم عن تصور لساني و بلاغي وعقيدي نبع من فكرة البيان عند الجاحظ واكتمل في فكرة العمران عند ابن خلدون"[2].

1. 2 . 5 خاتمة الأطروحة:

يختم مفكرنا أطروحته بجملة نتائج هامة تؤكد أصالة البلاغة العربية وعدم تأثرها بالبلاغة اليونانية في حدود عمر المدونة التي درسها "من العصر الجاهلي حتى بداية القرن السّابع الهجري"، فمن وجهة نظره أنّ ذلك تجلى بوضوح في المدونة المختارة سواء المعلقات العشر، أو القرآن الكريم والحديث النبوي، وكبار المنظرين "**الجاحظ، الجرجاني، السّكاكي، وابن خلدون**، الذين لم يتجاوزوا هذه النصوص وهم يحددون خصائص البلاغة العربية، وما انتهى إليه **بناني** يؤكد ما توصل إليه حمادي من أنّ العوامل المباشرة في تأسيس البلاغة العربية هي عوامل على صلة وثيقة بالحضارة العربية الإسلامية.

[1] – المرجع السابق، ص 53.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة والعمران، ص 04.

المبحث الثاني: الوعي المنهجي والنقدي في قراءة محمد الصغير بناني.

2 – 1 : جدليـــــة التـــراث والحـــداثـــة.

2 – 2 : المنـــــاهج والنظـــريات المعاصـــرة المتـــوسل بها.

المبحث الثاني: الوعي المنهجي والنقدي في قراءة بناني:

يطمح **بنّاني** بعرضه لهذه الفصول محاولة فهم التراث البلاغي وتقريبه من القارئ حتى يستوعبه استيعابا شاملا وعميقا، باكتشاف نظرياته البلاغية الكبرى و "اختبار فعالية البلاغة وقدرتها في تبليغ الفكر والذوق المعاصريْن، على اعتبار أنّ البلاغة العربية منظور إليها على أنّها الوجه الآخر للأدب، وفي الوقت نفسه العلم المقوم للأدب، وهذا وحده يستطيع أن يبوئ البلاغة العربية مكانتها التي تستحق بين بلاغات العالم"[1]، وهو بذلك يشاطر **حمادي صمّود** في غاية البحث وهو وضع نظرية في فن القول تولدت عن ممارسة النص من جهة بنيته اللغوية ففي معرض حديث **صمّود** عن جهود المهتمين بالتراث البلاغي أشار إلى أنّ هذه الجهود "وإن مست معظم جوانب البلاغة، فخصص قسم منها لتبين خطوطها الرئيسية ومسائلها الكبرى كالتاريخ لبعض مراحلها، والاهتمام بأبرز مواضيعها ودراسة مصطلحها وعلاقتها بالتراث الأجنبي، وخصص قسم آخر للتعريف بأعلامها والكشف عن مساهماتهم في بلورة مسائلها وضبط مقاييسها كما لم يغفل الدارسون صلتها بأوجه النشاط الفكري الأخرى كالتفسير والنحو والإعجاز .."[2]، فإنها "تُعْرِضُ عن استكناه مخزون النصوص الفكري والأدبي فتبقى صامتة مغلقة على أسس النظرية الأدبية"[3]، كما أكد أن هذه المؤلفات رغم كثرتها وتنوعها لم تتوصل – في رأينا– إلى إقحام البلاغة في حقل العلوم الأدبية ولم تستطع أن تقنع بفاعليتها في ممارسة

[1] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 1.

[2] – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، المقدمة.

[3] – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، المقدمة، ص 12.

الأدب ونقده فتعود إليها مكانتها السالفة باعتبارها نظرية في فن القول تولدت عن ممارسة النص من جهة بنيته اللغوية"[1].

إنّ أطروحة مفكرنا البلاغي **بناني** يمكن اعتبارها عملا موسوعيا؛ إذ أثبتت شموليتها المامه بأصول البلاغة، وتعميق سؤال درسها لاستيعاب حقيقتها وجوهرها وتنوعها مستفيدا من جهود المحدثين التي بنيت على مفارقات عجيبة في الاتجاهات والغايات، كما أبان درسه عن وعيه المنهجي والنقدي أثناء تعامله مع النص العربي "شعرا، قرآنا حديثا، وتنظيرات" وإعادة قراءة كل نص من "**الداخل**" ومن "**الخارج**" بما يعين على فهم ربط البلاغة العربية بأصولها وتبيّن مقدار ارتباطها بكل نص على حدة، استعمل هذين المصطلحين **محمد العمري** ويقصد بالداخل والخارج أنّ النشأة الأولى للبلاغة العربية كانت من مصدرين داخلي وخارجي فأمّا الداخلي فقد أنجزت عن طريق تأمل النص الشعري مباشرة نقد الشعر واختياره، أي عن طريق الملاحظة المباشرة والاختيار الفني، وأما الخارجي فكان من خلال التأليف العلمي.

وفاءً لروح صاحب الأطروحة ولاعتقاده في "كون البلاغة العربية لم تكشف للناس عن كل محاسنها حتى الآن"[2]. نأتي لتبيّن قناعاته وتصور تفكيره في درس البلاغة العربية.

2. 1 جدلية التراث والحداثة:

وإن كانت قراءة **بناني** للبلاغة البلاغية تبحث في الأصول على مدار سبعة قرون فإنها قراءة معاصرة توسلت بمناهج البحث العلمي الحديث ومكتسباته اللسانية وفي الوقت ذاته اشترطت وقت تعاملها مع هذه المناهج المستوردة الانضباط والتشدد طلبا للتّدقيق وتمحيص

[1] – المرجع السابق، ص 12.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 10.

البحوث الميدانية لمعيرة الأحكام المسبقة ولمراجعة ما قيل عن البلاغة العربية إلى اليوم[1]، وقد شكّلت لديه طريقا صعب المسالك، حيث أفرز التعامل مع المناهج الغربية مواقف متباينة، فمنذ بعثة **الطهطاوي** من قبل **محمد علي** لتلقي العلوم الحديثة سنة **1826** ألفت حولها الكتب[2] وكتبت عنها المقالات، والتي دامت خمس سنوات، وكان من نتائجها بعث حركة الترجمة في البلاد العربية وذلك من أجل نقل تراث الغرب إلى العرب، وهنا تباينت الرؤى واختلف التعاطي مع هذا الوافد الجديد.

يلقي **بناني** اللائمة على حركة الترجمة، إذ يرى أنّ المترجمين الذين تواصلوا مع النظريات الغربية ونقلوا نماذجها ومفاهيمها إلى العربية ورد بلغة يسودها في الغالب الإبهام والغموض، بلغة مغلقة أسهمت في تكثيف هذا الغموض فانشغلت بنقل العتاد الجديد وكله انبهار بهذه الثقافة التي ستقرر مع الأيام بموت البلاغة العربية، فأين حقّ القارئ العربي في فهم ما يتلقى من وافد ينسجم معه، ولا يكون له ذلك "إلا إذا كانت هذه الرموز والمفاهيم مستخرجة من اللغة التي

---

[1] – ينظر، المرجع السابق، ص 8.

[2] – ينظر مثلا: – الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان، ط1/1991.

- الجابري، محمد عابد المواءمة بين التراث والحداثة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت لبنان ط1/2016.
- نعمان عبدالرزاق السامرائي، حوار حول التراث والحداثة، كتاب الأمة، سلسلة عن إدارة البحوث الإسلامية الدوحة قطر، العدد 170، ذو القعدة 1437هـ.
- طه عبدالرحمان، روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1/2006.
- صمود حمادي، الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، الدار التونسية للنشر، سبتمبر 1988.
- اليزيد بلعمش، جدلية التراث والحداثة في قراءة النص المعرفي البلاغة العربية أنموذجا، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.

يعرفها ومنسجمة مع الفكر المطالب باستيعابها"[1]، وهو بذلك يعزز قناعة **حمادي صمود** في خصوصية كل ثقافة حيث يقول: "ولم تغب عنا طيلة هذا العمل، الصعوبات بل المخاطر الحافة بهذا التوجه؛ لأن كل عمل من هذا القبيل مهدد بالوقوع في ضرب من الاستلاب ....إن لم نوفق إلى استخدام أجهزتنا المفهومية استخداما يحترم خصائص التراث والسياق التاريخي الذي يتنزل فيه والأسس المعرفية الابستيمولوجية القائم عليها"[2].

بات موقف **بنّاني** واضحا من جدلية التراث والحداثة، فهو غير متشبث بالتراث ليرفض كل ما هو غربي، ولا هو منبهر بالمناهج الغربية منبطح إليها حدّ العمى، بل يسمح باستعمالها ويدعو إلى الحذر عند التعامل معها في الأخذ منها[3]، هذا الموقف نادى به كثير من الباحثين وأولهم **حمادي صمود**، حيث يقول: "واجتنابا للمزالق التزمنا الحذر في استخدام هذه المفاهيم واكتفينا في الغالب بالاستنارة بها لاكتشاف غوامض التراث وتجنبنا تسليطها عليه وحمله على المعاصرة قسرا"[4]، وما ورد مع **سيد قطب** على سبيل الذكر لا الحصر حيث يقول: "فإذا اضطررت إلى الاقتباس من مناهج النّقد الأوربي كان هذا في الحدود التي تقبلها طبيعة النّقد في الأدب العربي"[5]، وهو ما كان يدعو إليه **بنّاني** من "استخدام النتائج العلمية والمنهجية التي توصلت إليها الدراسات الحديثة قدر الإمكان وبما يساعد على فهم النصوص القديمة أو يساهم في إثرائها أو إبراز أهميتها دون تحميلها ما لا طاقة لها به أو القصد إلى المقارنة أو المفاضلة

---

[1] – بناني محمد الصغير، مفهوم النص عند المنظرين القدماء، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر العدد12، 1997.

[2] – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 13.

[3] – ينظر، بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 7.

[4] – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 13.

[5] – سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، مدينة نصر، مصر، ط8، 2003، ص 8.

بينهما[1]، وإن أشار **بناني** وهو يؤسس لنظرية اللغة عند **الجاحظ** في كتابه "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ" إلى أنّ: "تصور الجاحظ للغة لا يختلف كثيرا في شكله ومضمونه عمّا وصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة "[2]، فينبغي ألا ينظر إليه من باب التطابق أو المفاضلـــة لأنّ **بناني** بيّن بما لا يدع مجالا للشك أننا مع البلاغة العربية وفي الفترة التي حددها للدراسة (من العصر الجاهلي إلى القرن السابع الهجري) أمام ظاهرة لسانية وبلاغية وعقيدية متماسكة"[3]، وهذا تمهيد إلى **محمد العمري** من إنّ فكرة "التطابق" فعل لم يأت إليه السّلف بقوله: "قد بيّنا كيف أنّ الفلاسفة العرب لم يكونوا مشغولين بالتطابق مع أرسطو، وأنّه لا جدوى من هذا التطابق"[4]، فهو مقتنع بأنّ القدماء كانوا يبحثون في الكليات لا في التطابق بين النظريات، ولم يشر **حمادي صمود** إلى قضية التطابق وجدواها من عدمه وإن أقرّ بمسألة التأثير الأجنبي دون ضبط وجه التأثير في البلاغة العربيـــة يقول: "لا جدال في أنّ البيئة العربية كانت على صلة بتيارات أجنبية مختلفة استفادت منها البلاغة العربية بوجه من الوجوه، لكن نعتقد أنه ليس في مقدورنا ضبط ذلك الوجه بدقة وتفكيك ذلك البناء المتراص لنرجع كل لبنة منه إلى أصلها"[5].

أشار **بناني** في تقسيمه للاتجاهات التي نحاها البلاغيون المحدثون، إلى اتجاه مثّل له بـــ**طه حسين** وأتباعه، كان روّاده يسعون إلى اكتشاف الأصول اليونانية في كل شيء بما في

---

[1] – ينظر، بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 9.

[2] – حسين قاسم، عدنان، الإتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر، الدار العربية للنشر والتوزيع، مدينة نصر، مصر 2001، ص 88.

[3] – ينظر، بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 531.

[4] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 10.

[5] – صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 81.

ذلك البلاغة، ويمكننا القول إنّ موقف **طه حسين** من التأثير الأجنبي كان المنطلق الأول لإثارة هذه القضية، وهو ما طرحه **حمادي صمود** من أنّ نقطة الاستفهام الكبرى في قضية التأثر كانت عند **عبد القاهر الجرجاني** "ولكثرة الاهتمام ببلاغته ونقده تعددت الآراء وانحصر مجملها بين طرفين نقيضين: طرف يؤكد تأثره باليونان تأثرا عميقا حتى وصفه بأنه لم "يكن إلا فيلسوفا يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه"[1]، يعني بذلك موقف **طه حسين**، فهذا الأخير حين قدّم بحثه باللغة الفرنسية سنة 1932 إلى مؤتمر المستشرقين ونشر مترجما في كتاب "نقد النثر" المنسوب **لقدامة بن جعفر** بقوله: "...وإذاً لا يكون أرسطو المعلم الأوّل للمسلمين في الفلسفة وحدها ولكنّه إلى جانب ذلك معلّمهم الأوّل في علم البيان"[2] فتح بابا للردّ على هذا الحكم فتصدى له كثير من الدارسين أجمعوا على زعم **طه حسين** الخاطئ، وكان من بينهم **صادق الرافعي** و**أحمد مطلوب**، إذ يقول هذا الأخير :" والغريب أن القائلين بالأثر الفارسي لم يدرسوا المسألة دراسة علمية وإنما اكتفوا بما ردّده المستشرقون ولذلك لم يستطيعوا أن يضعوا أيديهم على لون من ذلك الأثر المزعوم "[3] وإن كان **طه حسين** يؤمن بهذا الأثر ويدعو إلى تبنيه، فإننا نجد من تلامذته من يرفضه ويفنده، " فلقد أغرى "**طه حسين**" تلميذه "**زكي مبارك**" بإكمال البحث وردّ ما بقي في البلاغة العربية من فنون إلى الفُرس وسلب العرب أصالتهم، ولكن التلميذ لم يطع لأنه لا يؤمن بما قاله أستاذه أو المستشرقون وقرّر أنّ الزخرف عنصر أصيل في اللغة العربية، وأنّ القرآن الكريم خير شاهد على ذلك"[4]، وبهذا يجيب تلميذ **طه حسين** أستاذه والمستشرقين على

---

[1] – المرجع السابق، ص 76.

[2] – انظر، طه حسين، مقدمة نقد النثر، ص 33.

[3] – أحمد مطلوب، بحوث بلاغية، ص 259.

[4] – المرجع نفسه، ص 259.

حدّ سواء ويرمي بزعمهم القائل بتأثير الثقافتين اليونانية والفارسية في البلاغة العربية ولا أساس لها بدونهما"[1]، وهذا الحكم فيه تجني على اللغة العربية لا يجد من يدعمه، ولعلّ هذه القضية كانت أهم دافع أسال حبر المفكرين، فكانت لهم مواقف متباينة.

استفاض **بناني** فيما أثير من قضايا حول تأثر البلاغة العربية بالآداب الأجنبية وبخاصة الآداب اليونانية وكان جوابه علميا فيما روّج من أفكار، حيث اعتبرها "شعارات ومواقف عاطفية أكثر منها استنتاجات علمية تقوم على معطيات موضوعية ودراسات إحصائية لظواهر بلاغية معينة، ومثل هذه المواقف لم يعد بالإمكان اتخاذها ولا اعتمادها في الدراسات الجدية"[2] وإن كان ردّ **بناني** صريحا، فإنّ تقريره إيّاه مبني على مواقف لأمم أخرى استفادت من سابقيها في بناء صرحها العلمي لقوله: "قد رأينا كيف أنّ بعض الأمم المتقدمة في صناعة البلاغة كالهند والفرس قد استخرجت من مفتاح العلوم مفتاحا لفتح أقفال بلاغية وهذا دليل على أصالة البلاغة العربية وصواب نظرتها ومدى فعاليتها في الحاضر والمستقبل"[3]، وهو نص يؤكد أن التلاقح بين الحضارات هو سنة من السنن الكونية كما يعزز أصالة البلاغة العربية وفعاليتها بين بلاغات العالم.

لتبقى قضية تلقي الأثر الأجنبي ومدى حضوره في البلاغة العربية مسألة خلافية بين مدّ وجزر، لا ننفي الجزم بكينونتها، ولكن مواصلة الخوض فيها تعد من الجدل العقيم.

---

[1] – يرى زكي مبارك أنّ موقف طه حسين يعود إلى تأثره بالفرس المستعربين، "وهذه مدرسة قديمة يرجع عهدها إلى "رينان" وهي ترمي إلى الحكم بأنّ المدنية العربية غريبة عن العرب، وأنّ العرب مدينون في علومهم وفلسفتهم وفنونهم وآدابهم إلى الفرس واليونان ينظر، المرجع نفسه، ص 259.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 531.

[3] – المرجع نفسه، ص 538 .

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هل فصل **بناني** في مثل هذه الطروحات خاصة ما تعلق بقضية التأثير الأجنبي عامة والأرسطي خاصة، ولم يمنعه تعامله مع التّراث الشامل والعميق من التسلح بمكتسبات البحث العلمي الحديث ولكن بحذر شديد.

دعوة الحذر أثناء توظيف المناهج الحديثة تنبئ أنّ الرجل ذو وعي منهجي ونقدي فهو متيقن أنّ التراث البلاغي له من الحمولة المعرفية ما يفيد به الآخر، وتوظيف هذه المناهج الحديثة لا يعني به إلاّ: "فهم النصوص القديمة أو يساهم في إثرائها وإبراز أهميتها دون تحميلها ما لا طاقة لها به أو القصد إلى المقارنة أو المفاضلة بينها"[1] وإلا فلا تعني القراءة عنده تحميل التراث لأكثر من طاقته، ولا تعني عنده المقارنة بين التراثين أو المفاضلة بينهما، وإنما نقرأ لنفهم فنثري ما نفهم في أطر ما توفر من عتاد يعين على ذلك .

2. 2 المناهج والنظريات المعاصرة المتوسل بها:

لا يخفي **بناني** موقفه تجاه كل المتأثرين بالمناهج الغربية والساعين إمّا إلى "المقارنة بين البلاغة العربية وبين المناهج الغربية أو إلى تطعيم البلاغة بهذه المناهج، غاضين الطرف عمّا يمكن أن تمدّه البلاغة العربية من عطاء لامتلاكها جميع المقومات الذاتية، كون أنّ الجميع مقتنع باستنفاد البلاغة العربية القديمة جميع أنفاسها"[2]، فجاءت دعوة **بناني** إلى مراجعة هذا الموقف المجحف في حق البلاغة العربية.

سعى **بناني** إلى تحري مدونته التي تبدو في نظره ملائمة لتحديد تاريخ البلاغة: نشأة تأسيسا وتطورا، وتأتي قراءته لهذه المدونة قراءة لسانية بنوية، تهتم باستكشاف النصوص من

[1] – المرجع السابق، ص 9.

[2] – المرجع السابق نفسه، ص 7.

داخلها من شعر، قرآن، ونصوص تعود لكبار المنظرين والمفكرين: **الجاحظ الجرجاني السكاكي، وابن خلدون** وكله يقين أنّ البلاغة العربية تمتلك مقومات ذاتية تنتظر من يفعّل قدرتها من جديد في تبليغ الفكر والذوق المعاصريْن، ما تبناه **بناني** من الغاية منحه قدرا من الوعي المنهجي في توظيف مصطلحات البنوية[1]، لا يستقيم منهجها إلا باتباع "الطريقة الاستقرائية السائدة الآن في كثير من الدراسات الأدبية واللسانية وهي التي تعتمد على الإحصاء والمقارنة"[2] هذه الطريقة التي تعد من صلب مبادئ التحليل البنوي للنصوص وهو ما عكف عليه **بناني** حين قام بـــ: "الاتصال المباشر بالنصوص كلّ النّصوص التي تشكل وحدة بنوية أو معنوية"[3].

لقد عكف **بناني** على استكشاف مدونته التراثية وهمّه التمكين لبلاغتنا الحديثة وجدوى هذه القراءة متى استأنس بعتادها، فعلى سبيل الذكر لا الحصر تحليله لنصوص **الجاحظ** بغاية استكشاف نظريته البيانية "الكلامية"[4].

كما كانت قراءته للمصطلح البلاغي وبالتحديد مختلف صيغ البلاغة في مدونة **السّكاكي** قائمة على الإحصاء الدقيق والشّامل لمجمل الصيغ، وتفصيله للنظام اللساني في كتاب المفتاح، إذ عرض تصور **السّكاكي** للغة وبنياتها المختلفة المعجمية والصوتية والصرفية والنحوية، وتحليله للجوانب اللغوية والبلاغية والنظمية والنقدية التي يشتمل عليها النص القرآني ككلام

[1] – المنهج البنوي يعمل على دراسة اللسان دراسة وصفية تحليلية دون الارتكاز إلى مركز خارجي كالمؤلف أو القارئ او عوامل أخرى.

[2] – بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ، ص 21.

[3] – المرجع نفسه، ص 21.

[4] – لمن أراد الاستزادة في عمق طرح القضية، يراجع الأطروحة من صفحة 261.

مؤلف من ألفاظ ومعان نظمت على نسق مخصوص في فترة تاريخية معينة دامت نيفا وعشرين سنة[1].

وقد أفاد **بناني** من عند **سوسير**، فمن المصطلحات البنوية التي استأنس بها **بناني** في قراءته لتراث **الجاحظ** نجد مصطلحي: "السّدى والنير"[2]. فالسدى يعني به المثل أو "محور التخيير" وهو في اللسانيات الحديثة مجموع الوحدات المترابطة فيما بينها ترابطا ضمنيا يتجلى في قابليتها الحلول محل بعضها بعض"[3]، و"النّير" يعني به الشاهد وهو في اللسانيات البنوية كل مجموعة من العناصر اللسانية التي تشكل وحدة داخل كل تنظيم متدرج"[4].

وبهذا يكون **الجاحظ** قد اكتشف قبل المدرسة البنوية مفهومي النير والسدى اللذين يعد اكتشافهما تغييرا حاسما في اللسانيات الحديثة"[5].

سخّر **بناني** جُهده في البحث عن منابت البلاغة والنظريات التي أسست لها، فسعى إلى الإلمام بكل ما يمكن أن يخرج الأنساق البلاغية، فاهتم بالخطاب وعناصره كون البلاغة لا تكتمل صورتها إلاّ بفهم مدى نجاح الوظيفة التوصيلية الكامنة بين المخاطِب والمخَاطب، وهذه الوظيفة تعد من بين أهم وظائف التداولية، كما يرى **ليتش**[6]: "أنّ البلاغة تداولية في صميمها، إذ إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسّامع بحيث يحلّان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل

[1] – ينظر، بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 527.

[2] – ينظر، بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ، ص 311 وما بعده.

[3] – المرجع السابق نفسه، ص 311.

[4] – المرجع نفسه، ص 313.

[5] – المرجع السابق نفسه، ص 315.

[6] – لغوي بريطاني ولد 1936 له كتاب: "مبادئ التداولية" ترجمة عبدالقادر قنيني.

محددة للتأثير على بعضهما ولذلك فإنّ البلاغة والتداولية البرجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي"[1] يقرب مفهوم **بناني** وهو يقارب بين البلاغة العربية والتداولية ويحلل النّصوص التراثية البلاغية وبخاصة الدلالات الخمس عند الجاحظ والتي رأى فيها أنّ لها "أهمية في نظرية الأدب العربي بل في نظريات الأدب الحديثة"[2].

فإذا كانت الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، وأهمّ وظيفة من وظائف الكلام البشري التوصيل أو التبليغ، كما حدّدها **رومان ياكوبسن**، فإنّ هذا الاصطلاح التداولي كان محل اهتمام كثير من الدارسين ومن بينهم **بناني** الذي أولاه أهمية بالغة في مقاربته لنصوص الجاحظ، إذ يعتبر أنّ: "البلاغة في التعبير الجاحظي ليست في كثير من الأحيان سوى التبليغ أو التوصيل كما يقول علماء اللسان اليوم"[3]، وهذا من المبادئ الأساسية في الطرح التداولي، ويظهر جليا في تلقي **بناني** لكتب **الجاحظ** وبخاصة "البيان والتبيين"، الذي يعتبر الوظيفة الأساسية من البلاغة هي "التعبير أو التوصيل أو التأثير"[4].

هذه الوظيفة تشكل عصب المنهج التداولي، "وممّا يزيد في رسوخ هذه الرؤية في الأذهان هو احتواء البلاغة في إحدى تعاريفها التراثية على معاني التوصيل وهو الحجر الأساس الذي تعتمد عليه التداولية كحقل معرفي بوجه عام وفي التداولية البلاغية بوجه خاص"[5].

---

[1] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أوت 1992، ص 89.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 8.

[3] – بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ ، ص 11.

[4] – المرجع نفسه، ص 219.

[5] – حبيب، زحاف، البعد الهوياتي والوثائقي في رواية الأمير، مقاربة تداولية، رسالة دكتوراه، جامعة وهران السانية، إشراف عبدالقادر شرشار، الموسم الجامعي 2013/2012، ص 25.

ويكمن وعي **بناني** بمبادئ المنهج التداولي حين يشير إلى "أمر مهم لم تتفطن إليه اللسانيات إلاّ أخيرا وهو تدخل شخص ثالث في التبليغ هو شخص الغائب، فالمتكلم يوجه الكلام ويقصد به أيضا شخصا آخر غائبا عن المكالمة، وهذا ما صرّح به عبدالصمد بقوله إنّ كلامي لوكنت لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي عليك ولكن أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر"[1]، وفي معرض حديث **بناني** عن شعر المعلقات أشار من بين الصيغ التي تداولها شعراء المعلقات صيغة أبلغ والمسبوقة أحيانا بأداة التنبيه (ألا) كما في بيت **عمر بن كلثوم:**

ألا أبلغ بني الطماح عنا *** ودُعْمِيّا فكيف وجدتمونا.

أو بيت **زهير بن أبي سلمى:**

ألا أبلغ الأحلاف عنّي رسالة *** وذبيان هل أقسمتم كل مقسم.

وهي كما نرى صيغ تكاد تكون مبنية على منوال واحد يتمثل في فعل أمر موجه إلى مخاطب غير معين (مخاطب/غائب) مكلف بتبليغ رسالة إلى مرسل إليه معين في النص لكنه غائب هو الآخر بل يأتي في المنزلة الثانية بعد الغائب الأول مع أنه المقصود بالخطاب فهو إذن غائب/مخاطب، وهو أحد أبعاد البلاغة العربية في كونها خطابا يصلح للشاهد والغائب"[2].

ولعل تفرغ **بناني** لدراسة بيان **الجاحظ** وتركيزه على المقام، الذي يعتبر من المكونات الأساسية في الخطاب البلاغي، فإحاطة البلاغة العربية بقضايا تطرقها –اليوم– النظريات التداولية يظهر تبرزه لدراسات قدّمها علماء عرب في شأن الجاحظ وهي تثمن نتائج

[1] – بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 231.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 88.

بناني، لقول **حبيب زحاف**: "يظل **الجاحظ** بمؤلفاته معتليا رأس القائمة ضمن هؤلاء ولا سيما مصنفه" البيان والتبيين"[1].

كما أنّ تفقه **بناني** في وظائف الكلام عند **جاكبسون** فيما انتهت إليه اللسانيات الغربية الحديثة يراه **بناني** لا يختلف كثيرا عمّا تذكره كتب البلاغة العربية عادة عن الخبر والإنشاء والاستخبار والاستعانة، لكن يقرر **بناني** أنّ هناك "وظيفة أساسية يتميز بها القرآن عن بقية أنواع الكلام الأخرى الموجودة في الكون وهي الوظيفة التذكيرية فالغاية من الكلام في نظر القرآن هي قبل كل شيء التذكير، وقد أكد القرآن ذلك في عدة آيات فقال: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ القصص 51، وقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر17، فالإنسان متكلم لأنه متذكر وهو يتكلم ليتذكر"[2] لينتقل بعدها **بنّاني** بوعيه المنهجي لتفصيل القول عن علاقة المتكلم في النّص القرآني وهو الله سبحانه وتعالى بالمخاطب المتلقي عنه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاقة الرّسول صلى الله عليه وسلم بعالم الغيب[3].

وفي السياق نفسه يعرض **بناني** حديثه عن خطبة حجة الــوداع ومن خلال إثارته لطرف ثالث في العملية التخاطبية يتمثل في شخص "الغائب"، فإذا كان البيان القرآني قد جعله الله "قرآنا عربيا" فبيان الرسول صلى الله عليه وسلم "بيان إنساني دنيوي" نظمه الرسول في صورة خطبة

[1] – المرجع السابق، ص 113.

[2] – المرجع نفسه، ص 110.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص 118.

مطابقة لمقتضى حال السامعين ومن ثم اتجه نحو الغائب واستئثار وظيفة التبليغ على كامل النص، ومحور التبليغ هو الذي يحدد ملمح الخطبة ويميز أسلوبها ويتجلى في ترداد عبارة "ألا هل بلغت اللهم أشهد" ست مرات عقب كل فقرة ختمت سابعتها بقفل ينتهي عنده شوط الخطبة ويفتح للمعنى آفاقا جديدة؛ ليستأنف رحلة أخرى مع شخص ثالث شخص الغائب "فليبلغ الشاهد الغائب"، هذا الشخص الذي يظهر في نهاية المطاف ليختم حلقة النص ويؤسس بلاغته على أطراف ثلاثة: متكلم ومخاطب وغائب، هذا الطرف الثالث الذي اكتشفت الدراسات الحديثة مؤخرا دوره في تحديد أبعاد الخطاب وضبط حدود النص كما اكتشف من قبل دور الصفر في تقويم عملية الحساب"[1].

وكذلك يبرز توظيف **بناني** للمنهج التداولي في جهود **الجرجاني** في تحليله لمصطلح "التعليق"، فالتّعليق يقوم على مبدأ الإفادة، والمتكلم إنّما يعلق كلمة بكلمة يقصد إفادة السامع معنى لا يعلمه، وعلى قدر أنواع التعليق ودرجاته تأتي الإفادة، وهذا بدوره يطرح قضية العلاقة بين المتكلم والسامع[2]، ويرى **مفكرنا** أنّ هذه العلاقة الكامنة بين المتكلم والسّامع لا تنحصر "في وظائف الكلام المعروفة عند النحاة والبلاغيين كالخبر والاستخبار والأمر والنهي وإنما تتجاوزها إلى دقائق وأسرار طريق العلم بها الروية والفكر، وترجع إلى مبدأ إعلامي محض بالمعنى المتداول اليوم في الدراسات اللسانية" [3].

[1] – المرجع السابق نفسه، ص 247.

[2] – ينظر المرجع نفسه، ص 343.

[3] – المرجع نفسه، 343.

وعن وعيه المنهجي في قراءته لتراث **السّكاكي** وبخاصة كتابه "مفتاح العلوم" فإنّه وفي حال ثبوت وضع **السّكاكي** لمفهوم "مقتضى الحال"، سيكون من أهم الاكتشافات التي ينبغي إضافتها إلى رصيده؛ لأنّ مفهوم الحال الذي لا يزال حتى الآن محل تردد لدى اللسانيين سيعطي للبلاغة العربية وجها جديدا يتمثل في ربطها بقضايا الساعة لأنّ تطبيق الكلام على ما يقتضي ذكره يعني – فيما يعني – تسخير اللغة للتعبير عن الظروف الراهنة التي يعيشها المتكلم والمخاطب والمتغيرة من حين إلى آخر مما يطرح قضية التجديد اللغوي والإبداع الفكري واللساني بصفة عامة"[1]، وبهذا يقفز **بناني** قفزة نحو البلاغة الفاعلة في الفكر والذوق الراهن، وبهذا يتقدم على سابقه **حمادي صمود** بخطوات بعدما استفاد من طرحه اللساني الصرف في الدراسات البنوية.

التلقي والقراءة لفظان جديران بالعناية لكونهما يؤديان الغرض المقصود، هذان اللفظان يظهران في مقاربة بناني للتراث البلاغي، فأين وظف بناني مبادئ هذه النظرية أثناء قراءته للنصوص؟.

إن رؤية **بنّاني** تأتي جرّاء "رحلة طويلة في أعماق البلاغة العربية"[2]، فقد توقف كثيرا عند مصطلحات تعد من صلب نظرية التلقي، من أهمّها مصطلح المتلقي أو السّامع إذ يشير **بناني** إلى أهمية المتلقي في النّصوص التي درسها فقد بين وهو يتفحص بيان الجاحظ، أنّ المتكلم أو الكاتب يجب "ألاّ يؤدي به حرصه على تبليغ خطابه إلى تجاهل حال المستمع أو القــارئ

[1] – المرجع السابق ، 457.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 531.

ويتناسى نشاطه المحدود، ولذلك يتعين عليه أن يضحي أحيانا بتسلسل أفكاره مثلا في سبيل انتباه السامع لتقبل الخطاب"[1].

ويظهر كذلك في قراءته لأعمال الجرجاني وبالتحديد نظرية النظم القائمة على مبدأ التعلق والتعليق، فالتعليق يقوم على مبدأ الإفادة، والمتكلم إنّما يعلق كلمة بكلمة بقصد إفادة السّامع معنى لا يعلمه، وعلى قدر أنواع التعليق ودرجاته تأتي الإفادة"[2]، وهنا تتجلى بوضوح العلاقة القائمة بين المتكلم والسامع.

[1] – بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 390.

[2] – بناني محمد الصغير، البلاغة العربية وأصولها النظرية، ص 343.

الفصـــل الثّالـــث

البلاغة العربية، بلاغة عامة

المبحث الأول:

هندسة الكتاب وغاياته.

المبحث الثاني:

قراءة التّراث البلاغي في ضوء مكتسبات البحث العلمي الحديث.

المبحث الثالث:

مشروع العمري البلاغي وأفق الانتظار.

المبحث الأول:

هندسة الكتاب وغاياته.

1 . 1 : بنية الكتاب.

1 . 2 : أقسام الكتاب وغاياته.

المبحث الثاني:

قراءة التّراث البلاغي في ضوء مكتسبات البحث العلمي الحديث.

2 . 1 : قراءة بنيوية تركيبية.

2 . 2 : القراءة في ضوء نظرية الحجاج.

2 . 3 : الاهتمام بالقارئ (نظرية التلقي).

المبحث الثالث:

مشروع العمري البلاغي وأفق الانتظار.

3 . 1 : قراءة التراث البلاغي : تأويل.

3 . 2 : مشروع الإيقاع.

3 . 3 : مشروع الخطابة.

3 . 4 : مشروع البلاغة العامة.

المبحث الأول: هندسة الكتاب وغاياته

سعى **محمد العمري** إلى تأسيس بلاغة عامة تشمل جميع الخطابات **الاحتمالية المؤثرة**[1] فكان منطلق مشروعه هو التأريخ للبلاغة العربية أصولا وامتدادا، ولعلّ أهمّ أعماله التي اعتبر فيها التأريخ قراءة هو مؤلفه الموسوم بـــ: **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، قرأ من خلاله مشاريع البلاغة ومنجزاتها وأقرّ من خلالها بشمول مشروع البلاغة وعمقه.

وقبل الشروع في الكشف عن تصوره للبلاغة العربية نقـــدم نبـــذة عن حياتـــه: هو محمد بن عبد الله بن حمو **العمري**، ولد سنة **1945** بقرية "الحارة" على ضفاف وادي درعة جنوب المغرب، تعلّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وبعض المتون والمنظومات على يد والده بقرية الحارة، بعد استقلال المغرب التحق بالمعهد الإسلامي بمدينة تارودانت حصل منه بين سنوات **1958** و **1968** على الشهادة الابتدائيـــة ثم الثانوية ثم البكالوريـــا التحق سنة **1968** بجامعة محمد الخامس بفاس، وحصل على الإجازة في الأدب العربي **1972**، وحصل في نفس السّنة على شهادة الكفاءة التربوية للتدريس بالمدارس الثانوية.

اشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية من **1972** إلى سنة**1981**، متابعا تكوينه الجامعي بموازاة التدريس، في سنة **1974** حصل على شهادة استكمال الدروس (شهادة الدروس المعمقة) من جامعة محمد الخامس بالرباط، ثم حصل سنة **1981** حصل على دبلوم الدراسات العليا من الجامعة السّالفة الذكر. والتحق بالتدريس أستاذا مساعدا بكلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، وناقش أطروحة دكتوراه الدولة في الأدب العربي سنة **1989** من نفس الجامعة فرقي إثره إلى درجة أستاذ محاضر، ثم رقي سنة **1993** إلى درجة أستاذ التعليم

[1] - ينظر، العمري، محمد ، أسئلة البلاغة في النظرية والتأريخ والقراءة، ص 18.

العالي، والتحق خلال السنة الجامعية **1995 ــ 1996** بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض أستاذا للبلاغة والنقد الأدبي.

شغل عضوية العديد من المجالس العلمية والجمعيات، فقد أشرف على وحدة التواصل وتحليل الخطاب "مكونات الخطاب وأليات اشتغاله الدراسات المعمقة "**1997-1999**. والدكتوراه **1997-2002**، بكلية الآداب بفاس، وخبيرا معتمدا لدى اللجنة الوطنية لمنْح الاعتماد في الدراسات العليا والدكتوراه التابعة لوزارة التعليم العالي.

كما شارك في الكثير من الملتقيات العلمية، منها: تقديم ورقة حول الإيقاع في القصيدة العربية الحديثة في الملتقى الأول للشعراء العرب المنعقد بتونس بتاريخ **23-25 أكتوبر1997** والمشاركة في ندوة تكريم الأديب المفكر التونسي **محمود المسعدي** المنعقدة بجامعة تونس بتاريخ **11ــ1997/10/12**، بموضوع: الإيقاع تنظيرا وممارسة في أعمال محمود المسعدي، المشاركة في ندوة المصطلح الأدبي من تنظيم المجلس الأعلى للثقافة بمصر أبريل **1998**.

نال **العمري** العديد من الجوائز أهمّها: جائزة المغرب الكبرى للكتاب، عن كتاب تحليل الخطاب الشعري البنية الصّوتية سنة **1990**، جائزة الملك فيصل العالمية، فرع اللغة والأدب في موضوع: الأبحاث التي تناولت البلاغة العربية سنة **2007**[1].

لمحمد العمري مؤلفات عديدة أشهرها: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية **1986**، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر**1990** إتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم **1999**، البلاغة العربية أصولها

[1] – الموقع الإلكتروني لمحمد العمري، http://www.medelomari.net/.

وامتداداتها**1999**، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر**2001**، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**2005** أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة دراسات وأبحاث**2013**، المحاضرة و المناظرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني**2017**.

يحاول بحثنا – في هذا الفصل – تسليط الضوء على جهود **العمري** ومشروعه العلمي كونه يشكل حلقة مهمة من حلقات البلاغيين المغاربة " تونس، الجزائـــر والمغرب".

1. 1 بنية الكتـــاب:

اعتمدنا في دراستنا لمؤلف **محمد العمري البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**[1] على طبعة دار إفريقيا الشرق لسنة **1999**، وهو من أهمّ كتبه التي حوت قراءة شمولية للتراث البلاغي وفق بناء نسقي[2]، انتهى منه سنة **1997**، **وجاءت أقسام الكتاب وغاياته** كالتالي:

1. 2 أقسام الكتاب وغاياته:

1. 2 . 1 مقدمة: وسمّاها "**خطبة الكتاب**" بدل "**مقدمة**"[3]:

هذه التّسمية عودة للتّقليد القديم أراد به **العمري** الابتعاد عن تلك المقدمات الطويلة التي يرى أنّه لا طائل منها[1] وهي التي تتناول الظروف التي كتب فيها البحث، وقد حصر العمري خطبة الكتاب في صفحتين:

[1] – يقصد بالأصول استكشاف العوامل والروافد التي ساهمت في النشأة الأولى للبلاغة العربية، وأرجعها العمري إلى خمسة روافد – سيأتي تفصيلها في هذا المبحث، وهو بهذا يتفق مع بناني في المصطلح بينما يختلف معه في طبيعتها، وأمّا الامتدادات فيعني بها العمري بناء النماذج الكبرى للبلاغة العربية وبهذا فالأصول والامتدادات عمليتان متلازمتان.

[2] – ينظر، العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 9.

[3] – المرجع نفسه، صفحة 5 و 6.

– صفحة خصّها للقرّاء على اختلاف مستوياتهم العلمية يقول: "..هذا العمل يستهدف طوائف من القراء من التلميذ في الثانوية العامة إلى الطالب في الدراسات العليا المتخصصة، إلى اللساني إلى المنطقي والفيلسوف إلى المحامي المجتهد، فضلا عن الباحث المتخصص في البلاغة والأسلوبية"[2] أفصح فيها عن نواياه من الكتاب، فذكر بداية أنّ النية هي الجمع بين البُعدين البيداغوجي والتأويلي[3]، فأمّا البعد الأول فقد تمثّل في تحليل مشاريع لبلاغيين شكلت أعمالهم لحظات حاسمة في التفكير البلاغي العربي كمشروع الجاحظ ومفهوم البيان عنده، وهو مفهوم يلتقي فيه مع **حمادي صمود وبناني** وأمّا البعد الثّاني فيساهم في ربط المشاريع والمنجزات والكشف عن خلفياتها واستكشاف مساراتها الكبرى، كربط مشروع **الجاحظ بابن وهب وأبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي** واعتباره مسارا ينتهي إلى نوع من البلاغة، ثم استدرك فذكر بُعدا ثالثا هو البعد الحجاجي، حاول فيه أن يبرهن على قضايا مشكوك فيها مثل التركيز على مدخل كتاب مفتاح العلوم **للسّكاكي** الذي فك لبسه وفصل في جديته بما حظي من خطاطة جسدها السّكاكي تكون حجة على قوله[4].

وصفحة أبقاها لنفسه فقال عنها: "كلمة لي"[5] – وان كان متأكدا من أنّ القارئ سيقرؤها فضولا [6]، قصّ في هذه الصفحة ظروف كتابة مؤلفه بدء من حمله بشكل مخطوطة لمدة ثلاث سنوات على ظهره في حقيبة فجال بها الرياض وإسطنبول، ليكون التصحيح الأخير لها صيف

---

[1] –ينظر العمري محمد، أسئلة البلاغة، ص 256.

[2] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 5.

[3] – ينظر المرجع نفسه، ص 5.

[4] – ينظر العمري محمد ، أسئلة البلاغة ، ص 258.

[5] – ينظر المرجع نفسه، ص 256.

[6] – ينظر المرجع نفسه، ص 256.

1997 بأكادير المغرب، متمنيا من القارئ إعادة قراءة ما جاء في الكتاب من أصول ومساءلتها[1].

1. 2 . 2 المدخل العام: تشكل في مقدمات وخلاصات[2]:

تناول في المدخل من الاعتبارات اعتبارين جعلا كتابةَ تاريخٍ للبلاغة العربية أمرا ملحا يوما بعد يوم وهي عنده كالتالي[3]:

– اعتبار عام واقعي وتاريخي في الآن نفسه وهو ما تعلق بقلة الدراسات التي أنجزت في هذا المجال وهو بذلك يتقاسم الهمّ مع **حمادي صمود** في ندرة المصادر الجادة التي تعيد للبلاغة مكانتها الحقيقية وطبعا لا يتأخر عنهما **بناني** في ذلك.

– اعتبار خاص قرائي فرضه تغير الواقع من حولنا فتغيرت شروط القراءة وظروفهـــا وبرزت أسئلة جديدة تتطلب أدوات منهاجية جديدة تنطلق من الماضي فتحاوره فالماضي نص مفتوح للقراءة على الدوام.

إنّ هذين الاعتبارين وضحا نوع العتاد القرائي الذي توسل به **العمري** في مشروعه البلاغي، والمسار الذي انتهجه لقراءة التراث البلاغي قراءة شمولية، وهو الأمر الذي استدعاه للنظر في كل من عمل **شوقي ضيف** ممثلا لمرحلة السّرد التّاريخي وتلخيص محتويات الكتب

[1] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 6.

[2] – المرجع نفسه، من صفحة 7 إلى صفحة 32.

[3] – المرجع نفسه، ص 7.

اعتبرها قراءة أولى للتأريخ للبلاغة، وعمل **حمادي صمّود** ممثلا لمرحلة الكتابة من منظور حداثي لساني اعتبرها قراءة ثانية، سيسير على منوالها[1].

إنّ مراجعة واقع الدارس للبلاغة فتح آفاق الطرح عند **العمري** باتباعه استراتيجية البحث عن خطوط الطول والعرض باستكشافها المؤلفات البلاغية التراثية لتحسس مكامن القوة فيها، فقسّم منابت البلاغة إلى الاكتشاف من الداخل والخارج بحثا عن أصولها في منابتها وتربتها، وركزّ بحثه على الأنساق والبنية واستخراج الأنظمة التي تحكم هذه المشاريع ليحاول ضبط المشاريع والمنجزات.

ينتقل **العمري** بعد مدخله العام إلى تقسيم كتابه إلى قسمين أساسين بارزين هما: الأصول والامتدادات.

1. 2 . 3 القسم الأول[2]: تضمن منابت البلاغة وتربتها وعدّها خمس منابت توزعت بين خمسة فصول رسمت مسار تفكير العرب البلاغي:

1- الفصل الأول جاء بعنوان "البلاغة والنّقد التطبيقي" مثّل المرحلة الأولى من التفكير البلاغي، اهتمت باستكشاف الشّعر من داخله، ولا شك أنّ للشعر حضورا بارزا في البلاغة العربية، إذ هو خزّان الشّواهد بمختلف نصوصه مقارنة مع بقية فنون الأدب وتمثّل حضوره في عمل **العمري** من خلال عمليتين مهمتين الأولى عملية النقد أو الحكم على القصائد الشعرية، والثانية من خلال المختارات الشعرية التي غصّت بها هذه المرحلة، وبهما تبلورت عملية التفكير البلاغي في أولى مراحله.

[1] - ينظر المرجع السابق نفسه، ص 8.

[2] - ينظر المرجع نفسه، من ص 37 إلى ص 285.

2- **الفصل الثاني:** اختار له عنوان "البلاغة ومعيرة اللغة"، اهتم دارسوها بالمنبتين القرآن من خلال "المجاز" والشّعر من خلال" الضرورة الشعرية"، إذ "يمثل مجاز القرآن عملية الغربلة المنهجية الأولى التي ستسمح باستخراج مجموعة من المقولات البلاغية"[1] واعتبر وضع النّحو المناسبة الأولى التي أتاحت بل تطلبت حديثا منظما يقابل بين الشعر والكلام من حيث البنية اللسانية ويُعطي للشعر بسبب ذلك ما لا يعطى للكلام من حرية التصرف في البنيات التركيبية والدلالية مما يدخل في باب ما يحتمل الشعر، أو ما يجوز في الشعر للضرورة أو الضرائر الشعرية إلى غير ذلك من التسميات الدائرة في الموضوع "[2].

يرى العمري في الضّرورة الشّعرية أنّها جزء من بناء النّحو تقاسمه تشكيل البناء اللغوي تركيبا ودلالة، فكما يشتركان التصرف في الكلمة بحذف جزء منها، فهما يشتركان أيضا في تركيب العلاقات الدلالية بواسطة التقديم والتأخير وكذا الحذف والإبدال عبر التّصرف في الأوجه الإعرابية.

3- **الفصل الثالث:** يركز **العمري** في فصله الثالث على البلاغة والنّص المقدس كما **ذكر** وعنوان فصله يعني به القرآن الكريم الذي جعل منه منهجا في توجيه مبحث البلاغة، وقد التزم **العمري** في حديثه عن القرآن الكريم أنّه لن يخوض في الجوانب الاعتقادية إلاّ في حدود انعكاسها على الجانب التّطبيقي العملي الذي تمخّض عنه البحث البلاغي وحصره في أمرين: الدفاع عن النّص القرآني ودفع الشبهات عنه وقصد به التنزيه، ثم بيان وجه الإعجاز وقصد به بيان المزية وأمرها، وهو الفصل الذي يستهدف قضايا انسجام النص القرآني دلاليا وتركيبيا.

[1] - ينظر المرجع السابق نفسه، ص 92.

[2] - العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 117.

4-الفصل الرابع: يحمل عنوان "المعرفة والإقناع: من البيان إلى البلاغة"، عنى فيه بكتاب "البيان والتبيين" **للجاحظ**، وعدّه أصلا من أصول البلاغة العربية، هذا الأصل أثار سؤال البلاغة من السؤال المعرفي.

عالج **العمري** في هذا الفصل نزوع الجاحظ في مفهوم البيان وقراءة **ابن وهب لـــــه** والتي اعتبرها" أكمل قراءة بالمخالفة والتّكميل لتصور **الجاحظ**[1].

5- **الفصل الخامس:** تضمن "القراءة العربية للبلاغة اليونانية"، عُني بالتّأثير الأرسطي في البلاغة العربية معتبرا إياه من العوامل المساعدة في تعميق سؤال البلاغة وهذه المثاقفة ظاهرة الأثر في بداية المشاريع وطرح السؤال، وهو آخر أصول البلاغة عند **العمري** وعلّل سبب وقوفه عند البلاغة اليونانية من كونها حملت أعمالا مازالت تفرض حضورها على الفكر البلاغي العالمي، ويعني كتابي **أرسطو** " فن الشعر" و " فن الخطابة"، ليخلص إلى التأثير اليوناني في البلاغة العربية كان يسيرا.

1. 2 . 4 القسم الثاني[2]**:** تناول فيه الامتدادات وسمّاها "النّماذج الكبرى"، والتي توزعت على أربعة فصول:

1 – **الفصل الأول:** تضمن "مقدمات عامة: ممهدات وخلفيات"، حوى مبحثين، عالج في الأول المحاولات الأولى لبناء بلاغة عامة قبل القرن الخامس، فتحدث عن كتاب "الصناعتين" **لأبي هلال العسكري** إذ عدّه أوّل محاولة جمع صاحبها بين بيان **الجاحظ** وبديع **ابن المعتز**، و بالرغم من ثناء **العمري** لكتاب الصناعتين إلا أنّه لم يعتبره أحد النّماذج الكبرى معللا ذلك بكونه "أقرب

[1] – ينظر المرجع السابق نفسه، ص 211.

[2] – ينظر المرجع نفسه، من ص 285 إلى ص 511.

إلى التلفيق منه إلى التأسيس على خلفية ورؤية منسجمة"[1]، وقد حلل **العمري** كتاب "الصناعتين" محددا وظيفة البلاغة فيه وملامح البلاغة عند **هذا الأخير**، لينتقل إلى كتاب "نقد الشعر" **لقدامة بن جعفر** إذ رأى أن عمل **قدامة** يحمل الطابع البنائي، فالمكونات القائمة والتـــي ذكرها **قدامة** لم تطرح في شقها الوظيفي وهذه المكونات هي: العروض والوزن، القوافي والمقاطع، الغريب واللغة، المعاني والمقاصد، ويرى **العمري** أنّ النّاس قد عنوا بهذه المكونات، وأنّ **قدامة** قد ندب نفسه لوصفها وصفا وظيفيا وتركيبها تركيبا تفاعليا وظهر ذلك في تعريفه للشّعر بأنّه: "قول موزون مقفى يدل على معنى"[2].

يمهّد المبحث الثاني عنده لتحليل عمل كل من **الجرجاني وابن سنان الخفاجي** فتناول الخلفيات الدينية والمذهبية لمشروعيهما البلاغيين كون **الجرجاني والخفاجي** انطلقا من وعي مذهبي وسعى كل منهما ليدافع عن مذهبه: **فالخفاجي** كان على مذهب الصّرفة إلا أنّه عمل على مذهب المعتزلة في مشروعه، وبذلك ارتكز على الألفاظ، ونسف جلّ التّراث المعرفي البلاغي على امتداد خمسة قرون، ووقع **الجرجاني** في حرج بتجاوزه الأصوات في مشروعه، يقول **العمري** وهو يتحدث عن العوامل المساعدة في نشأة البلاغة أنّ عمل عبد القاهر الجرجاني قائم على: "الإقصاء: إقصاء الأصوات والمفردات والتخبط في قضية الصدق والكذب"[3].

2- **الفصل الثاني** جاء بعنوان: "بين الغرابة الشّعرية والمناسبة التّداولية"، ودرس فيه **العمري** كتابي **الجرجاني** " أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز"، إذ انتقل في كتاب "أسرار البلاغة" من خصائص القول الشّعري وتحليل قضية الصدق والكذب فيه، فبنى عمله على عنصرين

[1] – العمري محمد، البلاغة العربية اصولها وامتداداتها، ص 289.

[2] – المرجع نفسه، 306.

[3] – المرجع نفسه، ص 26.

متعارضين هما الغرابة المفيدة والوضوح غير المفيد، عنى بالأولى اللبس والإبهام على حد تعبير الجرجاني، بينما عنى بالوضوح الحقيقة، إلى المناسبة التداولية في كتاب "دلائل الإعجاز" والتي حاول فيها استيعاب المادة الانزياحية وتهذيبها بجعلها مشروطة بالنظم[1]، وهذا الانتقال لم يغير من الموضوع الذي يريده الجرجانـــي فالقضية واحدة في الكتابين إذ بحث في الأسرار عن "معايير بلاغة الشعر دون أن يلح على الغرض الإعجازي، أمّا في الدلائل فبحث عن معايير بلاغة الشعر باعتباره معجزة العرب في البلاغة، لينتهي من تحصيل هذه المعايير إلى تفوق القرآن الكريم"[2]، وصولا إلى مشروع كل من ابن سنان الخفاجي والسكاكي وحازم القرطاجني فعدّ هذا الفصل امتدادا لبناء تصور عام للبلاغة العربية.

3 – **الفصل الثالث** بعنوان: "بلاغة الصّحة والتناسب"، وخصّه **العمري** لتحليل كتاب "سر الفصاحة" **لابن سنان الخفاجي**، هذا الكتاب الذي أعاد به صاحبه المكانة للمستوى الصوتي متأثرا بمذهبه الاعتزالي ونافيا أيّ دليل على ما قال به الأشاعرة من أنّ الكلام حديث نفسي من الدلالة والمعاني، يقول ابن سنان الخفاجي: "والذي يدل على أنّ الكلام ليس بمعنى في النفس أنه لو كان معنى زائدا على المعاني المعقولة الموجودة في القلب كالعلم وغيره لوجب أن يكون إلى معرفته طريق من ضرورة أو دليل"[3]، بينّ **العمري** في هذا الفصل أنّ أسس المنجز البلاغي عند **ابن سنان** يرتكز على أربعة عناصر هي مقومات الكلاسيكية وهي: المحافظة على الأعراف والسنن، الاعتدال، الانسجام التناســب، وأنّ مادة كتاب "سر الفصاحة" قائمة على محورين

[1] – ينظر المرجع السابق نفسه، ص 354.

[2] – المرجع نفسه، ص 354.

[3] – الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1/1982، ص 40.

أساسيين هما: الصحة والاعتدال، والتناسب والانسجام، وبهما تبوأ مكانة أحسن وأجرأ محاولة لصياغة مشروع للبلاغة الصوتية[1]حسب تعبير **العمري**.

4 – **الفصل الرابع** حمل عنوان: "البلاغة المعضودة بالمنطق والنحو"، وأفرد هذا الفصل لكتاب "مفتاح العلوم" **للسّكاكي**، وكتاب" منهاج البلغاء وسراج الأدباء" **لحازم القرطاجني**.

بيّن العمري أن السكاكي قصد علما واحدا هو علم الأدب، كما وظف مصطلحين من مصطلحات الدرس اللساني الحديث وهما مصطلحي: "الانزياح" و"الانزياح الدلالي" وان كان قد وظف مصطلح الانزياح في معرض حديثه عن معيرة اللغة وعلاقته بالبلاغة ورأى أنّ أول مجال لبحث الانزياحات التركيبية كان في مبحث المجاز، فإنه أعاد توظيفه مع جهد السّكاكي البلاغي كون هذا الأخير قد تضمن عمله البحث في نظرية المعنى، وأن مصطلح الانزياح عند السكاكي حسب العمري مرتبط بعلم المعاني، وأما المصطلح الثاني "الانزياح الدلالي" فأشار العمري أن السكاكي قايض هذا المصطلح بالدلالة الوضعية وقصد به بعض المباحث البلاغية المتضمنة في علم المعاني كخروج الأمر والنهي والاستفهام عن معنى ظاهر اللفظ "[2].

يتجاوز **العمري** خاتمة البحث، مخالفا العرض السائد في تأليف الكتب ليعوض ذلك بملحق خصّه لمحاولة بناء القسم الأول المفقود من كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" وسمّاه محاولة بناء، واعتمد في ذلك على ثلاثة مصادر: أولها الإحالات المتضمنة داخل كتاب المنهاج، وثانيها الاهتداء بكتاب "سر الفصاحة" **لابن سنان** والذي احتذى به **القرطاجني** في مجال الألفاظ، وثالثها بعض النّصوص التي نقلها مؤلفون متأخرون اطلعوا على القسم المفقود ونقلوا منه[3]، وبهذه

[1] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 413.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 493.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص 512 .

المصادر يصل **العمري** إلى وضع خطاطة[1] تشكل تصوّره للقسم الأوّل المفقود من كتاب **القرطاجني** وهي على النحو التالي:

القسم الأول المفقود من منهاج البلغاء وسراج الأدباء حسب تصوّر العمري

[1] – ينظر، المرجع نفسه، ص 518.

[2] – ينظر المرجع نفسه، ص 518.

المبحث الثاني: قراءة التراث البلاغي في ضوء مكتسبات البحث العلمي الحديث

2 – 1 : قراءة بنيوية تركيبية.

2 – 2 : القراءة في ضوء نظرية الحجاج.

2 – 3 : الاهتمام بالقارئ (نظرية التلقي).

المبحث الثاني: قراءة التراث البلاغي في ضوء مكتسبات البحث العلمي الحديث

2. 1 قراءة بنيوية تركيبية:

يعتبر مشروع **العمري** البلاغي امتدادا لمشروع سابقيه، وفي ضوء مكتسبات البحث العلمي الحديث يرشح كقراءة أولى وهي قراءة بنيوية مغاربية وفي ضوء الطروحات العربية عامة تعتبر هذه القراءة القراءة الثانية بعد قراءة **شوقي ضيف**.

يسعى العمري في تأريخه الشامل للبلاغة العربية، مراجعة مفهوم البلاغة مراجعة عامة شاملة، بعد قراءة متأنية لمشاريع العرب ومنجزاتهم ومستأنسا بالنظريات الغربية الحديثة، هذا التّصور حمل في طياته أدوات منهجية استعان بها **العمري** في مشروعه البلاغي من قبيل القراءة البنيوية التركيبية، فكانت الانطلاقة من التّــراث يقول **العمــري**: "ولذلك كان من همومي الموجهة حين تصديت لإعادة قراءة تاريخ البلاغة العربية استخراج أنساق المؤلفات في حوار بين المشاريع والمنجزات"[1].

- **جاذبية التّراث والحداثة:**

شغلت ثنائية التراث والحداثة اهتمام الدارسين البلاغيين المعاصرين، حتى أضحى من الصعب على كل باحث بلاغي في التراث الفصل بين هذه الثنائية، فهو: "بين جاذبيتين جاذبية التراث وجاذبية المعاصرة بين البلاغة القديمة والشّعرية الحديثة"[2].

[1] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 16.

[2] – محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر، الكثافة، الفضاء، التفاعل، الدار العالمية للكتاب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1/ 1990، ص 15.

ينطلق **العمري** من نظرة ذات بعد عالمي، فكل همّه إدراج البلاغة العربية في الموروث الإنساني العالمي، وهو على يقين أنّ غيابها أو تغييبها هو إفقار للموروث المعرفي الإنساني فجديده حين يتحدث عن البلاغة القديمة لا يقتصر على البلاغة العربية، بل يضمّ إليها البلاغة الغربية القديمة، ممثلة فيما وصلنا مما اقتصر على البلاغة اليونانية وبالتحديد كتابي **أرسطو** "فن الشعر" و"فن الخطابة"، وهو على وعي تام بأهميتها كونها المعين على استيعاب كل التّراث البلاغي[1]، هذه الجاذبية كما عبّر عنها **العمري**، فرضتها أسئلة الراهن، ومدى اقتدار حاضرنا على محاورة ماضينا، لأنّ "التراث ليس إجابة جاهزة عن أسئلة الراهن إنّه مجرد وعاء وذاكرة وبمقدار استيعاب مضمون هذا الوعاء وجوهره تتوافر القدرة الكافية لمواجهة أعباء الحاضر والمستقبل وبهذا لا يصبح التراث حسب ما يزعم البعض معيقا أو كابحا للتقدم والتطور"[2] ولاستيعاب محتوى هذا الوعاء عمل **العمري** على الإحاطة بكل جوانب التراث لضبط آلية قراءته، مستعينا بالمناهج العلمية الحديثة ومستأنسا بأدواتها الإجرائية، فالعودة للتراث وقراءاته سيمكّن من استخراج لآلئه واكتشاف مكنوناته التي تفند اعتبار الماضي معيقا للتطور، لذا تحسس العمري قراءة التراث بمنظار عصره لقوله: "لا يمكن أن يقرأ القديم إلا من خلال أسئلة عصر القراءة أي العصر الحديث، ولا يكتمل فهم الظواهر الإنسانية الحديثة إلا بمعرفة أصولها وإرهاصاتها القديمة"[3].

إنّ قارئ مؤلف **محمد العمري**: "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"، يجده نموذجا خالصا للقراءة الحداثية ومنجزاتها التي يحصر من خلالها أسئلته حسب الراهن تنفذ إلى عمق مشاريع

[1] – ينظر العمري محمد، أسئلة البلاغة، ص 141.

[2] – إيهاب مجيد جراد، القراءة المعاصرة للتراث النقدي والبلاغي، دار غيداء، عمان الأردن، ط1/ 2014، ص45.

[3] – العمري محمد، أسئلة البلاغة، ص 283.

القدماء، فقد أخذ هذا المؤلف من عمره الكثير، لا ليعيد قراءة بنية التراث للتخلص من الحاضر كما هو الشأن عند الاتجاه **التقليدي**[1] الذي يداري عجزه بتقديس التراث وجعل إعادة إنتاج القدماء غاية في ذاتها"[2]، ولا يعني انتقاده للتقليديين تأكيد وقفة المنبهر المنبطح الذي أعمته أشعة شمس الغرب السّاطعة، فيؤمن بثقافتها جملة وتفصيلا، وإنّما يتوسط **العمري** الموقفين، إذ رأى أنّ: "علاقتنا بالماضي هي علاقة نقدية حوارية تأبى التقوقع في الماضي كما تأبى رفضه جملة"[3]، هذه النظرة التوفيقية، كانت محل اهتمام **العمري**، وبداية رسم المعالم الأولى لمشروعه العلمي، ومن هنا اعتبـــر التأريخ: قراءة، فبدأ بقراءة التراث البلاغي في مظانه الغربية، دون أن يتجاوز مفهوم النقد، لأنّهما متلازمان والربط بينهما ضرورة تمليها قاسمهما المشترك وهو الاشتغال على النص الأدبي.

هذا الربط الذي كان من بين أهدافه تثمين المشاريع البلاغية التراثية بعد قراءتها بوسائل العصر، ولا شك أنّ هذا التوجه حفز كثيرا من الباحثين لربط العلاقة بين البلاغة والنقد العربيين وبين المنجز اللساني في العصر الحديث[4].

يقر **العمري** أنّ ثنائية الحاضر والماضي، ثنائية متلازمة لا يمكن الفصل بينهما أو التخلي عن إحداهما لأنّ "الحاضر يضيء الماضي ويكشف جوانب منه كانت جنينية، وفي طور التخلق مشوشة بشوائب وعناصر خارجية، والماضي يفسر مسار الظواهر الحديثة في اندفاعها

---

[1] – الاتجاه التقليدي المتمسك بالتراث ينتقده العمري ويعتبر أصحابه كسالى عاجزين عن استيعاب التراث الانساني حيث يسقطون القدسية على التراث ويقدحون في المناهج الحديثة باعتبارها إنتاجا غربيا تجب معاداته.

[2] – العمري محمد، أسئلة البلاغة، ص 247.

[3] – المرجع السابق نفسه، ص 247.

[4] – ملاح بناحي، البلاغة الأصول الممهدات الامتدادات محمد العمري والمشروع الجديد في التأريخ للبلاغة العربية مجلةّ (سيمائيات)، مختبر السيمائيات وتحليل الخطابات جامعة وهران –1– أحمد بن بلّة المجلد4 / العدد 1، سنة 2013، ص 167،186.

وانحسارها ويرفع عنها القدسية، كما يرفع الحاضر أسطورية الماضي"[1] فلا قراءة خارج العصر، ولا قدسية للتراث وإنّما هي حلقات وصل تربط الماضي بالحاضر، والاستعانة بالمناهج الحديثة وأدواتها الإجرائية باتت ضرورية للكشف عن جوانب ظلت مظلمة.

هذه الجوانب يمكن الوصول إليها بالإجابة عن أسئلة التأثر والتأثير بين الثقافتين العربية والغربية، وكلاهما يستدعي الآخر لفهمه، لذا يصمم **العمري** على إزالة اللبس عن مفهوم الحداثة وبُعدها الحضاري، ويقرّ **محمد مشبال** أنّ الحداثة :" كما يرتضيها **العمري** ويسعى إليها على امتداد مشروعه العلمي البلاغي، ومحيطه الثقافي لا تعني بحال، رفض التراث العربي الإسلامي وطيّ صفحاته، بل وسطا بين الأصولية الحداثية والأصولية التراثية"[2]، والمقصود بالأصولية في هذا السّياق الاختيار بين اثنين لا ثالث لهمـــا وبمعادلة بسيطة: (إمّا...وإمّا)[3]، وهذه الوسطية اشتغل عليها **العمري** طيلة مشواره في مشروعه العلمي للبلاغة العربية أصولا وامتدادا.

فقد استعان بالمناهج الغربية استعانة الانتقاء بما يتناسب وخصوصية الدرس البلاغي العربي مراعيا في ذلك الظروف والملابسات الخاصة والمنشئة لكل من التراث البلاغي والدراسات اللسانية الغربية المعاصرة، وقد اختار لمشروعه العلمي نماذج يرى بأنّها نماذج تقتضيها طبيعة الحوار بين التّراث البلاغي العربي وبين المقترحات النظرية الحديثة رغبة في الوصول إلى نموذج حديث حقا لا يلغي المرجعية العربية.

[1] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 245.

[2] – ينظر، محمد مشبال، البلاغة والخطاب، أبحاث مهداة للدكتور العمري محمد، دار الأمان، الرباط المغرب، ط1 / 2014 م ص 276.

[3] – المرجع نفسه، ص 276.

يعيب **العمري** كل من ينظر للتراث البلاغي من زاوية واحدة، ويلغي الآخر ويعتبر هذا إجحافا، ويتأسف لذلك لأنّنا: "نقبلُ اقتباس ثمار هذا النّور في كل ما يتعلق بحاجاتنا المادية (في أكلنا ولباسنا وعلاج أجسامنا ومساكننا ووسائل نقلنا و تواصلنا..الخ) ونرفض أن يُومض نوره في عقولنا. نريد الثّمارَ المادية للعلم ونرفض أن نعاني أسئلته التي تزعزع سكوننا"[1].

فمن منظور **العمري** يرى أنّ تمكين أنفسنا من أسئلة البلاغة –اليوم– يستدعي الاستماع للثقافة الغربية من غير عقدة نقص، وألاّ نعتبر سلوكنا خضوعا وانبطاحا، بل هو تصرف يوحي إلى قمّة التفاعل المثمر، ولا يمكن تصور بلاغة عربية مكتملة تحمل في ثناياها كل أسئلة الراهن، دون أن نحاورها مع نظيرتها في الثقافة الغربية.

فلا شك أنّ هناك جوانب مغمورة في تراثنا البلاغي كشفها "سيساعد على قراءة شاملة للبلاغة العربية، تظهر غناها وأصالتها وقدرتها على المساهمة في بناء بلاغة حديثة ذات قدرة وصفية عالية، وستُظهر هذه القراءة، حين تتحقق، أننا قد نستعير من الجيران أشياء موجودة في مكان ما من منزلنا"[2].

إنّ تشبث **العمري** بقراءة البلاغة الغربية يراه مطلبا في فهم التراث العربي، أملته عدة اعتبارات لعل أهمّها القراءة الشمولية التي احتضنها، وأعدّ لها العدة، ولعلّ أولى أعماله التي استفاد منه في مشروعه البلاغي وكانت ممهدة له: ترجمة كتاب: "بنية اللغة الشعرية" لـ**جان كوهن(ت1994)** باعتبار المستوى الصوتي أولى مستويات التحليل، ودراسة **هانريش بليث(ت 1985)** "البلاغة والأسلوبية" الذي أدمج المجالين في قالب سيميائي عام.

[1] – المرجع السابق نفسه، ص 276.

[2] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 290.

إذا كانت البنيوية منهجا شموليا نتجت عنه جميع المناهج المعاصرة التي تعنى بتحليل الخطابات والخطاب الأدبي بالخصوص، فإنّ هدف **العمري** من انتهاجها كمسلك للترجمة هو السعي إلى بلاغة كاملة والبحث عن الأنساق التي شكلت التأليف البلاغي قديما، إذ اعتبر "أنّ للمعالجة البنيوية اللسانية جدوى كبيرة في استخراج الأنساق وتفسير الفعالية"[1].

وبهذا يؤكد مساعي **حمّادي صمّود** في إمكانية قراءة التراث في ضوء مكتسبات البحث العلمي الحديث لا سيما مكتسبات اللسانيات.

تجلّى اعتماد **العمري** للمنهج البنيوي فكان أثره ظاهرا في كتابه "**البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**" أكثر من أي مؤلف آخر، بسبب درسه القائم على تحليل بنياتِ المدوّنات البلاغية التي اشتغل عليها لكشف أنساقها الداخلية، حيث استثمر منهجه البنيوي لما يسعفه من بناء تصور عام للبلاغة في مظانها الغربية والعربية على السّواء.

سلك **العمري** هذا المنهج في بداية مشروعه، إذ اعتبر أنّ "الأسئلة التي تطرحها القراءة تتطلب مبدئيا معالجة بنيوية تقوم على التحليل والإحصاء، كما تتطلب معرفة سوسيو- أدبية فهي قراءة تركيبية تعتمد النّظرة الشمولية، تفهم السّابق من اللاحق واللاحق من السّابق"[2]، وبلوغ الشّمولية في قراءة التّراث البلاغي لا يتأتى إلاّ بتحليل دقيق وإحصاء واختيار لنماذج تمثل أحسن تمثيل ما ألف في التراث، لذا اعتبر **العمري** من ضرورة معرفة ما سيؤول قبل تأويله وما سيحصى قبل إحصائه، لأنّ هذه العملية سينبني عليها التأويل والتفسير لاحقا وإلا ستبدو "الكثير

[1] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 9.

[2] – المرجع السابق نفسه، ص 10.

من نتائج التأويل والإحصاء عبثية نتيجة عدم قيامها على عملية بنيوية وصفية دقيقة"[1]، وهذا ما يقرّ به اللسانيون المحدثون.

استوعب **العمري** المنهج البنيوي بعد قراءته ومحاولاتـــه في الترجمة أهمّهـــا: "**بنية اللغة الشعرية** لجان كوهين**1994**، وكتاب "**البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص**" هارنيش بليث **1999**.

والناظر في أعماله بداياته الأولى لمشروعه البلاغي يتحسس معالم المنهج البنيوي من ذلك دراسته اللغة الشّعرية بدءً من المستـــوى الصوتي فهو يعتبر أنّ المستوى الصّوتي الذي يعاني من الإهمال يفسر خمسا وسبعين في المائة **(75%)** من جمالية القصيدة العربية القديمة كما بيّنت **ابتسام بن خراف**، في مقالها الموسوم بـــ"تلقي النص البلاغي عند محمد العمري مقاربة وصفية تحليلية[2]. ويؤكد أيضا **محمد مشبال** توظيف **العمري** البنيوية اللسانية في كتابيه "تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية" الصادر سنة **1990** وكتاب "اتجاهات التوازن الصوتي في الشّعر العربي القديم"[3]، الصادر سنة **1994**.

وقد جُمع الكتابان في كتاب واحد عند طبعهما طبعة ثانية، بعنوان: "**الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية**" صدر سنة 2001.

يتضمن الكتاب الأول المادة الصّوتية الإيقاعية المبثوثة في البلاغة العربية وأثرها في تطور الدرس البلاغي العربي، كما يبين مدى غنى التراث البلاغي العربي وقدرته على توفير

[1] – محمد عبد البشير مسالتي، خطاب البلاغة الأنساق المتصارعة وجدل التأويل، ص 256.

[2] – ابتسام بن خراف، تلقي النص البلاغي عند الدكتور محمد العمري مقاربة وصفية تحليلية، مجلة قراءات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها جامعة بسكرة، العدد 5 / 2013، ص 47.

[3] – محمد مشبال، البلاغة والخطاب، ص 278.

المادة اللسانية الواصفة للنّص الشعري، ويدعو إلى إعادة النظر في الأحكام المتسرعة القاضية بمعيارية البلاغة القديمة وعجزها عن المساهمة الوصفية الدقيقة، كما ينبه المحافظين إلى جدوى استعمال المناهج الحديثة في قراءة التراث العربي القديم، ويدفع أي تخوف من قبلهم، هذا الأمر استثمره **حمادي صمود** قبله، وعليه تكون قراءة **العمري** امتداد لسابقيه.

أمّا الكتاب الثّاني الموسوم بـــ: "اتجاهات التوازن الصوتي في الشّعر العربي القديم فيعطي خطة لقراءة التراث الشعري العربي في إطار النظرية المبسوطة في الكتاب الأول، إنّه مساهمة في كتابة تاريخ للأشكال الأدبية : يقع بين البلاغة وتاريخ الأدب، وهو يقدم خطة شاملة قابلة للتوسيع بالتطبيق على الأدب العربي في مختلف عصوره.

أمّا الكتاب الأخير المعنون بـــ: "**الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية**" الذي لا يعني به المفهوم العروضي للصوتيات، وإنّما يعني كل التجنيسات البديعية، فهو يدخل في إطار قراءة جديدة لتاريخ الفكر البلاغي العربي، وهو الكتاب التمهيدي الذي سبق كتاب "**البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**"، الذي يعكس منهجه البنيوي بشكل واضح، إذ اتخذ صاحبه من التحليل البنيوي "منهجا لتحليل بنيات المؤلفات البلاغية، ناقلا بذلك الرصيد البلاغي العربي من وضعية البنية التاريخية الجامدة المرتبطة بعصرها إلى حلقة دينامية الأسئلة الإنسانية التي يتصل أولها بآخرها تجاوزا و تعارضا وتقابلا"[1].

وبهذا يعتبر **العمري** مستكملا لمشروع سابقيه، كونه استدرك الناقص عند القارئين وكشف جزء مهما من التراث أهمل درسه "الجانب الصوتي" لذلك اعتبر بلاغة الجرجاني مختزلة، وقد اشتغل **العمري** على مدونة تراثية ضخمة، استأنس فيها بالمنهج البنيوي وهو يتعرض لكل

[1] – ابتسام بن خراف، تلقي النص البلاغي عند الدكتور العمري محمد، ص 49.

القضايا، بمختلف تمظهراتها الإيديولوجية والمذهبية وحتى الفلسفية، وهو ما تعكسه مسمّيات المدوّنات التي اشتغل عليها من مثل: الصّناعتين، نقد الشعر، دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة منهاج البلغاء،....

2. 2 القراءة في ضوء نظرية الحجاج:

انتبه **العمري** مبكرا إلى دور الحجاج في قراءة النّصوص البلاغية والخطابية فبعد أن اطلع على جهود اللسانيين والمناطقة الغربيين بدء من أرسطو الذي يعتبره نقطة الأساس الأولى لمشروعه البلاغي، والذي خصص له حيزا في كتابه **(البلاغة العربية أصولها وامتداداتها)** يمتد عبر ثلاثين صفحة، بحث فيها سبب تركيزه على فنّ الشّعر وإشكالية قراءة كتاب **(**فن الشعر**)**، كان البحث عن وجود نظائر عن مختلف الأبعاد البلاغية الغربية في التراث البلاغي هو شغله الشاغل وبخاصة البعد الحجاجي الإقناعي الذي لاحظ أنّه مهمل في الدراسات البلاغية، فالتراث البلاغي ليس مخزونا من الإمتاع أو التخييل فحسب بل هو الإقناع والحجاج كذلك، وهذا ما دفع **مفكرنا** إلى الاهتمام بالمنهج التّداولي في مشروعه العلمي، ويظهر ذلك جليا في حديثه عن بُعدين تداوليين:

2. 2 .1 البعد المقامي المنطقي:

أمّا البعد الأول فبُعد مقامي منطقي، يعني به المقام الخطابي المتعلق بالمجال السيكولوجي والاجتماعي، وتضمنه الفصل الرابع من القسم الأول في كتابه **البلاغة العربية أصولها**

وامتداداتها[1]، أين تناول مشروع الجاحظ في كتابه : البيان والتبيـــن فيرى أنّ مادته شملت ثلاثة محاور:

1- وظيفة البيان وقيمته: تمثل المحور الأول تحدث فيه عن طبيعة البيان وقيمته من خلال تعريفه وربطه بوظيفة الفهم والإفهام والدفاع عن الخطابة وما يتصل بها كونها الفن المسعف لأفكار مذهبهم الاعتزالي، وبهذا يعزز **العمري** النتيجة التي توصل **حمادي صمود** كون الجاحظ أخذ من كتاب أرسطو "فن الخطابة" ما يخدم خصائص الخطابة العربية[2].

2- العملية البيانية وأدواتها: المحور الثاني تطرق فيه إلى ن تحدث عن المقام الخطابي وأنواع الأدلة على المعاني: "اللغة، الإشارة، الخط، العقد ...".

3- قيمة البيان العربي وهو المحور الثالث عرض فيه قيمة البيان وتاريخه، فدافع عن البيان العربي، وهذا البعد "هو الذي اهتم به أرسطو كثيراً في الخطابة "[3]، وبهذا يقرّ **العمري**: "إنّ هذا البعد هو أحد الأبعاد الأساسية في البلاغة العربية، وهو بعد جاحظي في أساسه، وأنّ تخلي البديعيين عنه في مرحلة لاحقة أدى إلى اختزال البلاغة العربية وتضييق مجالها. وتحظى نظرية التأثير والمقام حاليا بعناية كبيرة في الدراسات السيميائية، ومن ثم الشروع في إعادة الاعتبار إلى البلاغة العربية تحث عنوان جديد: هو التداولية"[4].

ولعل اسهامات **الجاحظ** في بلاغة الإقناع، كان مردّه إلى أمرين: الأول إجماع الباحثين والنّقاد العرب على الدور التأسيسي والريادي الذي اضطلع به **الجاحظ** في تشكل البلاغة العربية

---

[1] – ينظر، العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 189.

[2] – ينظر، صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، ص 74.

[3] – مسالتي، محمد عبد البشير، خطاب البلاغة الأنساق المتصارعة وجدل التأويل، ص 270.

[4] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 293.

فحمادي صمود مثلا يعتبره المرتكز الأساس في تأسيس البلاغة، والأمر الثاني: "أنّ الجاحظ رجل محاجة ومناظرة ومتكلم عارف بتصاريف الكلام ووجوه الاحتجاج"[1].

2 . 2 . 2 البُعد التداولي اللساني السّياقي:

وهو ثاني البعدين في اهتمام **العمري** بالمنهج التداولي في مشروعه العلمي، هذا البُعد يهتم بملاءمة العبارة للمقاصـــد فهذا المبحث غني جدا في البلاغة العربية وهو الذي صاغهُ **السّكاكي** في أعقاب **عبد القاهر الجرجاني**، واعتبره مركزاً للبلاغة ولبّا"[2]، ونقرأ هذا البعد جليا في الفصل الثاني من القسم الثاني من كتابه البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، حين قدّم كتاب "**أسرار البلاغة**" على أنّ مفهوم التخييل أو الغرابة الشعرية قد هيمنا عليه، وبيّن كتاب "**دلائل الإعجاز**" الذي هيمن عليه مصطلح النّحو والإعراب، وبهما شكّل مفهوم النّظم الذي يعني به: "التفريق بين استعمال اللغة بقصد الإشارة، واستعمالها بقصد التعبير عن الانفعال"[3] لأن النّظم عند **الجرجاني** هو توخي معاني النّحو واحكامه فيما بين الكلم، وتعلّق بعضها من بعض، ولا مزية للفظ على المعنى، ولا المعنى على اللفظ.

يظهر البُعد التداولي في الفصل الرابع من القسم الثاني لكتاب **العمري**، تحت عنوان: "البلاغة المعضودة بالنّحو والمنطق"، وذلك في معرض حديثه عن المنجز من مشروع **السّكاكي** الذي انشغل بتعريف النظم، إذ يعتبر **العمري** أنّ "النّظم أساس البلاغة المقامية أيّ بلاغة النجاعة

[1] – عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط2013/1، ص 117.

[2] – المرجع نفسه، ص : 118.

[3] – فؤاد زرواق، محمد العمري قارئا لمنهج تأليف عبد القاهر الجرجاني، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف 2 مجلد16 عدد 03، 2019، ص : 202.

التواصلية، أو بعبارة أخرى علم الأدب"[1]، وبقراءة البعدين "الخطابي والشعري "يحضر السّؤال التالي: ما العلاقة بين الخطابة والشّعر؟.

للإجابة عن هذا السؤال كان لزاما على **العمري** أن يعود إلى **أرسطـــو** ويقرأ له فنّي "الخطابـــة" و "الشّعر"، ويبحث عن العلاقة الكامنة بينهما، "فلقد تنبه أرسطو لذلك ففصل بين الخطابة والشّعر وألّف في كل منهما كتابا مستقلا وتبعه في ذلك الفلاسفة المسلمون فحرصوا على التفريق بين طبيعة الشعر الذي يهدف إلى التخييل وطبيعة الخطابة الهادفة إلى التصديق حسب الأحوال والاحتمال"[2].

إنّ الفصل بين الخطابين، وتأكيد الفرق الحال في طبيعة خطاب كل منهما، يبتغي العمري الوصول إلى "بلاغة عامة" تستوعب جميع البلاغات الخاصة، لها وجود في التراث البلاغي وقادرة على الإجابة عن أسئلة الراهن، وهو السبيل الذي اقتضى اعتماد الآراء الأرسطية كمخزون تراثي للتنقيب عن بلاغة الحجاج في بلاغتنا القديمة بغرض استثمارها في بلاغة اليوم.

2. 3 الاهتمام بالقارئ (نظرية التلقي):

كانت الدراسات العربية الحديثة متسارعة، تنهل من كل نظرية جديدة، ومع زيادة الاهتمام بنظرية التلقي منذ منتصف ثمانينات القرن الماضي، لم يكن **العمري** بمنأى عن التأثر فقد خصص العدد السادس، وجزء من العدد السابع من مجلة دراسات سيمائية لنظرية التلقـــي[3]

[1] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 485.

[2] – العمري محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2 / 2002، ص7.

[3] – العمري محمد، المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، الموقع الإلكتروني : http://www.medelomari.net/projet.htm، 11 مارس 2006.

وهي بداية تسهم – لا محالة في إعادة النظر في التأريخ للبلاغة العربية من زوايا نظر أخرى متعددة، يمكن القول أنّ مؤلف **العمري البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، استنجد بنظرية التلقي من أوسع أبوابها.

انتهج **العمري** في الدرس والتحليل مبادئ نظرية التلقي التي اعتبرها حجر أساس في أي دراسة همّها كشف زوايا غامضة وملتبسة أو مظلمة كامنة في المعروض من قراءات السلف في ضوء أسئلة الحاضر وبدائله المعرفية، لنزداد "معرفة بالحاضر من خلال إرهاصاته ومخاضاته الماضية "[1]، وان استأنس **العمري** بنظرية جمالية التلقي فإنّه تميز عن غيره من الدّارسين بمحاولة بناء أفق توقع القارئ بعد أن كان مجرد تصور وصفي سردي تقليدي للتراث البلاغي.

استدعى **العمري** هذا الأفق عندما زاد اهتمامه بالقارئ المتخصص وغيره على السواء فيقول: " أنّ هذا العمل يستهدف طائفة من القرّاء من التّلميذ في الثّانوية العامة إلى الطالب في الدراسات العليا المتخصصة، إلى اللساني إلى المنطقي والفيلسوف إلى المحامي المجتهد فضلا عن الباحث المتخصص في البلاغة والأسلوبية"[2]، فهو لم يستثن أيّ قارئ محتمل لذا ركّز عليه في جلّ بحوثه البلاغية لكونه محورا مركزيا في العمل النقدي وتفتيق أفق الانتظار في النّص هذا القارئ فكان عليه أن ينظر في نوع القارئ فكان منه:

- القارئ العادي المستهلك (المتلقي الأول).
- القارئ المتأمل (الناقد).

[1] – محمد مشبال، البلاغة والخطاب، ص 15.

[2] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 5.

- القارئ المبدع الذي يتفاعل مع العمل الأدبي فينتج بدوره، معارضا للمقروء بشتى صور المعارضة"[1].

فالقارئ المستهلك قارئ عابر، يقرأ ليثري رصيده المعرفي وقراءته نفعية له، دون أن يبدي رأيا فيضيف شيئا يرى أن صاحب النص أهمله ، أو يقف عند رأي فيرفضه .

والقارئ الناقد هو جزء من مكونات التلّقي الأدبي، بل هو عمادها، فهو يتأمل ويتجاوز القراءة العادية، ويقوم عمله على إصدار حكم دون تفسيره تفسيرا شافيا أو دون تفسيره أصلا "يقول عبد الله الطيب عن أبي تمام: لقد كانت له مقدرة خارقة على تمييز الشّعر الجيد من الشعر غير الجيد، حتى إن بعضهم يحتكمون إليه، لقد كان من هذه الناحية ناقدا تطبيقيا"[2]، ولهذا كان موضوع جمالية التلقي هو اشتغاله على النصوص المخيلة، أو النّصوص الأدبية، وما تحويه من إمكانيات كامنة، فالقرّاء يتمايزون باختلاف كفاءاتهم ومرجعياتهم الخاصة، وبعبارة أخرى فإنّ "النّصوص تمثل، على اختلاف أنماطها طرفا (أو قطبا) واحدا من أطراف العلاقة التي تنعقد أثناء عملية التواصل، فالذخائر(المعطيات) والاستراتيجيات تكتفي من النّص برسم خطوطه العامة، وإقامة هيكل قواه الكامنة، والقارئ هو وحده الذي يستطيع تحقيق كوامن النص وتحيينها في وقائع، ولذلك فإنّ بنية النص وعملية القراءة يتكاملان في تحقيق التواصل، يتحقق التواصل عندما يرتبط النص بوعي القارئ"[3].

---

[1] – المرجع السابق، ص 67.

[2] – المرجع نفسه، ص 67.

[3] – العمري محمد، أنطولوجيا السرد العربي، القارئ وإنتاج المعنى في الشعر القديم، حدود التأويل البلاغي الموقع الإلكتروني، الأنطولوجيا، http://alantologia.com/blogs/13207.

استفاد **العمري** من طروحات الغرب في مجال القراءة والتلقي، طالبا بذلك فهم قراءة اللاحق للسابق من السلف، وكذا من الخلف كما يرى في قراءته أنّها لا تنسخ بأي معنى من المعاني، أي عمل سابق عليه ولا يعتبر بديلا يغني عن غيره، وقصارى ما يطمح إليه أن يكون خطوة في السعي لكتابة تأريخ شامل للبلاغة العربية[1] أمّا من الغرب، فقد استعان في منهج النظرية بمنطلقات "**هانس روبيرت ياوس**" **(ت 1997)** في القراءة والتلقي التاريخي، إذ يعتبره **العمري** رائداً للاتجاه التاريخي في جمالية التلقي، وتبدو هذه النظرية في كثير من أعمال **العمري** فيما يبدو مصطلحات وظّفها في تأريخه للبلاغة مثل: "المشاريع و المنجزات" وحديثه عن "**أفق الانتظـــار**" و "فهم اللاحق من السابق" و"السابق من اللاحق" في مجال البلاغة باعتبار أن أفق الانتظار هو: "النّظام المرجعي القابل للتّحديد الموضوعي الذي يعدّ بالنسبة لكل أثر في اللحظة التاريخية التي ظهر فيها حصيلة ثلاثة عوامل أساسية، وهي: خبرة الجمهور المسبقة بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه الأثر، وشكل ومحتوى آثار سابقة يفترض معرفتها في الأثر الجديد وأخيرا التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية "[2].

بدت هذه العوامل الأساسية في تحليل **العمري** لقراءة **ابن وهب** لبيان الجـــاحظ إذ "لا يمكن أن يُفهم إلاّ من خلال قراءة **ابن وهب** له، واستئنافه لمشروعـــــه[3] وقراءة **أبي هلال العسكري** لبيان الجاحـــظ كذلك، وقراءة السّكاكي لكتاب الدلائل، وكذلك قراءة أصحاب الاختيارات الشّعرية، فعملية الاختيار كانت عملية قرائية نقدية أعقبتها عملية تأويليـــة لاستخـــراج الصّور البلاغيـــة.

[1] – ينظر، العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 8.

[2] – بوعافية عبدالرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة مؤسسة حسين راس الجبل الجزائر، ط1/2018، ص 139.

[3] – ينظر، العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 10.

إنّ القراءة التي يريدها **العمري** في مشروعه العلمي، قراءة متكاملة ولا يمكن أن تفيد الدّرس البلاغي إلا إذا تظافرت جهود الكثير، "فتاريخ الأدب عملية متوالية من التلقي والإنتاج الجماليين عملية تتحقق في تحيين النصوص الأدبية من طرف القارئ الذي يقرأ والناقد الذي يتأمل، والكاتب نفسه الذي يدفع بدوره إلى الكتابة"[1]، وبهذا نخلص إلى أنّ **العمري** قارئ مبـــدع إذ يعتبر أنّ التّراث البلاغي على ضخامته يمكن أن نميّز منه خطوط الطول والعرض بحثا عن الأنساق، وهو ما تناوله مفصلا في مشاريع منظري البلاغة ومنجزاتهم، بنظرة ثاقبة واعية ملمّة بالتراث الغربي ومختلف نظرياته الحديثة.

[1] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 67.

المبحث الثالث: مشروع العمري البلاغي وأفق الانتظار:

3 . 1 : قراءة التراث البلاغي: تأويل.

3 . 2 : مشروع الإيقاع.

3 . 3 : مشروع الخطابة.

3 . 4 : مشروع البلاغة العامة.

المبحث الثالث: مشروع العمري البلاغي وأفق الانتظار:

حسب **العمري** إنّ دوافع الغوص في التّراث العربي واستخراج لآلئه الجديدة لم تكن مرتبطة بمدى توفر الإمكانات المادية او الظروف المحيطة، بقدر ما هي مرتبطة بمدى توفر الأفق العلمي للبحث، ويعود أوّل دافع في مشروعه البلاغي إلى نهاية الستينات وبداية السّبعينات عندما قدّم بحث التّخرج بعنوان: "**مندور من التأثرية إلى الواقعية الاشتراكية**"، فنال اختيار **العمري للناقد المصري محمد مندور(ت 1965)** الحظ الأوفر، لأنّه تعلّم: "من مساره الكبير أنّ الحداثة تقتضي معرفة واسعة بالتراث الإنساني وضمنَه، من باب أولى وأحرى، التراثُ العربي كما تقتضي معرفةً نقدية بالعلوم الإنسانية لغوية ونفسية واجتماعية"[1].

استفاد **العمري** في مرحلته الأولى القرائية من تبيّن العدة المشروطة في إخراج مشروع بلاغي شامل، يمكّن من ضبط مفهوم البلاغة على الأقل وفق الأسئلة المطروحة في الوقت الراهن.

بناء على الأفق المنتظر، فإنّ العمري قد فتح مجالا لم يلق اهتماما عند الدارسين قديما وحديثا، بل شكّل غيابه اختزال تصور البلاغة وضآلته، كون الدراسات حول المستوى الصوتي الإيقاعي مهملة، فتجلى من خلال تصوره اللساني الجديد للشعرية ضمن مؤلفه: "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها".

[1] – العمري محمد، المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، الموقع الإلكتروني: http://www.medelomari.net/projet.htm، 11 مارس 2006.

تعكس أغلب أعمال **العمري** البلاغية، البحث في الشّعرية الغربية والشّعرية العربية والتي يؤكد من خلالها إيمانه أنّ أوّل طريق للوصول إلى بلاغة عامة هو دراسة كتاب (فن الشّعر) **لأرسطو** بحثا عن الكليات، لا عن التّطابق كما فعل السلف.

ومن الأهداف المركزية التي صرّح به في أكثر من موضع، هو ملاحظته إهمال البُعد الإقناعي للبلاغة، وهو بعد كان لحمادي صمود السبق في طرحه إذ رأى أنّ السّمة الغالبة على الخطابة هي الإقناع[1]، سخّر **العمري** جهده لإعادة الاعتبار للبُعد الخطابي الحجاجي نافضا الغبار عنه، وبهذا فهو يميز بين بلاغتين بلاغة شعرية ذات دعم لساني –تحدث **حمادي صمود** عن غيابها وعنى بها البعد الوجداني في الدرس العربي قديما كما أكد إهمال الوظيفة الشعرية– وبلاغة خطابية فجاء مؤلفه ليدرس الجانب الشّعري بدء من كتاب فنّ الشّعر **لأرسطو** حتى مؤلفات نقد الشّعر عند العرب وهي دراسة بنيوية تستكشف النص من داخله وتتأمل في الموضوع نفسه، ويدرس الجانب الخطابي بدء من كتاب فن الخطابة **لأرسطو** وما يفضي بنا إلى فهم بيان **الجاحظ** باستكشاف الأسئلة التي تطرح نفسها أثناء تقنين المعرفة والفكر.

إنّ مشروع البلاغة العربية من زاوية نظر **العمري** يوضح مدى "تحاور التراثين العربي والغربي والانتباه المبكر إلى دور الحجاج في قراءة النصوص البلاغية والخطابية"[2]، كم عززت الباحثة **بن خراف** موقف **العمري**، ومن بين الأهداف في قراءة التراث البلاغي هي "البحث عن

[1] – ينظر، أمينة رقيق، بلاغة الخطاب المكتوب، دراسة لتقنيات الحرف واللون والصورة في خطاب الدعاية التجارية، رسالة دكتوراه إشراف د.محمد خان، جامعة محمد خيضر بسكرة 2014/2013، ص 68.

[2] – ابتسام بن خراف، تلقي النص البلاغي عند الدكتور محمد العمري، ص 49.

أنماط القراءة التي وظفها البلاغيون خلال اشتغالهم واستخراجها ومن ثم فحصها لتبين مدى صلابتها وصلاحيتها لمجابهة الأسئلة البلاغية اليوم"[1].

لذا تضمن مؤلف **العمري** البلاغي، مدونة ضخمة، وقراءة لكتب بلاغية عدت أمّات المصادر النقدية البلاغية إلى اليوم، ولا يخفي **العمري** أنّ عمله في كتاب "**البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**" هو امتداد و" لبنة ثالثة تضاف إلى لبنة أولى وضعها العلامة **شوقي ضيف** ولبنة ثانية أضافها صديقنا الأستاذ **حمادي صمود** ولكل من هذه اللبنات موقعها في البناء. لكل من الكتب الثلاثة استراتيجية معلنة وفعالة لا يغني عنها الكتاب الآخر"[2]، فـــ**شوقي ضيف** أرّخ للبلاغة العربية بما أملته ظروف عصر كتابه، يوم أن احتاج القارئ تزويده بمخزون بلاغي تتوفر فيه شروط البحث العلمي من أمانة علمية وتحقيق دقيق وحظ للمعارف ، ويأتي عمل **صمود** كـــ"مشروع قراءة" محاولة للتأريخ للبلاغة العربية وطرح السؤال لذات البلاغة ملحقا إياه بالطرح الإنساني في ضوء المكتسب الحديث، وينحو **بناني** نحو **حمادي** في استكمال تصور النظرية الأدبية مستفيدا منه، فيواصل العمري مسار سابقيه، سالكا مسلك الكتابة في ضوء التجاذب الحاصل بين التراث والحداثة، فاصلا في قضية الأثر الأجنبي، أو مسألة التأثير والتأثر متجاوزا جدلها العقيم.

فبعدما استوعب **العمري** طروحات عصره عربا وغربا، استدار إلى كيفية قراءة البلاغيين القدامى المتن البلاغي، وهل للإيديولجية المذهبية موطئ قدم في رؤيتهم للبلاغة وهل من خلال القراءة تتكشف طموحاتهم، كل هذا للإجابة عن أسئلة الراهن، كان لزاما في مشروعه الضخم

[1] – عبدالله الرشدي، عبدالقادر بقشي، ابراهيم أسيكار، حسين كتانة، حسن درير، عبدالحميد زاهيد، البلاغة العامة، حوار المركز والمحيط دراسات في أعمال الدكتور العمري محمد، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، د ط / 2017، ص 193.

[2] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 285.

إعداد العُدّة وتوفير الأدوات المنهاجية من ترجمة وتحقيق ودراسة حتى يصل إلى التأريخ للبلاغة العربية تأريخا شاملا، فدون تلك الكتابة الشاملة يتعذر إدراك أبعاد المفهوم[1]، مفهوم البلاغة في كل مرحلة، وفي كل قراءة.

تأتي مساعي **العمري** في مشروعه الضخم لمراجعة المفهوم "مفهوم البلاغة" والذي ظهرت ثماره، في نهاية المطاف في كتاب **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، حينما: "فنحن اليوم أمام تعريف جديد للبلاغة غريب عن المتداول في الدّرس التعليمي والجامعي ولكنّه يأخذ مشروعيته من التراث البلاغي العربي ومن الدرس البلاغي الحديث، إنّها بلاغة عربية حديثة قابلة للتداول الكوني[2]، ويعني بالتداول الكوني البلاغة نفسها التي قصدها ابن رشد حين بحث في عمل ارسطو عن المشترك بين الأمم أو أكثرها متخلصا مما هو محلي يوناني، وهي البلاغة نفسها التي تحدث عنها حازم صراحة وسماها العلم الكلي لعلوم الإنسان واللسان، البلاغة الكونية هي التي تقدم تفسيرا بنيويا نسقيا للظاهرة الخطابية في كليتها، مثل نظرية المحاكاة، ونظرية الانزياح، ونظرية المقامات الخطابية..[3].

الملاحظ أنّ مشروع **العمري** من خلال كتابه **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها** الصادر سنة **1999**، يأتي امتدادا لكتابه: "**الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر**" الصادر سنة **1991** الحامل لمشروعه العلمي، المهتم بالمستوى الصوتي والمراجع للمفهوم العروضي الشّائع فيأتي تصوره للعناية بكل التجنيسات والتصريعات مضيفا إليها المفهوم الموسيقي العروضي، بهذا يستهل عمله بمباحث بلاغية

[1] – ينظر، المرجع السابق، ص 284.

[2] – المرجع نفسه، ص: 284.

[3] – المرجع نفسه، ص 306.

شائكة، عرفت قصورا في الطرح والاهتمام بل إقصاء من الدرس، وما انتهى إليه يعينه في قراءته الشاملة للبلاغة العربية.

3 . 1 قراءة التّراث البلاغي تأويلٌ:

تعدّد قراءات التراث البلاغي لأسباب عدّة، منها: تشعب مسالك هذا العلم يقول **القرطاجني**: "وكيف يظن إنسان أنّ صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار"[1]، فإذا كان هذا حال صناعة البلاغة ، فما بالك بماهيتها القائم سؤالها على العمق والشمول.

لهذه الأسباب ولغيرها، جاءت قراءة **العمري**، قراءة تأويلية ولم ينطلق من فراغ بل من طرح أسئلة متعددة، تصب كلّها في ماهية البلاغة، ثمّ محاولة البحث لها عن إجابات فطبيعة الأسئلة تحدد بالضرورة القراءة ومختلف آلياتها، ونحن أمام قراءة ذات بعدين:

البعد الأول: تثقيفي حيث ينتفع بالنّصوص المدروسة من أجل التكوين والتمرس بأساليب الكتابة البلاغية والنقدية وخاصة القديمة، ويعكس هذه المرحلة "تحقيق كتاب **المسلك السّهل** الذي مكّن **العمري** من امتلاك أدوات البحث البيبليوغرافي والدراسة التحليلية التي تعتمد على اللغة العربية وعلومها من بلاغة ونحو وعروض، فقد استعان في تحقيقه بـــمئتين وأربعة وأربعين مرجعا ومصدرا"[2].

[1] – حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، مج 2، ط3/1986، ص 88.

[2] – محمد مشبال، البلاغة والخطاب، ص 284.

وأمّا البعد الثاني فهو تأويلي، هذا البعد أملته طبيعة المادة البلاغية، لكونها ملتقى لعلوم مختلفة، من نحو وصرف ومنطق وعروض .....، وقد عبّر عن هذا المفهوم التأويلي **حازم القرطاجني(ت 684)** الذي: "يعتبر البلاغة بحقّ علما كليا يستند إلى علوم أخرى وهي علوم اللسان بما فيها من نحو واستدلال"[1].

لقد فرض هذا التوسع المعرفي التصدي لتحليل الخطاب البلاغي، أي علم الخطاب ونعني البلاغة، فالبلاغة التي نعتها **القرطاجني** «علما كليا» لعلوم الإنسان واللسان تتطلب «الإلمام» بكل تلك العلوم. فالبلاغي مثلُ الطبيب يحتاج قبل التصدي للعلاج أن يكون ملما بعلوم شتى: بيولوجيا، وكيمياء، وفيزياء...الخ"[2].

إنّ جلّ الأسئلة التي يطرحها **العمري** وهو يسعى في مشروعه العلمي إلى بلاغة عامة تندرج ضمن سؤال واحد، هو: ما البلاغة؟، لطالما أجاب عن هذا السؤال الكثير من الدارسين والباحثين، وتناقلته كتب الأدب قديمها وحديثها، وكان يُنظر لهذا السؤال من زاوية واحدة، وهي زاوية الأدبية أو الشّعرية أو الإمتـــاع لكن الأمر يختلف عند **العمري** فقد حاول أن يتجاوز المفهوم السّطحي للسّؤال، حتى يكون فهم السّؤال محددا الإجابة الصحيحة، يقول **العمري**: "وسؤال: ما البلاغة؟ في هذه المرحلة المتأخرة، ليس سؤالاً مدرسياً بل هو سؤال تنظيري، فيه غبطة الاكتشاف، وفيه تحدٍّ لواقع الدارسين في هذا المجال. لقد عادت البلاغة في العصر

[1] – العمري محمد، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني، إفريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2017، ص 65.

[2] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 291.

الحديث، عصر ثورة التواصل والحوار، لتصبح علماً كلياً كما نقرأ لحازم منذ عقود دون أن ندري ما يقول، صـــارت كما قال، علماً كلياً لعلوم الإنسان واللسان"[1].

لقد فتح **العمري** الباب على مصراعيه، حين أشار إلى شمولية مفهوم البلاغة، ممّا يمكن القول إنّ ما من أحد يستطيع أن يستوعب إجابة لهذا السؤال، فما هو معلوم في الحديث عن ماهية البلاغة، هو ما قعّد له السّكاكي في القرن السّابع الهجري، من المفهوم الثلاثي للبلاغة من بيان ومعان وبديع.

ليستقر هذا المفهوم وينعت بفترة الجمود والتقعيد للبلاغة، و"مازالت الكلمة الفصل للسّكاكي وملخصيه وشراحه، في حين أنّ هؤلاء جميعاً لا يملكون أكثر من جزء من الجواب"[2] هذا الجزء من الجواب الذي يعنيه **العمري**، ما هو إلا الشّق التخييلي أو الإمتاعي من البلاغة، أو ما يصطلح عليه بالشعرية، والشّق الثاني من الجواب، هو المفقود والمهمل وهو الذي عكف العمري على إظهاره، وهو الخطابية، ولا يمكن ذلك إلاّ بقراءة تأويلية، ولكن – يقول **العمري**–: "هل نفتح أبواب التأويل على مصراعيها بدون ضوابط ولا حدود، فنجعل من الجرجاني أباً للبنيوية ومن الجاحظ أباً للتداولية؟ "[3].

سعى العمري للإجابة عن هذا السؤال، منطلقا من مفهوم التأويل، فهو باب التّعدد والاختلاف بالمعنى التفكيكي، فالنّص لا يتوقف عند دلالة بعينها، وباعتبار التعامل مع الماضي تعامل مع النصوص، فالماضي نص "مفتوح للقراءة على الدوام "[4].

---

[1] – المرجع السابق نفسه، ص 286.

[2] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 287.

[3] – المرجع نفسه، ص 287.

[4] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 7.

فمحاولة ضبط دلالة واحدة للنّص، أمر صعب المنال، ممّا يجعلنا "ننتقل معه من الأثر المغلق إلى الأثر المفتوح الذي تحدّث عنه الفيلسوف الإيطالي صاحب كتاب "الأثر المفتوح" "**إيكو**" وأيّ محاولة لإغلاق النّص في دلال بعينها هي قتل له "[1]، يحيل هذا المعنى إلى صعوبة المهمة التي شغلت بال كثير من الباحثين، وهي قراءة التراث البلاغي العربي، وترك المجال لكل التأويلات الممكنة لفهم النص التراثي ومحاورته مع التراث الغربي ثم محاولة البحث عن إمكانية وجود "**بلاغة عامة**" أو "**بلاغة كونية**" فالبلاغة العامة هي البلاغة التي يتقاطع فيها البعدين التخييلي والتداولي وتتيح قراءة مختلف الخطابات وتحليلها، أمّا البلاغة الكونية فهو تعبير استخدمه محمد الصغير بناني قبل العمري وعني به بلاغة أوسع من البلاغة العامة، وهي بلاغة شاملة لكل اصناف الخطابات وليس مجال الأدب فقط.

ما وقف عنده **بناني** شكّل حجر الأساس في مشروع **العمري**، وهو الذي أخذ من عمره ربع قرن مترجما ومحققا ودارسا، وقبل أن يشرع فيه طلب إعادة النّظر في النزعة التاريخانية المتطرفة التي ترى الماضي شيئاً مضى وانتهى، ومادام أنّ تاريخ البلاغة العربية هو تاريخ تأويل، شاركت العلوم الأخرى كالنّحو والمنطق والعروض نفس الاهتمام بالتأويل فقد أشار **العمري** إلى هدفه من البحث التراثي، واشتغاله على مدونات متعددة، غربية وعربية، بعنوان فرعي على كتابه الموازنات، وهو: "**نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية**"، ثمّ يجدد الهدف في كتابه "**البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**" يقول:" إنّ كتابة تاريخ للبلاغة العربية مسألة ملحة اليوم"[2] لعدة اعتبارات وهو ما ذكرناه ضمن المبحث الأول من هذا الفصل، مما يوحي أنّ السّمة

[1] – عمر اوكان، البلاغة والتأويل قراءة في أعمال العمري محمد، مجلة أفاق، المغرب، العدد 69، جانفي 2004، ص 222.

[2] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 7.

الجوهرية التي تسم قراءات **العمري** منذ بلاغة الخطاب الإقناعي حتى البلاغة العربية هي كونها قراءة تأويلية.

ولعل أوّل ما يلفت انتباهنا هو إصراره على القراءة الحديثة، و أنّ "أية قراءة في التراث الإنساني محكوم عليها بأن تكون حديثة أو لا تكون قراءة بل وهما خادعا"[1]، هذه القراءة الحديثة التي يعنيها العمري، تستند بالأساس إلى توظيف المناهج الحديثة و أدواتها الإجرائية وتعتمد التأويل أولى أدواتها.

غير أنّ فكرة تعدد القراءات أو فكرة تعدد الدلالات في النصوص، ليست بالجديـــدة ولا هي من فتوحات النقد الحداثي، بل يبطل "**وليد قصاب**" هذه المزاعم، مستشهدا **بابن رشيق** في كتابه **(المثل السائر)** حين يضع بابا في كتابه يسميه أصلا باب الاتساع: "وهو أن يقول الشّاعر بيتا يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى وإنّما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى"[2]، بهذا المفهوم بنى **العمري** بحثه في التّراث البلاغي إذ اعتمد الترجمة سبيلا للبحث عن مناهج قراءة التراث، فحاول أن ينتهج كل السّبل للوصول إلى هدفه المنشود وهو بلاغة عامة لا تلغي المعاصرة، ولا تستكين للتراث: "إنّ قوة المشروع العلمي **لمحمد العمري**، وهو يروم بناء بلاغة عامة للخطاب الاحتمالي ..يتمثل أساسا في قدرته على تحقيق الموازنة الصعبة بين التراث والحداثة"[3]، إنّ الحذر الذي لازم حمادي صمود وبناني في قراءتهما للتراث فتح أفق الدرس أمام **العمري** بجعل المستحيل ممكنا بل فيه جدوى.

---

[1] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 288.

[2] – إيهاب مجيد جراد، القراءة المعاصرة للتراث النقدي والبلاغي، ص 44/43.

[3] – محمد مشبال، البلاغة والخطاب، ص 274.

وأوّل خروج **للعمري** عن التّراثية التي تشبع بها، وشكّلت شخصيته الأولى هو الترجمة فقد انفتح على الحداثة وأراد تشغيلها خدمة للدرس البلاغي العربي، فهو يرفض القراءة العابرة السّطحية للتراث العربي، والقراءة لا تضيف جديدا، والبحث عن قراءة شمولية يتم بها مشروعه البلاغي لا تتأتى **للعمري** إلا عن طريق الترجمة فهي أولى مراحل الوصول إلى متطلبات المرحلة حسب الأسئلة المطروحة وفقها لقوله: "البحثُ عن المنهج .. أترجم لأتعلم أولاً لأدخل في حوار جدّي مع الآخر، عن طريق الترجمة اكتشفتُ قيمةَ الفكر النسقي"[1].

شرع العمري في أول مشروعه بالاطلاع على الترجمات العربية للنظريات الغربية لكنّه لم يجد فيها ما يغطي حاجته، فعمل على الاطلاع عليها في مظانها الغربية وبهذا فتحت له جبهتان: "جبهة البحث في التراث بالوسائل المتاحة في سبيل الارتقاء في المراتب الجامعية وجبهة الاطلاع على المناهج الحديثة"[2]. للوصول إلى البلاغة العامة التي تجمع التخييل والتداول والمنفتحة على كل البلاغات الخاصة.

عن طريق الترجمة والقراءة أعدّ **العمري** العُدة وتوفرت لديه الأداة المنهاجية لمحاورة الآخر ما ينتهي به إلى تقديم نظرية عامة لتحليل الخطاب، مادام يؤمن أنّ هناك قواسم مشتركة بين البلاغتين الغربية والعربية، فمثلا ترجمته لكتاب "**البلاغة والأسلوبية**" "**لهانريش بليت**" مكّن من استعراض البلاغة الغربية من خلال إدماج البلاغة والأسلوبية في قالب سيميائي عام يستثمر مزايا كل منهما في الجانب الذي تفوق فيه، وهو ما يعينه في فهم البلاغة الغربية، لتكون قراءته شاملة.

[1] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 289.

[2] – المرجع نفسه، ص 284.

كان أوّل عمل له هو بحثه الجامعي في التراث البلاغي عن طريق تحقيق كتاب **المسلك السّهل في شرح توشيح ابن سهل لمحمد الإفراني المراكشي**، وهو أحد الشروح العربية النادرة التي جعلت همّها بلاغيا صرفا، دام هذا البحث حوالي سبع سنوات، سمح له كما ذكر بتعميق الاتصال بالبلاغة العربية والنحو والعروض بل كان تحقيق هذا الكتاب بمثابة إعادة تكوين لي في اللغة العربية وعلومها"[1]، وبهذا المنجز مكّن نفسه من أهمّ كتب البلاغة التطبيقية.

ويعكس اطلاعه على المناهج الحديثة، جهده في الترجمة، فقد ترجم بمشاركة **محمد الولي**، كتاب **(بنية اللغة الشعرية) للناقد الفرنسي جان كوهن**، الذي يعد مصدرا من مصادر الشّعرية الغربية، وهو كتاب في محاولة تجديد البلاغة، وعملها على النص الأدبي، وهذا ما ساعد **العمري** على توفير أداة منهاجية لولوج البلاغة انطلاقا من الشّعرية العربية من وجهة نظرٍ بنيوية لسانية.

إضافة إلى عمله الترجمي لكتاب: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص **لهارنيش بليث**، الذي أعانه على كسب معرفة واسعة في الفروق بين البلاغة والأسلوبية من جهة نظر سيمائية، له أيضا ترجمات أخرى نذكر منها: الاتجاهات السيميولجية المعاصرة **لمارسيلو داسكال**، ونظرية الأدب في القرن العشرين لمجموعة من المؤلفين، والذي اختار منه أعمال **كبدي فاركا** خاصة ثوابت القصيد والأدب والبلاغة.

3 . 2 مشروع الإيقاع:

كان للمستوى الصوتي السبق في المشروع **العمري**، لأنّه المستوى الأول من مستويات تحليل أي خطاب، فكانت البداية من سنة **1997** أين شارك **العمري** أساتذة من كلية الآداب

[1] – المرجع نفسه، ص 252.

منوبة[1]، ومن وزارة الثقافة التونسية في حدثين علميين كبيرين: قراءة في كتاب حول إيقاع السّجع العربي **لمحمود المسعدي**، بمناسبة تكريمه، وتقديم ورقة الإيقاع في الملتقى الأول للشعراء العرب بتونس، وعن هذا يقول **العمري**: "هذه الدعوة مناسبة ثمينة لتكميل مشروع الإيقاع الذي كنت استنفذت جهدي في شطره الذي يخص الشعر العربي القديم وبلاغته. فاغتنمت الفرصة لإكمال حلقة الإيقاع في الشعر الحديث والنثر العربي فترتب عن ذلك دراستان موسعتان، هما: "**الإيقاع تنظيرا وممارسة في أعمال محمود المسعدي**"، و"**مسألة الإيقاع في الشعر الحديث مفاهيم وَأسئلة**"[2]

يعبر **العمري** عن اختياره البنية الصّوتية أولا بالخروج من الغموض المترتب عن استعمال عبارة موسيقى الشّعر حيث يقف الكلام عند الأوزان والقوافي. البنية الصوتية تضم الموازنات التجنيسية والترصيعية كما تضم العروض والأداء، ولأنّ كتاب "**الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر**" كان بمثابة أرضية لكتاب البلاغة العربية أصولها وامتداداتها والذي يضم قراءة لمدونات بلاغية نقديـــة تشكل المباحث الشّعرية جانبها الأكبر وهو ما توصل إليه **العمري** من إنّ: "خمساً وسبعين في المائة من شاعرية الشّعر القديم توجد في الموازنات الصّوتية وتفاعلاتها الدلالية"[3]، كما توصلت الباحثة ابتسام بن خراف في بحثها.

[1] – كلية الآداب والفنون والانسانيات منوبة بجامعة منوبة بالضاحية الغربية لتونس.

[2] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 254.

[3] – ابتسام بن خراف، تلقي النص البلاغي عند الدكتور العمري محمد، ص 50.

فالاهتمام بالشّعرية أولا وبمستوى الإيقاع خصوصا في أعمال **العمري** هو محاكاة لعمل **أرسطو** في الشّعرية الغربية، وللتّعرف على "التحليل البنيوي اللساني للشعر، فالبنية الصوتية قَسيم للبنية الدلالية عندهم"[1].

3 . 3 مشروع الخطابة:

بعد انتهاء **العمري** من البحث في المستوى الصّوتي انتقل إلى دراسة أسس بلاغة الخطاب الإقناعي، وكانت البداية من الخطابة عند **أرسطو**، حين ألّف العمري كتابه **في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية**، وقبل هذا كان **العمري** قد قدّم خطاطة جامعة تحت اسم: **دائرة الحوار ومزالق العنف**، اهتمت بموضوع بلاغة الخطاب الإقناعي وهي: "تحاور أجناس الخطابة عند أرسطو، وتستحضر مفهوم المناظرة وأدبياتها عند العلماء المسلمين، وتستفيد استفادة نقدية من منطق الإقناع المدعو بلاغة جديدة عند "**بيرلمان**" ومدرسته، ولكنّها تتلافى التّغريب المصطلحي والتعبيري وتقرن النظر بالتطبيق الواسع، بل تجعل التطبيق منطلقا"[2].

3 . 4 مشروع البلاغة العامة:

حين عبّر **محمد العمري**، عن رغبته في البحث عن بلاغة عامة كمشروع بلاغي فإنّ تعني ضمنيا بأنّ هناك بلاغات خاصة تتفرع عنها، ثم يتفرع بعض تلك البلاغات عن بعض ويتداخل بعضها مع بعض ومثال ذلك تتفرع بلاغة السيرة الذاتية عن "بلاغة السرد" أو

[1] – المرجع السابق نفسه، ص 255.

[2] – العمري محمد، المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، الموقع الإلكتروني: http://www.medelomari.net/projet.htm، 11 مارس 2006.

"السردية" أو تحديدا عن "بلاغة الرواية"، وقد أخذت هذه البلاغات "أسماء خاصة مستقلة حينا عن جذر"ب–ل–غ" مثل البديع، وفن الشعر، والصناعتان: صناعة الشّعر وصناعة الكتابة ...الخ .ومضافا إليه حينا بلاغة الإشهار وبلاغة المسرح وبلاغة الصورة ...الخ" [1].

وكل هذه البلاغات الخاصة تلتقي في عنصرين"الاحتمال والتأثير"[2]، هذان المصطلحان وردا في تعريف **العمري** للبلاغة العربية، القائل فيه: "ومن هنا نقول البلاغة هي علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال"[3] استمدهما **مؤلفنا** من بلاغة **حازم القرطاجني** في كتابه **منهاج البلغاء وسراج الأدباء.**

اعتمد **العمري** خطة شاملة يبحث في سؤال ماهية "**البلاغة العامة**" كما قضى زمنا طويلا يبحث مفهومها حول محورين كبيرين هما محور "الشّعر" ومحور "الخطابة" هدفه من المحورين: دراسة الخطاب الشّعري أولا، ثم دراسة الخطابة أو "الخطاب الإقناعي" وأخيرا دراسة البلاغة بين الشعرية والخطابية.

1 – محور الشعر: مثّل هذ المحور كتابه: **تحليل الخطاب الشّعري البنية الصوتية في الشعر،** الصادر سنة **1990**، وكتاب **الموازنات الصّوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشّعر**[4]، الصادر سنة**2001**، وهو أوّل إرهاصات مشروعه **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، الصادر سنة **1999.**

[1] – العمري محمد، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، ص 76.

[2] – المرجع نفسه، ص 76.

[3] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 18.

[4] – صدر هذا الكتاب سنة 2001، وصدر القسمان المكونان له منفصلين (ضمن منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية سنتي 1990–1991) حمل كل منهما جزء من العنوان المشترك بينهما الآن : 1) الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية 2)اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي نحو كتابة تاريخ للأشكال الأدبية

2 – محور الخطابة: تناولته كتب ثلاثة: **في بلاغة الخطاب الإقناعي، الصادر 1986** خطاطة تحت عنوان: **دائرة الحوار ومزالق العنـــف**، الصادرة سنة **2002** وكتاب **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول 2012**.

إنّ كتاب **تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر** الذي صدر سنة **1990** وحصل على جائزة المغرب للكتاب في نفس السنة، مؤلف تنظيري عمل فيه على "تنسيق المادة البلاغية العربية في مجال التوازن الصوتي، وتأطيرها نظريا وتكميل جوانب النقص فيها بما تسمح به النظريات البلاغية الحديثة وتقتضيه بنية الشعر العربي القديم"[1]، في حين كتابه **الموازنات الصوتية** يشكل الحجر الأساس في المشروع العمري، فهو المدخل إلى المشروع من جانب الأصوات والإيقاع.

بينما كتاب **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، فقد عبّر فيه **العمري** بدقّة عن الجانب المهمل من البلاغة المبحوث عنها، وهو الجانب الإقناعي الحجاجي، والذي نعته بعمود البلاغة "فللبلاغة عمود كما للشعر عمود، وعمود البلاغة هو الحجاج، وقد ظهر مصطلح عمود البلاغة في القرن السادس الهجري مع ابن رشد"[2]، يعكس هذا الكتاب رؤية **العمري** للبلاغة العربية وهي إمكان قيام بلاغة عامة "للخطاب الاحتمالي تخييلا وحجاجا"[3]، وبهذا فالبلاغة بلاغتان: بلاغة التخييل أو "الشّعرية" أو "الجمالية الأدبية" وهذا ما اهتم به سابقوه من المغاربة، وبلاغة الحجاج أو الإقناع أو التأثير، وهو المجال الذي استكمله **العمري** في مشروعه الضخم، **فالعمري** يصرّ

[1] – العمري محمد، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، د ط / 2001، ص 6.

[2] – العمري محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، د ط/ 2001، ص 51.

[3] – محمد مشبال، البلاغة والخطاب، ص 289.

على إمكانية قيام بلاغة عامة تجمع بين القسمين المذكورين والتي هي المقصودة بالتّعريف الجامع من أنّ: "البلاغة علم الخطاب الاحتمالي المؤثر"[1]، فالقاسم المشترك بين التخييل والإقناع هو الاحتمال، هذا المعنى الذي يعتبره **العمري** مسألة مهمة وهو خلاصة ما توصل إليه من تعريف للبلاغة وهو أيضا تعبير جامع لعوالم الكلام ومقاماته، بين الشّعر والخطابة، "فعالم الشّعر ومقاماته هو عالم المُتخيل الذي لا يتطلب إقامة حجة من الخارج، بل حجته فيه، كما قال **عبد القاهر الجرجاني**. لا أعتقد أن أحدا على مدى ألف سنة طالب **أبا الطيب المتنبي** بإقامة حجة على قوله: الخيل والليل والبيداء تعرفني، ولا **شهرزاد** على حكاياتها المتعاقبة، و"مقامات" الخطاب التداولي (الخطابة) ترتبط بأهواء الناس ورغباتهم وقبولهم ورفضهم. فنحن نراعي في الخطاب الحجاجي أحوال المُستمعَات (على وزن مجتمعات) لا الحقائق الرياضية أو المخبرية. هذا مَكمن الاحتمال حتى ولو استعملنا حججاً منطقية قطعية وقد بسطنا فقلنا: الشعر (التخييل) كذب يحتمل الصدق، والخطابة (التصديق) صدق يحتمل الكذب. يمكن أن يستعمل الخطيب حججاً منطقية ولكنها تظل احتمالية بسبب أحوال المتلقي"[2]، نلحظ في النص أنّ **العمري** قايض لفظ التخييل بلفظ الكذب، مستأنسا في ذلك باستعمال القدماء له في قولهم "أعذب الشعر أكذبه" بينما استلهم في التأثير من قول **حازم القرطاجني**: "وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النّفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده"[3].

وإنّ توسل **العمري** بالنظريات الغربية وفهمها لها في منبعها الأصل، زودّه بإجراءات وأدوات يسرت له فهم التراث العربي عن طريق محاورته لإغناء حاضرنا ومنها:

---

[1] – المرجع السابق، ص 289.

[2] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 19.

[3] – حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 19.

1 – توصله إلى الثنائيات المفاهيمية للبلاغة كالإمتاع والإقناع أو التخييل والتداول وهو ما شكّل إجابة عن سؤال تداخل الخطابة والشّعر، ويؤكد بعده لدى **حازم القرطاجني** وهذا – يقول **العمري**–: "ليس ممّا توصل إليه **الفيلسوف الفرنسي** "**بول ريكور**"، بل تحدّث عنه **حازم القرطاجني** قبله بجلاء ووضوح"[1]، إنّ هذا التداخل الذي فصل القول فيه **العمري** في كتابه **بلاغة الخطاب الإقناعي**، يضرب له مثالا بقوله: "فهناك من يعتبر الشّعر القديم، ما قبل الرومانسية شعراً خطابياً لم يعِ نفسه بعد. وقد قيل للكميت: ما أنت بشاعر بل أنت خطيب. وذلك لاحتواء شعره على مرافعات"[2].

2 – اكتشافه لتداولية **عبد القاهر الجرجاني** من خلال كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز فلقد: "انتقل **الجرجاني** من الغرابة الشّعرية أي من التّخييل إلى المناسبة المقامية أو السّياقية أي تداولية لسانية .. أمّا التّصور التداولي المقصدي في الدلائل فقد حاول استيعاب المادة الانزياحية وتهذيبها بجعله مشروطة بالنظم "[3]، فهذه المادة الانزياحية لا تفصح عن بلاغتها إلا داخل النظم وبهذا ينقلها من كونها عبارة مجازية إلى مفهوم خطابي تداولي مؤثر.

3 – جمعه منظومة مصطلحية:(المستمَــع، الإنشاء، الصــورة الحجة، الاستهواء الخطابية) تطلبتها قيام "بلاغة عامة"، ويعبر مصطلح الخطابية عن المشترك بين التخييل والتداول من جهة وتميز بعض الخصوصيات التي لم تأخذ ما تستحقه من اهتمام في الدرس العربي[4] فالثروة

[1] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 293.

[2] – المرجع نفسه، ص 293.

[3] – العمري محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 485.

[4] – العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 22.

المصطلحية التي تحملها بلاغة الشعر تغني الباحث عن اقتراح مصطلحات جديدة، إذ يكفيه الاختيار منها أو التنسيق وإعادة التعريف عند الضـــرورة وهي تعني حسب العمري:

-**المستمَع:** auditoire: على وزن "مجتمع" لا تغني عنها كلمة مقام ولا سياق ولا مستمعين ولا جمهور، حيث تعني أن "يُستحضر المستمِع والمكان وما ينطوي عليه من زمان في نفس الآن.

-**الخطابية** rhétorique: ابتدعها **العمري** قياسا على كلمة " شعرية" التي تتقاسم معها الخطاب البليغ وهي المناسبة ترجمة في المفهوم الأرسطي، وكثيرا ما أدت ترجمة هذه الكلمة بكلمة بلاغة أو خطابة، على الإطلاق، إلى الخلط والالتباس."[1]

أبانت هذه الإجراءات والأدوات أنّ مشروع **العمري** على حدّ تعبيره يهدف بالأساس إلى: "تجاوز بلاغة السّكاكي - والتي لا يذكر عند الباحثين حين السّؤال عن البلاغة إلا هي- إلى بلاغة عامة كونية هذه البلاغة الكونية، هي البلاغة نفسها التي قصدها ابن رشد حين بحث في عمل أرسطو عن المشترك بين الأمم أو أكثرها متخلصا ممّا هو محلي يوناني. وهي البلاغة نفسها التي تحدث عنها حازم صراحة وسماها "العلم الكلي" لعلوم الإنسان واللسان. البلاغة الكونية هي التي تقدم تفسيراً بنيوياً نسقياً للظاهرة الخطابية في كليتها أو في جانب من جوانبها مثل نظرية المحاكاة، ونظرية الانزياح.. ونظرية المقامات الخطابية...الخ"[2]، وهذه المفاهيم العديدة، لا شك أنّها تندرج ضمن مفهومين شاملين هما مفهوم التخييل ومفهوم التداول، وهو يتداخل ويتفاعل مع المفاهيم الغربية الحديثة، بين الشّعرية والخطابية ويشتركان كلاهما في

[1] - العمري محمد، المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، الموقع الإلكتروني: http://www.medelomari.net/projet.htm، 11 مارس 2006.

[2] - العمري محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 306.

مفهوم واحد هو المفهوم النّسقي الذي عبّر عنه حازم بقوله: "ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك وهو علم البلاغة"[1]، وإن توصل العمري إلى بلاغة عامة يكون طرفاها الشعرية والخطابية، يكون قد أعاد النظر في وجهة نظر **حمّادي صمّود** التي تستبعد المقاربة بين البلاغة العربية والبلاغة اليونانية.

[1] – القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 226.

خاتمـــــــــــة

من خلال ما تقدّم، وبعد مسيرة بحثية استكشافية للتفكير البلاغي لنماذج قرائية مغاربية معاصرة، توصلنا إلى جملة من النتائج تم فرزها كالآتي:

1- قراءة المفكرين المغاربة للبلاغة العربية لا تنسخ السّابق ولا تعدّ بديلا عنه بل هي قراءة لسانية بنيوية همّها تأكيد إمكانية قراءة البلاغة في ضوء مكتسبات منهجية جديدة وجدواها في إعادة تأويل التراث حتى لا يشكل عائقا أو بديلا للحاضر، فأمّا **حمّادي صمّود** قرأ قراءة بنيوية محضة انتهى بها إلى أنّ البلاغة نظرية في فن القول مقاييسها أسلوبية، يشاطره **بناني** وإن اتصفت قراءته بالحذر، حذره الشديد من التعامل مع النظريات الغربية، وأمّا **العمري** بقراءته البنيوية التركيبية الممتدة لمسار سابقيه وإن سار على منوال الغربيين فكله وعي أنّه يوما ما سنكتشف أنّ ما استعرناه من جيراننا هو مركون في أحد زوايا بيتنا، لذلك اعتبر البلاغة بلاغة عامة" شعرية وخطابية".

2- توجّه النّماذج القرائية نحو التأريخ للبلاغة العربية في ذاتها "مفهوما، منهجا وإجراء"، وتفطنهم أنّ التأريخ للمؤلفات البلاغية لا يعني البلاغة نفسها. وبهذا التفكير الواعي للأدوات القرائية ومفاهيمها يستكمل المغاربة جهود المدرسة المشرقية التي مهدت الطريق بجمع التراث البلاغي وحفظه.

3- تقاربت المدونة البلاغية المعتمدة في الدرس والتحليل، مقدارا وقدرا في قراءة البلاغيين المغاربة فكانت امتدادا لقراءة **حمّادي** و استكمالا لبناء تصور عام ببلاغة حازم القرطاجني "بلاغة كلية" وببلاغة السكاكي "علم الأدب"، مع **العمري** إضافة إلى **بناني** الذي استكمل الحلقة ببلاغة النص النبوي وبلاغة **ابن خلدون** الاجتماعية.

4- انتهت قراءة المغاربة في تصورها العام إلى أنّ المثاقفة وفي مقدمتها الأثر الأرسطي من العوامل المساعدة في تعميق سؤال البلاغة، ولا بد – اليوم- أن نتجاوز الخوض في جدل حضوره من عدمه، لأنه أضحى جدلا عقيما.

5- وإن جعل كل من **حمّادي** و**بنّاني**، الجاحظ نقطة الارتكاز في التفكير البلاغي، فإنّ **العمري** حوّله إلى مشروعي **حازم والسّكاكي**، كما تباينت منهجية تناول البلاغيين المغاربة للتراث البلاغي، وان اتفقوا على مصطلح الأصول، فهي عند **العمري** اللحظات الكبرى الحاسمة لنشأة البلاغة، وعند **صمّود** نقطة ارتكاز تمثلت في جهود الجاحظ و عند **بنّاني** أربعة أصول.

6- أثر قراءة البلاغيين المغاربة في البلاغة العربية المعاصرة كان واضحا، فقراءة **حمّادي صمّود** استوضحت النّظرية البيانية، فبرز عنده الجاحظ والجرجاني مستكملا لمسار الجاحظ، ورأى كلساني أنّ ما أُلف عن البلاغة العربية لم يصل إلى إدراج البلاغة ضمن العلوم الأدبية كونها نظرية في فن القول تولدت عن ممارسة النص من جهة بنيته اللغوية، ويؤكد أنّ العرب لم ينتهوا إلى مفهومها وحدّها وإنّما تحدثوا عن سماتها وخاصة الأسلوبية منها، وأمّا قراءة **بناني** فقد خلصت إلى أن البلاغة العربية هي الوجه الآخر للأدب وفي الوقت نفسه العلم المقوم للأدب، فهي الصورة الرسمية المعبرة عن هوية الأدب في الداخل والممثلة لحدوده الطبيعية مع بقية الآداب في الخارج، ولذلك برز عنده السّكاكـــي وأمّا **العمري** جمع بين العلَمين واستكمل مشوارهما واستوضح الملتبس عندهما، فخلص إلى صعوبة تحديد مفهوم للبلاغة، فالبلاغة عنده مفهوم تاريخي يتغير ويتطور ويتطلب المراجعة كلما اقتضت الظروف، فسعى لاستيعاب كل الصور والتجليات المرصودة عصرا بعد عصر، لذا استغرق عمله في البحث عن أنواع بلاغات العرب.

7- من منظور **حمّادي** ارتبطت البلاغة في تفكير العرب القدماء بالغايات القصوى فأضحت وسيلة تعين على فهم معاني النص القرآني، وحملت بذلك حمولة" البيان" "فهما" و"إفهاما" و"إقناعا" وابتعدت عن كل ما هو وجداني، ما غيّب الوظيفة الشعرية لذلك استنتج أنّه لا يمكن أن يكون حالها مثل حال اليونان، في حين **العمري** تحدث عن بلاغة خطابية ليضيف إليها الشعرية (بلاغة حازم).

وبعد البحث والدراسة أقترح التوصيات التالية:

- جمع جهود المدرسة المغاربية المعاصرة وبخاصة المدرسة الجزائرية في مجال الدراسات البلاغية.

- السعي إلى إبراز جهود المدرسة المغاربية التراثية وأثرها في الدراسات اللغوية.

- طباعة أطروحة محمد الصغير بناني فهي مشروع بلاغي مكتمل.

- الاستثمار في أثر العلاقة التلازمية بين البلاغة وقضايا المجتمع، ومن ذلك الهندسة والعمران.

- الاستثمار في بلاغة الحديث النبوي باعتبارها تستعمل بلاغة القرآن الكريم، ولبناني جهود معتبرة .

ولا يسعنا في الأخير إلاّ رجاء أن ينال البحث التّوفيق ولو قدر لبنة ستليها لبنات أخرى من لدن باحثين آخرين، وصولا إلى مشروع متكامل يبرز معالم بلاغتنا العربية ودورها في إنعاش بلاغات العالم، حتى يمكنها أن تشارك بلاغات العالم في كل المناسبات الأدبية واللغوية، ومجال البحث في التّراث البلاغي العربي شاسع، فللبلاغة أصول نظرية وامتدادات وللعرب تفكير بلاغي ما تزال معالمه بحاجة إلى قراءات متواصلة مشرقا ومغربا.

فهرسة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

1. ابن خلدون، عبدالرحمان، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط1/ 2004.

2. أبو عبدالله جمال الدين البلخي المقدسي الحنفي، مقدمة تفسير ابن النقيب، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، د/ط،1994.

3. أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د/ط.

4. أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، مصر جانفي 1998.

5. أحمد مطلوب: بحوث بلاغية، مطبوعات المجمع العلمي، بغداد، العراق، د/ط،1996.

6. أرسطو طاليس، في الشعر، حققه مع ترجمة حديثة ودراسة تأثيره في البلاغة العربية شكري محمد عياد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993.

7. إنميرات عبدالعزيز، مناهج قراءة التراث في الفكر النهضوي العربي، مركز التأصيل والدراسات والبحوث السعودية/ ط2003/1.

8. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، كلية الآداب منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية تونس1 د- ط.

9. إيهاب مجيد جراد، القراءة المعاصرة للتراث النقدي والبلاغي، دار غيداء، عمان الأردن، ط1/ 2014 .

10. البازعي، سعد، استقبال الآخر الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2004/1.

11. البختياوي، عماد محمد محمود، مناهج البحث البلاغي عند العرب (دراسة في الأسس المعرفية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2013/1 .

12. بدوي طبانة، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط7/ 1988.

13. بناني محمد الصغير:

- المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، الجزائر: دار الحكمة، 2001.

النظريات اللسانية عند العرب، دار الحداثة، بيروت، لبنان ط1986/1.

- البلاغة العربية وأصولها النظرية دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، جوان 1993.

- البلاغة والعمران عند ابن خلدون، دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي تحدد العلاقة بين اللغة والمجتمع في نظر ابن خلدون، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، 04/ 1996.

14. البهسناوي حسام، التراث اللغوي العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1994.

15. الجابري محمد عابد : المواءمة بين التراث والحداثة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت لبنان ، ط2016/1.

- التراث ومشكل المنهج، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال الدار البيضاء ط1986/1.

- نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط1/1982.

16. الجاحظ أبو عثمان، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، مكتبة ابن سينا القاهرة مصر،ط1/2010.

17. جماعة من الباحثين، البلاغة العامة حاور المركز والمحيط دراسات في أعمال الدكتور محمد العمري، سلسلة الترجمة والمعرفة العدد5، عالم اكتب الحديث ط1/2017.

18. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط2 – 1981.

19. حافظ اسماعيلي علوي ووليد أحمد العناني، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، دار الأمان الرباط منشورات الاختلاف، ط1/2009.

20. الحباشة صابر، الأبعاد التداولية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1/2009.

21. حفناوي بعلي، استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر، دروب للنشر والتوزيع الجزائر ، د/ط ، 2014.

22. الزايد علي عشري، البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها، مكتبة الآداب، القاهرة ط7/2009.

23. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق مكتبة الأسرة، مؤسسة هنداوي القاهرة ط1/2017.

24. الشريف حاتم بن عارف العوني، العنوان الصحيح للكتاب، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع مكة المكرمة، السعودية، ط/1419ه.

25. شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي القاهرة مصر د/ط،1987 .

26. شوقي ضيف: -- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف، القاهرة مصر، ط1976/9.

– البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف ،القاهرة، ط 14 /2013.

27. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أوت 1992.

28. صمّود حمادي:

– التفكير البلاغي عند العرب وتطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، ط2010/4.

– الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، الدار التونسية للنشر، ط1988/1.

– معجم لمصطلحات النقد الحديث، حوليات الجامعة التونسية العدد1977/15 تونس.

29. الطرابلسي أمجد، نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة، ترجمة إدريس بلمليح، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1993/1.

30. الطلبة محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 / 2008.

31. عبد السلام محمد هارون، قطوف أدبية دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ط1/نوفمبر1988.

32. عبد العزيز عبدالمعطي، تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها، دار الطباعة المحمدية الأزهر القاهرة، ط1978/1.

33. عبد العزيز عتيق، تاريخ البلاغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2/ 2007.

34. عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطباعة والنشـــر القاهرة 2001.

35. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب ط2013/1.

36. عبد اللطيف عبدالله الرشدي، عبدالقادر بقشى، ابراهيم أسيكار، حسين كتانة، حسن درير عبدالحميد زاهيد، البلاغة العامة، حوار المركز والمحيط دراسات في أعمال الدكتور محمد العمري عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، د ط / 2017.

37. العسكري أبو هلال، الصناعتين الشعر والنثر، تحقيق علي محمد البجاوي/محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية ط1952/1.

38. العمري محمد:

- أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دراسات وأبحاث،ـــ دار أفريقيا الشرق، المغرب 2013 .

- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 1999 .

- المحاضرة و المناظرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني إفريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، د ط 2017 .

- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، د ط / 2001.

- تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر، الكثافة، الفضاء، التفاعل الدار العالمية للكتاب مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1/ 1990 .

- في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2 / 2002 .

39. فطنة بن ضالي، النظم بين القرآن والشعر في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني دار العنقاء للنشر، عمان، الأردن: د ط 2013 .

40. قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق طه حسين، عبدالحميد العبادي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1933.

41. مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر المعاصر، ط3 / 2004.

42. مالطي فدوى، بناء النص التراثي، دراسات في الأدب والتراجم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985.

43. مجموعة من المفكرين، قراءة جديدة لتراثنا النقدي، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، المجلد الثاني 1988.

44. محمد بركات حمدي أبو علي، بحوث ومقالات في البيان والنقد الأدبي، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، 1988.

45. محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ناشرون، مكتبة لبنان والشركة المصرية العالمية للنشر، ط1/1995 .

46. محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2003.

47. محمد المبارك، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان ط1/1999.

48. محمد محمد أبو موسى:

- دراسة في البلاغة والشعر، مكتبة وهبة القاهرة، مصر ، ط1/1991.

- علماؤنا وتراث الأمم، مجلة الوعي الإسلامي الكويت، العدد 36 /2015.

49. محمد مشبال:

- البلاغة والأصول، دار أفريقيا الشرق، الرباط المغرب، د/ط،2007.

- البلاغة والخطاب، أبحاث مهداة للدكتور محمد العمري، دار الأمان، الرباط المغرب، ط1 / 2014 م.

50. محمود أحمد السّيد، الدكتور أمجد الطرابلسي مفكرا ومربيا وأديبا، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1/2014.

51. مسالتي محمد عبد البشير، خطاب البلاغة الأنساق المتصارعة وجدل التأويـــل بحث في مسارات تقي الخطاب البلاغي الجاحظي في النقد الحداثي، مركز الكتاب الأكاديمي عمان ط1/2019.

52. المسدي عبدالسلام، التفكير اللساني العربي في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس ط2/1986.

53. مشري بن خليفة، الشّعرية العربية، وزارة الثقافة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية 2007.

- **الرسائل الجامعية:**

1. اليزيد بلعمش، منهج قراءة التراث عند محمد محمد أبي موسى، رسالة دكتوراه جامعة الحاج لخضر باتنة، 2016/2015.

2. حبيب، زحاف، البعد الهوياتي والوثائقي في رواية الأمير، مقاربة تداولية، رسالة دكتوراه، جامعة وهران السانية، إشراف عبدالقادر شرشار،2014/2013.

3.عباس حشاني، الأبعاد النظرية الحجاجية ومظاهرها عند المفسرين وعلماء الأصول مجلة مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، جامعة تيزي وزو، العدد20 2013.

4. عثماني، عمار، ملامح تجديد البلاغة في كتاب البلاغة العربية قراءة أخرى لمحمد عبد المطلب، جامعة وهران 1، 2016.

5.كورنيليا فون راد، مفهوم اللغة في كتاب الحيوان للجاحظ والاحتجاج بها، دكتوراه بإشراف مشترك الأستاذين جوزيف ديشي وحمادي صمود، جامعة منوبة كلية الآداب تونس، جامعة ليون فرنسا، 2012.

- **المقالات:**

1.ابتسام بن خراف، تلقي النص البلاغي عند الدكتور محمد العمري، مجلة قراءات جامعة بسكرة، العدد1، المجلد5، أكتوبر 2013.

2.بشير دردار، إسهام الجاحظ في تاريخ البلاغة العربية قراءة حوارية لأطروحة العمري في كتابة البلاغة العربية، مجلة الآداب واللغات، جامعة البليدة2، العدد2 المجلد7 ديسمبر 2018.

3.بناني، محمد الصغير، مفهوم النص عند المنظرين القدماء، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد12، 1997.

4. حافظ الجمالي ملاحظات قصيرة حول كتاب التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، مجلة الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية تصدر عن إتحاد الكتاب العرب بدمشق العدد 136/135 تموز وآب 1982.

5.رجاء عيد، فصول مجلة النقد الأدبي، العدد1 المجلد 5 /1984.

6.رمضان يوسف، مقال البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة، حمادي صمود ومحمد العمري أنموذجا، مجلة التعليمية، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 4 العدد 9 جانفي 2017.

7.سونة حسين، سليم سعدلي، امتدادات البلاغة الجديدة في النقد المغاربي، البلاغة والحجاج عند حمادي صمود أنموذجا، مجلة البدر، جامعة بشار، المجلد10 العدد 08 سنة 2018.

8.عمر اوكان، البلاغة والتأويل قراءة في أعمال محمد العمري، مجلة أفاق المغرب، العدد 69، جانفي 2004.

9.فؤاد زرواق، محمد العمري قارئا لمنهج تأليف عبدالقاهر الجرجاني، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف 2، مجلد16 عدد 03، 2019.

10. محمد بلقاسم، النقد البنيوي، الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص مجلة الأثر للآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد الثامن ماي 2009.

11.محمد سالم سعد الله، تحديث الدرس البلاغي عند الناقدين محمد عبدالمطلب ومحمد العمري، مجلة التربية والعلم، المجلد20 العدد1 سنة 2013.

12. محمد عبدالرحيم الخطيب، حوار أجري مع محمد عبدالمطلب، مجلة الجسرة الثقافية قطر، العدد 43 / أفريل 2017.

13. ملاح بناحي، البلاغة الأصول الممهدات الامتدادات محمد العمري والمشروع الجديد في التأريخ للبلاغة العربية ، مجلةّ (سيميائيات)، مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات جامعة وهران -1- أحمد بن بلّة المجلد4 / العدد 1، سنة 2013 .

14. نقماري يوسف، المعرفة البنيوية في النقد المغاربي، مجلة جسور، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف 13/ 08 / 2017.

15.نعمان عبدالرزاق السامرائي، حوار حول التراث والحداثة، كتاب الأمة، سلسلة عن إدارة البحوث الإسلامية، الدوحة قطر، العدد 170، ذو القعدة 1437هـ.

- **المواقع الالكترونية :**

1.أرحيلة عباس، كلمات حول الدكتور أمجد الطرابلسي (موقع محمد العمري على الشابكة)، http://www.medelomari.net/trabulsi/cv_trabulsi.htm

2.الموقع الإلكتروني لمحمد العمري، المشروع العلمي بين المأمول والمتاح: http://www.medelomari.net/projet.htm ، 11 مارس 2006.

3.حوار أجري مع المفكر البلاغي حمادي صمود، أجراه معه الباحث التونسي نادر الحمادي تحت عنوان : (حمادي صمود المثقف والجامعي والمجال العام) ، نُشر في موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث يوم : 16 فيفري 2017 . https://www.mominoun.com/

4.عمراني المصطفى، من سلطة الكاتب إلى حرية القارئ، مقال منشور عبر الموقع: https://www.aljabriabed.net/n88_13amranimustafa.htm

5.موقع الأنطولوجيا، محمد العمري، أنطولوجيا السّرد العربي، القارئ وإنتاج المعنى في الشعر القديم، حدود التأويل البلاغي: http://alantologia.com/blogs/13207

فهرسة

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الرقم	العنـــــــــــــوان	الصفحة
01	تشكرات	أ
02	إهداء	ب
03	مقدمة	01
04	مدخـــــــل نظري في التأريخ للبلاغة العربية	14
05	• تأريخ المشارقة للبلاغة العربية	19
06	• تأريخ المغاربة للبلاغة العربية	27
07	**الفصل الأول: كتاب التفكير البلاغي: تأريخ للبلاغة لا تأريخ للتأليف البلاغي**	35
08	المبحث الأول: هندسة الكتاب وغاياته	38
09	1 . 1 عنوان الكتاب	40
10	1 . 2 أقسام الكتاب	41
11	1 . 3 مركز ثقل البلاغة العربية	50
12	المبحث الثاني: قراءة حمادي صمود الإمكانية والجدوى	64
13	2 . 1 مفهوم القراءة وإمكانياتها	65

14	2 . 2 التوسل بأصول البلاغة	67
15	2 . 3 جدلية التراث والحداثة	72
16	المبحث الثالث: المناهج والنظريات المعاصرة المتوسل بها	79
17	3 . 1 الأسلوبية	80
18	3 . 2 الشّعرية	82
19	3 . 3 الحجاج	83
20	3 . 4 الاهتمام بالقارئ (التلقي)	86
21	**الفصل الثاني: فعالية البلاغة وقدرتها في تبليغ الفكر والذوق المعاصرين**	88
22	المبحث الأول: بنية الأطروحة وغاياته	91
23	1 . 1 عنوان الأطروحة	92
24	1 . 2 أقسام الأطروحة وغاياتها	94
25	المبحث الثاني: الوعي المنهجي والنقدي في قراءة محمد الصغير بناني	127
26	2 . 1 جدلية التراث والحداثة	129
27	2 . 2 المناهج والنظريات المعاصرة المتوسل بها	135
28	**الفصل الثالث: البلاغة العربية، بلاغة عامة**	144

29	**المبحث الأول:** هندسة الكتاب وغاياته	147
30	1 . 1 بنية الكتاب وغاياته	149
31	1 . 2 أقسام الكتاب	149
32	**المبحث الثاني:** قراءة التراث البلاغي في ضوء مكتسبات البحث العلمي الحديث	159
33	2 . 1 قراءة بنيوية تركيبية	160
34	2 . 2 القراءة في ضوء نظرية الحجاج	168
35	2 . 3 الاهتمام بالقارئ (نظرية التلقي)	171
36	المبحث الثالث: مشروع العمري وأفق الانتظار	176
37	3 . 1 قراءة التراث البلاغي: تأويل	181
38	3 . 2 مشروع الإيقاع	187
39	3 . 3 مشروع الخطابة	189
40	3 . 4 مشروع البلاغة العامة	189
41	خاتمة	195
42	ثبت المصادر والمراجع	199

43	فهرس الموضوعات	**210**
44	ملخص البحث	**215**

ملخـــــــص

تشكّل قراءة التّراث البلاغي تحديا للدارسين، لما يتّصف به هذا الأخير من عمق وشمول يحتاج إلى قارئ حذق يجلب التراث البلاغي ويجعله قادرا على استيعاب كل مقولات الدرس الحديث والنظريات العلمية الحديثة .

فان كانت قراءة التراث البلاغي ابتداء من الباحث القدير **شوقي ضيف** ومن عاصره من أبناء جيله، اتسمت بالقراءة التاريخية الدقيقة التي أسهمت بحق في تقديم التراث البلاغي للقارئ تقديما سرديا فإنّ قراءات البلاغيين المغاربة المحدثين من أمثال "**حمادي صمود**" و" **محمد الصغير بناني**" و" **محمد العمري**" لهذا التّراث اتسمت بالقراءة النّسقية لا السّياقية، محاولة منهم لفهم النّظرية البلاغية وإيمانا منهم أنّ القراءة التاريخية السّردية باتت غير قادرة على الإجابة عن متطلبات المرحلة الراهنة وتوقعاتها المنتظرة.

فجاءت قراءة البلاغيين المغاربة المعاصرين مستندة إلى توظيف ما جاءت به النظريات الغربية من مصطلحات لتكشف عن نمط تفكيرهم والأسس التي بنوا عليها تصورهم في البحث عن أسرار التراث البلاغي، كما أنّ البحث يحاول أن يجمع الأصول التي قامت عليها البلاغة العربية بنظرة مغاربية يمكن أن تؤصل لمدرسة مستقلة، تسعى إلى وضع البلاغة العربية في مكانها المنوطة به بين بلاغات العالم .

وميزة البحث كذلك نفض الغبار عن أعمال "**محمد الصغير بناني**" البلاغية التي استوعبت طروحات العقل البلاغي العربي، والذي لم يعط حقّه من الدّراسة ولم يُعتن به في الدّراسات الحديثة داخل الوطن وخارجه .

Article summary:

Reading the rhetorical heritage poses a challenge to students, because of the depth and comprehensiveness of the latter, who needs a smart reader who brings the rhetorical heritage and makes it able to absorb all the statements of the modern lesson and modern scientific theories.

If the reading of the rhetorical heritage, starting with the able researcher **Shawqi Dhaif** and his contemporaries of his generation, was characterized by accurate historical reading that truly contributed to presenting the rhetorical heritage to the reader in a narrative presentation.

The readings of modern Maghrebian rhetoricians such as "**Hammadi Samoud**", **"Mohamed Al-Saghir Bennani**" and "**Mohamed Al-Omari**" for this heritage were characterized by a systematic, not contextual, reading, an attempt by them to understand the rhetorical theory and their belief that the historical narrative reading is now unable to answer the requirements and expectations of the current stage. expected.

The reading of the contemporary Moroccan rhetoric came based on the use of the terminology brought by Western theories to reveal the pattern of their thinking and the foundations on which they built their perception in the search for the secrets of the rhetorical heritage. It seeks to place Arabic rhetoric in its place among the rhetoric of the world.

And the search feature as well to dust off the rhetorical works of "**Mohammed Al-Saghir Banani**" that absorbed the propositions of the Arab rhetorical mind, which was not given its right to study and was not taken care of in modern studies inside and outside the country.